الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٢٦٨ - شوال ١٤١٩ هـ - يناير/فبراير ١٩٩٩ م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 268 -JAN./FEB.1999



الفيصل

مـجلة ثقـافـيــة شـهــرية ـ السنة ٢٣ ـ العـدد ٢٦٨ ـ شــوال ١٤١٩هـ ـ يناير / فـبــراير ١٩٩٩م

ALFAISAL MAGAZINE - No268 - JAN / FEB.1999

المحتويات



عدد خاص

و«نشوة العز» هدية للقراء

هذا عـــدد خـــاص تصــدره «الفيصل» بمناسبة مرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية. وغلاف العدد لوحة «نشوة العز» بريشة صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز، وقد أرفقت مستقلة مع العدد هدية من المجلة إلى قرّائها الكرام.



الطوابع في عهد الملك عبدالعزيز

قبل توحيد المملكة العربية السعودية كانت تُتداول طوابع مصرية وعثمانية، كما أصدر الشريف حسين بن علي طوابع عند إعلان استقلاله عن الدولة العثمانية، وعندما دخل الملك عبدالعزيز مكة وشّح هذه الطوابع بخاتم السلطنة النجدية قبل إعادة تداولها، ومع مبايعته ملكًا على الحجاز صدرت أول مجموعة طوابع، وتضم الطوابع الصادرة منذ ذلك التاريخ مجموعات نادرة في مناسباتها وأغلاطها.



السلفيون في الهند والملك عبدالعزيز

كان علماء الهند السلفيون على علم بما لآل سعود من دور في نصرة العقيدة الصحيحة، لذا كان ابتهاجهم بدخول الملك عبدالعزيز مكة، لما كانت تشهده الأراضي المقدسة من انفراط الأمن.

ومع أن خصوم الملك عبدالعزيز كان لهم نشاط واسع في الهند، إلا أن مواقف المتمسكين بالكتاب والسنة كانت قوية في الدفاع عنه.



علاقة المملكة بالمنظمات الدولية في عهد الملك عبدالعزيز

ظهرت في عهد الملك عبدالعزيز هيئتان عالميتان: الأولى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى واتخذت مسمى «عصبة الأمم»، ورفض الملك عبدالعزيز الانضمام إليها لإقرارها نظام الانتداب، والثانية: هيئة الأمم المتحدة، وانضمت إليها المملكة العربية السعودية إيمانًا بمبادئ السلم والعدالة والحق التي يجب أن تسود العالم.

٢٢



بدايات المواصلات البحرية والجوية في المملكة العربية السعودية

تشبه الموانئ البحرية القلب الذي يضخ الدم إلى جميع أجزاء الجسم، كما أن المواصلات الجوية أهم عنصر في شبكة النقل في أي بلد في العالم، وقد أدرك الملك عبدالعزيز أهمية المواصلات بشكل عام في تحقيق النهضة الحضارية للبلاد، لذا كان اهتمامه بتطويرها بشتى السبل، فكيف كانت بدايات المواصلات البحرية والجوية في المملكة العربية السعودية؟

٣٥



المرأة في المملكة العربية السعودية: الجذور البعيدة والحاضرة

عاشت معظم القبائل العربية في الأرض المعروفة اليوم بالمملكة العربية السعودية، وقد تميز موقع المرأة في هذه القبائل على امتداد التاريخ، فكان من بين النساء من أنجبن سادة وفرسان، ومن اشتهرن بالكرم والسخاء، وامتلاك ناصية الأدب والبلاغة، والمتفقهات في الدين، مما جعل من غير المستغرب أن تحقق المرأة السعودية اليوم ما حققته من تقدم في مناحي الحياة المختلفة بعد أن انفتحت أمامها سبل التعليم، وتهيأت لها ظروف الإبداع.



الدرعية

الدرعية مدينة لها تاريخ حافل، ومع أن هناك اختلافًا حول بداية نشأتها ومسماها، إلا أن من المؤكد أنها خضعت لسيادة أسرة مانع بن ربيعة المريدي، وأصبح لها شأن كبير بعد الاتفاق بين الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب على إعلاء كلمة التوحيد، ثم شهدت أحداثًا تاريخية كان لها أثرها الكبير في المنطقة بأسرها.

٥٤



المملكة العربية السعودية: صور من الماضي والحاضر

عبر بعض الرحالة الغربيين إلى الجزيرة العربية، والمناطق المقدسة بعد منتصف القرن الماضي، والتقطوا صورًا سجلت الوجوه المختلفة للحياة بها، وتصلح هذه الصور للموازنة بين الماضي والحاضر للوقوف على الإنجاز الحضاري الكبير الذي شهدته البلاد بعد توحيدها على يد الملك عبدالعزيز، يرحمه الله.

١٣٦ ٨٠ ٥٤



الملك عبدالعزيز والكتاب

لم يعد خافيًا على كل مطلع على التاريخ ما قام به الملك عبدالعزيز من جهود عظيمة لإحياء التراث الإسلامي بطبعه نفائس الكتب العلمية والأدبية والتراثية، وتوزيع كثير منها مجانًا.

وقد ضمّت مكتبته الخاصة عددًا كبير من الكتب التي أهديت له من مؤلفين عرب وأجانب، كما وضعت مؤلفات، بعضها نادر، عن المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية.

٧٢ ٧٦ ١٠٥



قصور الملك عبدالعزيز

حرص الملك عبدالعزيز على متابعة شؤون البلاد من كثب، فكانت له بعض القصور القليلة العدد في مناطق مختلفة من المملكة تميزت بخصائص فنية رفيعة مستمدة من أصالة العمارة العربية.

وتنقسم هذه القصور ثلاثة أقسام: الأول قصور لم ينشئها الملك عبدالعزيز، والقسم الثاني قصور جدد بناءها الملك عبدالعزيز، والقسم الثالث: قصور أنشأها الملك عبدالعزيز.



نقود الملك عبدالعزيز المضروبة في أم القرى: أهميتها ودلالتها

مع أن مكة المكرمة عُرفت مكانًا لسك النقود في عصور تاريخية مختلفة، إلا أن اسم أم القرى لم يظهر على النقود إلا في عهد الملك عبدالعزيز، وكان هدف النقود الأولى المضروبة في هذه المدينة المقدسة تأكيد سلطة الملك عبدالعزيز عليها.



رسائل تاريخية

تنقل الرسائل القديمة صورة صادقة عن العصر الذي كتبت فيه وأحداثه، وعن طبيعة العلاقات القائمة بين المرسل والمستقبل، وتنشر «الفيصل» في هذا العدد رسالة من الإمام فيصل بن تركي إلى أهل العارض، ومجموعة من رسائل جلالة الملك فيصل إلى جده الإمام عبدالرحمن بن فيصل بن تركي، يرحمهما الله .

١٢٨ ١٣٠



روضة التنهاة

التنهاة روضة من أجمل رياض نجد وأخصبها، اعتاد الملك عبدالعزيز الخروج إليها في أوساط الربيع، حتى كان يقيم فيها مدة شهرين أو ثلاثة أشهر، وقد شهدت روضة التنهاة بعض الحوادث التاريخية المهمة، وجاء ذكرها في كتب المؤرخين، فماذا قالوا عنها؟

الفيصل

الناشر: دار الفيصل الثقافية

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

السعر الإفرادي:

السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ١٥٠ جنيه ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الإعلانات:

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: **يحيى محمود بن جنيد**
مدير التحرير: **عبدالله يوسف الكويليت**

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨

الطوابع في عهد الملك عبدالعزيز

سعود بن نسيب السباعي

يتخذ الناس هوايات مختلفة، بعضها مكلف، وبعضها الآخر في متناول الجميع، وتبدو بعض هذه الهوايات غريبة وعجيبة لمن لا يمارسونها. بينما تبدو ممتعة وشائقة لممارسيها، وتنوعت هذه الهوايات تنوعًا كبيرًا، فمنها، على سبيل المثال لا الحصر: جمع المسابح(١)، وجمع العملات، وجمع بطاقات الهاتف، حتى تصل إلى جمع أعواد الثقاب وعلبها على اختلاف أنواعها ومصادرها، ومن الهوايات الغربية جمع أنواع معينة من الحيوانات أو الطيور أو الزواحف وتربيتها، وجمع الطاسات الخاصة بإطارات السيارات، وجمع الأحذية، وجمع بطاقات الدعوات، ويمكن الاستمرار في ذكر مثل هذه الهوايات إلى غير نهاية.

ويبذل أصحاب هذه الهوايات كثيراً من الجهد والمال والوقت في سبيل الوصول إلى مبتغاهم، ويحاول كل واحد منهم أن يكون مميزاً بين أقرانه الذين يشاركونه في هوايته، فيبحث عن كل سبيل يؤدي به إلى الحصول على النادر والثمين مما يجمعه، وينظر بعضهم إلى هوايته على أنها جزء أصيلٌ من حياته لا يمكن التفريط فيه مهما بلغت الإغراءات. وليس بمستغرب أن يطرح أحدهم هذا السؤال على سبيل الاستنكار لمن يطالبه بشيء مما جمعه: هل يستطيع الإنسان أن يفرّط في أحد أولاده؟ ومن يمارس هواية يحبها لا يجد عجباً في مثل هذا التعلق، وقد أدركت ذلك من واقع ممارستي لهواية جمع الطوابع والظروف البريدية، وقد أخذتها عن والدي - يرحمه الله - الذي كنت أراه يبذل كثيراً من وقته وجهده وماله في سبيل الحصول عليها وترتيبها في مجلدات خاصة تقيها من التلف، ولم أكن أعلم سر تلك السعادة التي تغمره وهو يمارس هذه الهواية. ولم أعرف



توشيح السلطنة النجدية الأول على طوابع عثمانية





تذكار الحج الأول في عهد
السلطنة النجدية

لسؤالي جوابًا إلا حين بدأت في ممارسة الهواية نفسها.

وقد جمعت مجموعة كبيرة من الطوابع الصادرة في الدول العربية، إضافة إلى طوابع الولايات المتحدة الأمريكية التي بدأت في جمعها في أثناء دراستي هناك.

ومع أن لدي عددًا كبيرًا من الطوابع المختلفة، إلا أن أهم ما في مجموعتي من طوابع، هي تلك التي صدرت في المملكة العربية السعودية منذ عهد بعيد، فقد كان يُتداول فيها قبل توحيد البلاد طوابع مصرية وعثمانية، وتعد هذه المجموعة شبه كاملة بإصداراتها المختلفة وتوشيحاتها وأغلاطها، ولا زلت أجدّ في البحث عما ينقص هذه المجموعة.

وتقدم الطوابع التي صدرت في البلاد سردًا لكثير من الإنجازات والمشروعات والمناسبات الوطنية والعربية والإسلامية والدولية.

ومما اهتمت هذه الإصدارات بإبرازه : صور الحرمين الشريفين، والثروات البترولية والمعدنية، والحياة الفطرية بما فيها من زهور وحيوانات وطيور، كما تبرز الإنجازات الثقافية والحضارية التي حققتها البلاد في ظل راية التوحيد، كتلك الإصدارات الخاصة بالجامعات ومكتباتها، أو تلك الخاصة بالمدن الرئيسة، والموانئ البرية والبحرية والجوية، والمعارض الوطنية، أو تلك التي تتناول تطور الرياضة الذي تعكسه المنشآت الرياضية، والدورات التي تنظمها المملكة على المستوى العربي والقاري والدولي.

كانت الطوابع المصرية والعثمانية هي المتداولة في الجزيرة العربية إلى أن أعلن الشريف حسين بن علي استقلاله عن الإمبراطورية العثمانية في عام ١٩١٦م، فأصدر مجموعات من الطوابع تحت مسميات: بريد الحجاز، وبريد الحكومة العربية الهاشمية، وكان بذلك أول من أدخل كلمة بريد باللغة العربية على الإصدارات التي كانت تستعمل آنذاك.

وتكررت طباعة هذه الإصدارات، وأضيفت إليها إصدارات جديدة، إذ تم التغيير في ألوانها، وإصدار طوابع لفئات مالية جديدة، واستمر تداول هذه الطوابع حتى دخل الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ مكة المكرمة، حيث قام بتوشيحها بخاتم السلطنة النجدية قبل إعادة تداولها، وحمل بعضها عبارة «السعودية ـ السلطنةالنجدية». وتعد هذه الطوابع من أندر الطوابع السعودية وأكثرها قيمة.



توشيح الحكومة العربية الهاشمية
وعليه توشيح بريد السلطنة النجدية



فئة من مجموعة ولاية عهد الأمير سعود بن عبدالعزيز



أول مجموعة بريد جوي باسم المملكة العربية السعودية

وعندما قام الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - بأداء فريضة الحج في عام ١٩٢٥م، تم توشيح بعض الطوابع بعبارة «تذكار الحج الأول في عهد السلطنة النجدية»، وهذه أيضاً من الإصدارات المهمة والنادرة.

بعد أن فتح الملك عبدالعزيز المدينة المنورة ومدينة جدة، وشحت بعض الطوابع الصادر بعبارة «تذكار المدينة - البريد النجدي»، و«تذكار جدة - البريد النجدي»، مع تعديل الفئات المالية على الطابع نفسه.

وبعد مبايعة الملك عبدالعزيز ملكًا على الحجاز ونجد في عام ١٩٢٦م، صدرت أول مجموعة طوابع من ست فئات تحت مسمى بريد الحجاز ونجد، وأعيدت طباعة هذه المجموعة في العام نفسه، مع التغيير في ألوانها، وتم توشيحها بكلمتي «المؤتمر الإسلامي» في وسط الطابع، وعن يمينها ٢٠ ذي القعدة، وعن يسارها سنة ١٣٤٤هـ.



فئة من إصدار الاجتماع التاريخي في رضوى

أما الإصدار الثاني طفرة الملك عبدالعزيز فكان من ثماني فئات، وصدر تحت مسمى جديد هو «الحكومة العربية - بريد الحجاز ونجد»، ووشحت بفئاتها الثماني بعبارة «ذكرى ملكية نجد وملحقاتها»، وتوالت الإصدارات في عهد ملك الحجاز ونجد عبدالعزيز، يرحمه الله، وأدخلت اللغة الإنجليزية على هذه الإصدارات، فكتبت عليها POSTES HEDJAZ & NEDJDE، ويلاحظ الخطأ في كتابة كلمتي نجد والحجاز بالإنجليزية، ومثل هذا الخطأ الطباعي يزيد من قيمة الطوابع التي تحمله، مما يجعل هواة الطوابع يجدّون في البحث عنها واقتنائها. وصدرت مجموعة جديدة أدخلت عليها اللغة الفرنسية التي كانت اللغة الرسمية للاتحاد البريدي العالمي، الذي انضمت إليه المملكة عام ١٩٢٩م.

أما أول مجموعة من الطوابع تحمل الشعار الوطني للمملكة (السيفين والنخلة) فصدرت من خمس فئات بمناسبة ذكرى الجلوس الملكي الرابع في عام ١٩٣٠م، وبعد إعلان توحيد البلاد تحت اسم المملكة العربية السعودية صدرت أول مجموعة طوابع تذكارية تحمل هذا الاسم في عام ١٩٣٤م، وكان ذلك عند تنصيب الأمير سعود بن عبدالعزيز - يرحمه الله - وليًا للعهد، وكانت هذه المجموعة تتكون من اثنتي عشرة فئة، ومما يميز هذه المجموعة أنها



بعض الفئات من أول إصدار يحمل الشعار الوطني للمملكة (السيفين والنخلة)



خطأ في هذا الطابع من فئة عشرة قروش، إذ جاءت كلمة قرش بدلاً من قروش

كانت من جزأين: الجزء الأول مخرم بفئاتها كلها، وكان الجزء الثاني غير مخرم.

وتعد هذه المجموعة من أهم الإصدارات البريدية السعودية وأكبرها قيمة لقلة ما طبع منها.

وصدرت في العام نفسه أول مجموعة طوابع عادية من أربع عشرة فئة تحمل اسم المملكة العربية السعودية، ومن فئاتها النادرة فئتا المئة قرش، والمئتي قرش.

وأصدرت المملكة في عام ١٩٣٧م من طوابع (مستحق) ثلاث فئات، كما أصدرت عام ١٩٣٩م طوابع (حكومي) من ست فئات.

وكان أول إصدار بريد جوي يحمل اسم المملكة العربية السعودية في عام ١٩٤٩م، وكانت على الطابع صورة الطائرة DC3، وكان هذا النوع من الطائرات أول ما استخدم داخل المملكة لنقل المسافرين والبريد. وقد أهديت طائرة من هذا النوع إلى الملك عبدالعزيز من الرئيس الأمريكي روزفلت عند لقائهما في عام ١٩٤٥م، فأهداها - يرحمه الله - بدوره لتكون في خدمة البلاد عامة.

وتتابع إصدار الطوابع في المناسبات التاريخية، ومن أهم المجموعات، تلك التي صدرت بمناسبة ذكرى الاجتماع الملكي في رضوى في عام ١٩٤٥م، والذي ضم الملك عبدالعزيز والملك فاروق ملك مصر، يرحمهما الله، وكانت من أربع فئات.

وصدر طابع واحد بقيمة نصف قرش في عام ١٩٤٦م بمناسبة ذكرى عودة جلالة الملك عبدالعزيز من مصر إلى عاصمة مملكته.

وأمر الملك عبدالعزيز بإتلاف هذا الطابع الذي صدر يحمل كلمة



جاء الحرف B بدلاً من R في كلمة ROYAUAME الفرنسية في الطابع فئة النصف قرش والكلمة صحيحة في الطابع فئة الثلاثة قروش



طابع بمناسبة زيارة رئيس الجمهورية اللبنانية للمملكة



خطأ في الطابع فئة النصف قرش، كتب عليه كلمة POSTFS بدلاً من كلمة POSTES

التوحيد، خوفًا من إساءة استعماله، فتم سحب الكميات وإتلافها، وأعيد إصدار الطابع بعد شطب كلمة التوحيـد، ، ويمتلك بعض هواة جمع الطوابع هذا الطابع قبل الشطب وبعده. وهو يعكس غيرة الملك عبدالعزيز على دينه.

وصدرت في عام ١٩٥٠م مـجموعة من فئـتين بمناسبة زيارة ملك أفغـانستان إلى المملكة. وأعقبها في العام نفسه صـدور مجموعة من خمس فئات في ذكرى مرور خمسين عامًا على دخول الرياض.

وصدرت في عام ١٩٥١م مجموعـة من فئتين بمناسبة زيارة الملك طـلال ملك الأردن المملـكة، وفي عـام ١٩٥٢م صــدرت مجـموعة من خـمس فئات، هي سكة حـديد الحكومة السـعودية (السـفرة الافـتتـاحيـة)، وهذه من المجـموعات القـيمـة في الطوابع السعودية الحديثة.

وشهد عام ١٩٥٣م صدور ثلاث مـجموعات، ضمَّت كل مجـموعة منهـا فئتين، وكـان صدورها بمناسبـة زيارة رئيس لبنان، وحاكم باكستان، والملك حسين المملكة.

وضـمت الإصـدارات الأولى في مـجلدات (ألبــومـات) حكومية، وألصق بعضها على ورق مقوى.

واستمرت طباعة بعض الطوابع في مصر وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكيـة، وفي بعض المطابع الأهلية داخل المملكة إلى أن أنشئت المطابع الحكومية مزودة بأحدث الأجهزة.

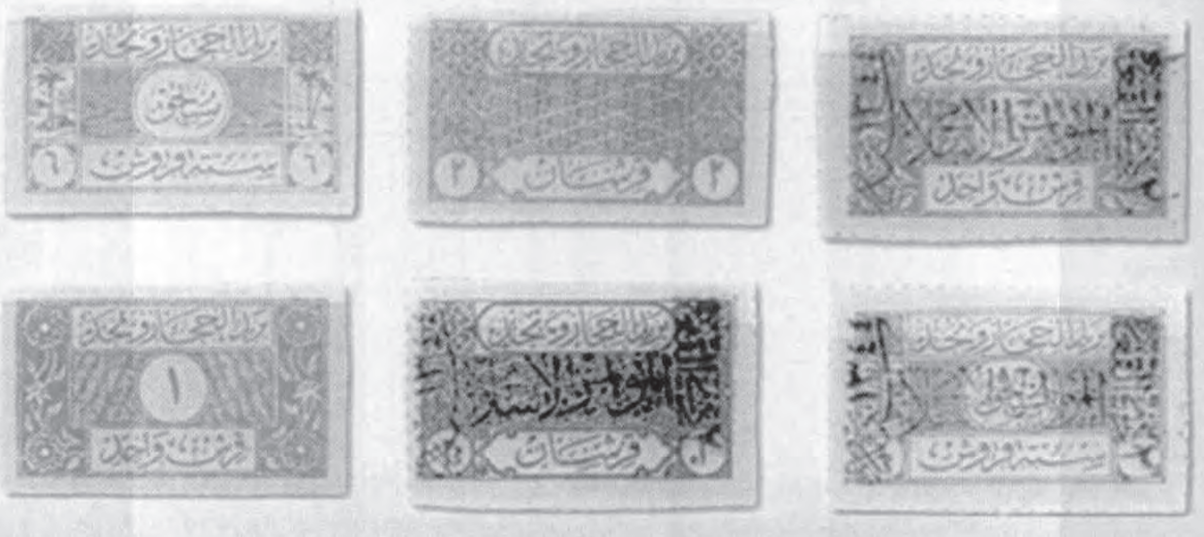


سكة حديد الحكومة الحجازية ـ السفرة الافتتاحية

الهوامش

المسابح: جمع مسبحة

ـ الطوابع من المجموعة الخاصة لكاتب المقال



بعض الفئات من أوائل المجموعات التي صدرت في عهد الملك عبدالعزيز وتم توشيحها بخاتم المؤتمر الإسلامي



السلفيون في الهند والملك عبدالعزيز

محمد بن سعد الشويعر

المتتبع لمسارات التاريخ، يدرك مكانة دين الإسلام، فهو ما إن ينحسر ظلّه في جهة، حتى ينبعث في جهة أخرى؛ فالإفرنج لما استولوا على بلاد الأندلس، كان محمد الفاتح العثماني يفتتح القسطنطينية، ويبعد الروم من آسيا كلها لتكون قاعدتهم في أوروبا.

والتتار لما زحفوا على بغداد، وقضوا على الدولة العباسية، هيأ الله علماء في الشام ومصر للقيام ضدهم، وإيقاف زحفهم. والصليبيون في بلاد الشام، لما ظنوا ثبات أقدامهم إلى الأبد، كان طردهم على يد صلاح الدين الأيوبي، رحمه الله، وسلاحه في هذا هو إعادة مصر - بعد التشيع الذي نشره الفاطميون - إلى السلفية التي جاء بها علماء من الشام بثّهم صلاح الدين في الديار المصرية، فتحولت مصر إلى السلفية.

والمغول في زحفهم على ديار الإسلام، تغلغل الإسلام في قلوب فئة منهم، فأقاموا حكومة إسلامية في الهند، وكانوا سنيّين في معتقدهم، على طريقة الغزنويّين الذين قضوا على الدولة الصفوية.

وفي نيودلهي بالهند، يوجد جامع كبير، بجواره قلعة تعرف باسم القلعة الحمراء، بناهما الملك المغولي المسلم شاه جهان، واسمه خرّم أي مسرور، وقد ولد عام ١٠٠٠هـ، وتولى الملك بعد والده جهانكير المتوفى عام ١٠٣٦هـ، ومكث في الملك مدة ٣٥ عامًا، وهو الذي بنى المعلم التاريخي «تاج محل» في «أكره» يريده قبرًا لزوجته(١).

وقد كتب الدكتور عبدالمنعم النمر، جزءًا مهمًا من تاريخ الهند، أخذ أغلبه مشافهة عندما كان مدرسًا في الهند.

ولما كانت الهند مرتعًا لكثير من الديانات المختلفة، والأعم الأغلب فيها وثنيٌّ، كان العلماء السلفيون حريصين على تنقية العقيدة، بل وقفوا في وجه الاستعمار لما أراد بسط نفوذه على ديار الهند، وكانوا المقاومين له، بينما سار في ركابه، وأيّده القاديانيون وغيرهم، فكان الصراع بين السلفيين وخصومهم على أشده، حتى إن أشد تهمة تودع السجن هي التهمة الوهابية؛ لأنهم يرونهم متأثرين بالدعوة السلفية الإصلاحية التي انبعثت من الدرعية قلب نجد، ووقف المستعمرون في أنحاء الأرض ليبثّوا الأكاذيب ضد هذه الدعوة، يساعدهم الجهلة والحشويون وأصحاب المصالح، لكونهم الأرض الخصبة التي تعطي ثمار تلك الحملة المشوّهة.

وكان أحمد ظفر خان المولود في البنجاب عام ١٢٩٠هـ، وأحد كبار علماء الهند، والسلفي العقيدة، قد حمل مشعل الدعوة والإصلاح في الهند، ولكي يتخلص منه خصومه، وهم كثيرون، لقلة السلفيين في ذلك الوقت، فقد وَشَوا به إلى السلطة الاستعمارية بتهمة أنه «وهّابيّ»، وهذه التهمة تعني في الهند وغيرها أنه ضد السلطة القائمة على الحكم؛ لما في دعوته من رغبة في الإصلاح، وتنقية الدين من البدع، وتوعية المسلمين بما لهم وما عليهم في أمورهم كلها.

وهذه التهمة ألصقت بالسلفيين في الهند، على أن أحمد ظفر خان واجه ذلك كله بشجاعة، وكتب في جريدة«بوينير» رسالة مطولة بعثها إلى مديرالتحرير يوضح رأيه في قضية الحركة الوهابية الهندية جاء فيها: «إن بعض أصدقائي المرموقين، والكبار سوف تصيبهم الحيرة تمامًا حين أعلن لهم أنني وهابيّ قلبًا وقالبًا، وأنني من مؤيدي الوهابية وحماتها، إلا أنني في الوقت نفسه أرجو ألا يفسروا وهابيتي بمعنى المفسد، وهو ما أشاعه بعض من أساء فهم معنى الوهابية في الهند. والحقيقة أنهم لا يدرون شيئًا عن المعنى الحقيقي للوهابية. أنا على يقين أن العداء ضدهم إنما كان بسبب هذا الأمر، ومن هذه الناحية فإنني لا أعرف تمامًا الظروف الحقيقية لمحاكمة السلفيين التي تدور هذه الأيام في محكمة بَتْنَهْ».

وتعود علاقة علماء الهند السلفيين بالملك عبدالعزيز إلى مسارين: الأول خلفيتهم عن دور آل سعود في نصر العقيدة السلفية، وما أحدثوه في الحجاز من إصلاحات وأمن أيام الدولة السعودية الأولى، حيث عرفها المسلمون في كل مكان، وتأثروا بمنهجها، وبدورها في إصلاح المجتمع الإسلامي، حتى تعاون أعداء هذه الدعوة على القضاء على

الدولة السعودية، وسقطت الدرعية في عام ١٢٣٣هـ، ولكن الله أعادها ثانية، ثـم ها هي ذي ثالثة تقـوم على يد البطل المغوار عبدالعـزيز في عام ١٣١٩هـ.

الثـاني: ابتـهاجـهم بدخـول الملك عبدالعـزيز ـ رحـمـه الله ـ مكة المكرمـة عـام ١٣٤٣هـ الموافق ١٩٢٤م، ثم استـسلام حـاميـة المدينة، وخـروج الـشـريف حسـين من جدة عـام ١٣٤٤هـ الموافق ١٩٢٥م. وسبب ذلك أن مسلمي شبه القارة الهندية غاضبون على الشريف حسين في الحجاز لعدم قـدرته على توفير الأمن للحجاج خـلال فترة حكمه، إذْ كـثيرًا ما تعـرضـوا لغارات قطاع الطرق، وفـقـدوا أموالهم وأرواحـهم، ونتيجة لهذا كان بعض كبـار زعماء المسلمين قد فقدوا الأمل في إصلاح الأحـوال في الحجـاز تحت حكم الشـريف حـسين وأولاده، وفي مقـابل ذلك، كـانوا مـعـجبـين بدعـوة الملك عـبدالعـزيز السلفية، ومـحـاربتـه للبـدع والخرافات، وبقوة شخصيته واستقامته في الدين، بخـلاف العـوام من مـسلمي الهند المبـتـلين بأنواع مـن البـدع والمنكرات، وبعض فـئـات من العلمـاء، والصـوفيـة ـ السائرة على طريقة بعض المعتقدات الوثنيّة القديمة في الهند ـ الذين يزينون لهم تعظيم قبور الصالحين، وإقامة حفلات موالدهم، وغيـر ذلك من الأمور المبتدعـة المنكرة في مجال العقيدة والعمل. وكل هؤلاء كانوا يكنّـون حـقـدًا على الدعـوة السلـفيـة النجـديّة، وعندهم أفكار مشبوهة عنـها، وزاد من حـدة هذه الكـراهيـة الدعـاية المغرضـة التي بثّهـا المستعمر ضـدها باسم المذهب الوهابي(٣).


عبد المنعم النمر

وأحمد عبدالغفـور عطار ـ رحمه الله ـ قال في تاريخه: «كل أقطار الإسلام كانت تغطّ في الجهل والبـدع، ولم يسلم الحجاز وأرض الحرمين من الحمول والبدع، وأنا أدركت آثار الخرافات والبدع الشائعة في مكة، حرسها الله، وقضى عليها صحو العقل الذي يعود الفضل فيه ـ بعد الله ـ للدعوة الوهابية»(٤).

ولما نـشط أعـداء السلـفـيين في الهند، بمؤتمراتهم وندواتـهم، وأكاذيبـهم ضد الملك عبـدالعزيز، بعد مـا دخل الحجاز، واستتب الأمن فيـه، كان السلفيـون هناك أكثر نشاطًا في تفنيد الأكاذيب، والرد على الشبـهات، وكانـت صحفـهم: «أهل الحديث» التي كـان يرأس تحريرها الشيخ ثناء الله الأمـرتسري، المتوفى عـام ١٣٦٧هـ. ومقرّها أمـرتسر، ثم نيودلهي في المقر الرئيس لجمعية أهل الحديث. و«أخبار محمدي» ورئيس تحريرها الشيخ محمد بن إبراهيم الجوناكرس المتوفى عام ١٩٤٢م الموافق ١٣٦١هـ، وقد نشر فيـها مقالات ورسائل في الدفاع عن العقيدة، وعن الملك عبدالعزيز، وفي تلك الرسائل:

ـ رسـالـة «مملكت مـحـمـدي» ألفّـهـا عـام ١٩٢٦م الموافـق عـام ١٣٤٥هـ، وهي تتـضـمّن الرد عـلى «شـوكت علي»، و«مـحـمـد علي»، وغيرهما من الزعماء السيـاسيين الذين قاموا بحركة تدعو إلى تعطيل الحج وتأجيله، حـتى ينتهي دور آل سعـود، ويتم إبعادهم عن الحجاز، وقـد ذكر في ردّه هذا الأدلة من الكتاب والسنة على مشروعـية الملكيّة وجوازها، ثم ردّ على المشاغبين الذين قاموا بحركة تأجيل الحج.

ـ رسالة «حج مـحمـدي» ألفها في عـام ١٩٢٦م الموافق ١٣٤٥هـ، وهي تتضمن المـوضوع السابق نفسه، إلا أن بهـا زيادة، وقد ختمـها بذكر بعض الافتـراءات التي كانت تلصق بأهل نجد، وبالملـك عبدالعزيز، رحـمه الله، وردّ عليها من خلال كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

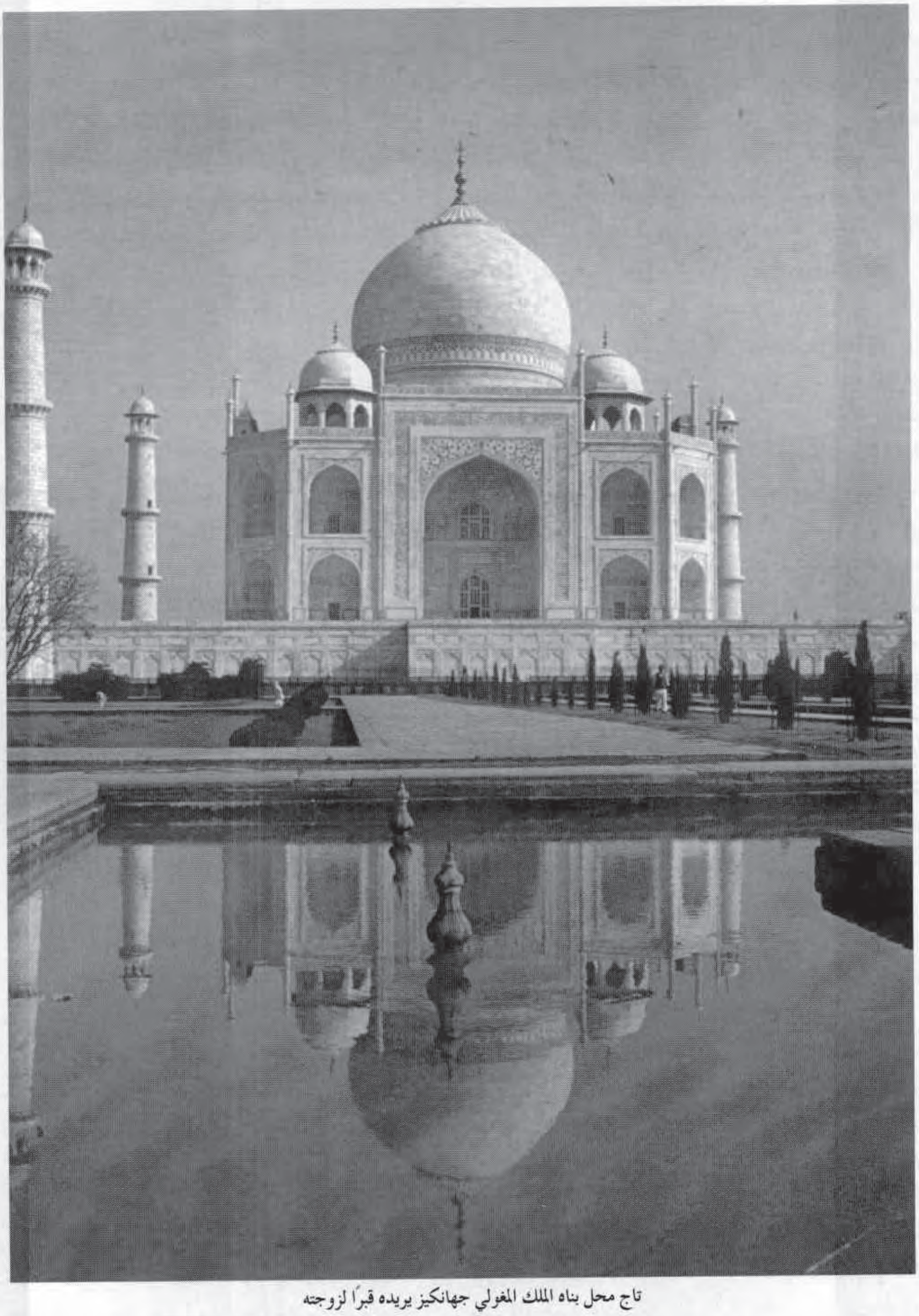
ـ رسـالة «توحيـد محـمدي» ألّفـهـا ردًا على القبـوريين الذين رفعـوا أصواتهم ضد الملك عبـدالعزيز آل سعود، وأهل نجد في أعقـاب ما قاموا به من هدم القبور المزيفة، والقبب المبنية عليها، واستدل على هدم القبب المبنيّة على القبور، بما يقارب مئتي دليل من الكتاب والسنة وآثار السلف، وأقوال الأئمة، وفتاوى علماء الحنفيّة(٥).

ـ وكانت «زميندار» لصاحبها ورئيس تحريرها ظفر علي خان صحيفة يوميـة. وقد كان مسـجونًا عندما دخل الملك عـبدالعزيز الحجـاز، ويتولاها عنه تلميـذه: غـلام رسول مهـرا، وتعدّ هـذه الصحيـفة أول من كـتب عن الملك عبـدالعزيز في يوم ٢٤ أكـتوبر/تشرين الأول عـام ١٩٢٥م ـ أي بعد دخول الملك عبـدالعزيز إلى مكة بأسبوع فقط، تحـذيرًا للإنجليز من التدخل في شـؤون الحـجاز، كـمـا أنها أشـادت بالسلطان عـبدالعـزيز ابن سعـود، وغيرته على الأمور الدينية، وآمال المسلمين في تحـقيق استقلال الحجاز، بل وجـزيرة العـرب بواسطته، كـمـا دعـت «زمـيندار» المسلمين أن يدعـوا الله لنصـرة هذه القوة الإسـلاميـة الصـاعدة في جـزيرة العرب، لأن مـثل هذا الدعاء أكبر وسيلة لتأييد وتقوية السلطان ابن سعود(٦).

وقـد سـاعـد على تصـحيـح المفاهيـم، وتوثيق الصلة مع علمـاء الهند السلفيين، وجود مـجمـوعـة من التجـار المقيـمين في الهند من أهل نجـد، واستمرار العـلاقة التجارية والعلميـة بين أهل نجد والسلفيين من أهل الهند، وفي مقدمة التجار الشيخ يوسف الـفوزان(٧)، الذي جعله الملك فيما بعد قنصلاً في بومباي المركز التجاري بالهند.

كان طلبة العـلم يذهبون إلى الهند للدراسة، وعددهم كـثير، ومن هؤلاء: الشـيـخ إسـحـاق بن عـبـدالرحـمن آل الشـيـخ [١٢٧٦ ـ ١٣١٩هـ]، الذي ذهب إلى دلهـي للدراسـة عـام ١٣٠٩هـ، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق [١٢٧٩ ـ ١٣٤٩هـ]، الذي ذهب للدراسة في دلهي عـام ١٣٠٩هـ، والشـيـخ فـوزان السـابق الفـوزان [١٢٧٥ ـ ١٣٧٥هـ] المولود في بريدة، والذي جـعله الملك عبـدالعـزيز فيـما بعـد ممثلاً له في مصر، وبقي مدة طويلة إلى أن توفي بالقاهرة، وغيرهم كثير من نجد ومن الحجاز(٨).

وقـد رأى الدكـتور سيـد رضـوان في بحثه عن ظفـر خـان والملك عبـدالعزيز أن أنصـار السلفية في الهـند كانوا قبل دخـول الملك عبـدالعزيز الحجاز قليلين في الهند، ولكنهم يتمتعون باحترام المسلمين لمواقفهم الجريئة



تاج محل بناه الملك المغولي جهانكيز يريده قبرًا لزوجته

ضد الاستعمار الإنجليزي، وهم يتمثلون في «جمعية الخلافة»، و«جمعية علماء الهند»، و«جمعية أهل الحديث»، و«ندوة العلماء» في لكنوء، وكانت «جمعية الخلافة» تحت زعامة: شوكت علي وأخيه محمد علي أنشط الجماعات الإسلامية وأقواها في تأييد موقف الملك عبدالعزيز، ولها ولزعيمها مكانة سامية، وقبول عام بين مختلف فئات المسلمين، لموقفها السياسي في محاربة الاستعمار، ووقوفها مع الدول العثمانية في محنتها بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى.. وفي إطار هذه الخلفية الدينية والسياسية يجب النظر إلى علاقات مسلمي الهند وزعمائها بالملك عبدالعزيز(٩).

موقف الملك عبدالعزيز

في ضوء ما يحدث في الهند، وبعد أن بدأت الأنظار تتجه إلى هذا الزعيم الذي وفقه الله بمدّ نفوذه على الحجاز، لينضم إلى أطراف الجزيرة

التي اتّحدت تحت راية الملك عبدالعزيز التي تحمل كلمة التوحيد، ورمز العقيدة السلفية روحًا ومعنى: لا إله إلا الله محمد رسول الله، كان لابد أن يكون هناك جهود تُبذَل. فقد بعث الملك عبدالعزيز في أول شعبان عام ١٣٤٣هـ نداء وزّع على أوسع نطاق في العالم الإسلامي كله، وتعهدّتْ فيه حكومة ابن سعود بحماية الحجاج، وتحملت مسؤولية ذلك أمام الرأي العام العالمي، وقد نشرت نصّه ـ كما ذكر أحمد عبدالغفور عطّار ـ صحف بلدان المسلمين. أما المطوفون الذين سافروا إلى الهند، وجاوا، وأفغانستان، وإيران، وأقطار إفريقية، فقد حملوا معهم عشرات الآلاف من النسخ، كما أرسلت بالبريد إلى الحجاج من قبل مطوفهم. وألصق النداء على أبواب الفنادق في الهند وفي غيرها من ديار المسلمين، وفي واجهات المحال التجارية، وأبواب المساجد وجدرانها،

كان تعرض الحجاج الهنود لغارات قطاع الطرق، وغياب الأمن في الديار المقدسة من أسباب ابتهاج مسلمي الهند بدخول الملك عبدالعزيز مكة المكرمة



أحمد عبد الغفور عطار

وفي الطرقات بمختلف اللغات(١٠).

ثم إن الملك عبدالعزيز، لكي يطمئن المسلمين في الهند، بعث رسالتين الأولى برقم ١٤٨ تاريخ ١٦شوال عام ١٣٤٣هـ إلى حاكم عدن للحكومة البريطانية، والثانية برقم ١٤٩شوال ١٣٤٣هـ إلى شوكت علي رئيس جمعية الخلافة في بومباي في الهند من سلطان نجد، وبعنوان السلطنة النجدّية، وهذا نص **الرسالة الأولى**:

«من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل السعود إلى حضرة صاحب الفخامة والاحترام حاكم عدن، لحكومة صاحب الجلالة البريطانية العظمى بعده: أهدي حضرتكم مزيد التحية والاحترام، وأخبر حضرتكم بأنه قد سبق وأظهرنا لسعادتكم رغبتنا الأكيدة في قبول من يفد على هذه البلاد من حجاج بيت الله الحرام في الموانئ التي تحت إدارتنا، ورجوناكم آنئذ أن تتفضلوا بإبلاغ من يهمه الأمر، وأن تتوسطوا بإيصال الخبر لحكومة الهند، هذا وفي الوقت نفسه نخبر سعادتكم أنه قد تم الاستحضار اللازم، في ميناءي القنفذة والليث، من إحضار الزوارق والسنابيك، وما يضمن راحة النازلين إلى البرّ من أسباب السكنى، ووسائط النقل إلى مكة المكرمة، هذا علاوة على ما تتمتع به هذه البلاد من الأمن التام والسكينة والطمأنينة اللاتي تخيم فوق ربوع هذه الديار، وهي الشرط الأول الذي يهم الوافد إلى هذه الديار، وفوق هذا كله قد أخذنا على أنفسنا أن نمدّ الوافدين إلى هذه البلاد بجميع الوسائل الممكنة، بكل ما يكفل راحتهم، ويسهل مبتغاهم في الحلّ والارتحال، أرجو سعادتكم أن تتفضلوا، وتوصلوا هذا الخبر إلى حكومة الهند، لكي تبلغه لمن يهمه الأمر، من المسلمين، أكون مسرورًا أن تقبلوا صميم احترام المخلص».

أما الرسالة الثانية فنصها:

«من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل السعود إلى حضرة المكرم الأخ في الله، السيد شوكت علي رئيس جمعية الخلافة الموفقة في بومباي المحترم.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: أرجو لكم تمام الصحة والعافية بعده: لقد وصل إلينا أخيرًا خطاب من وكيلنا في عدن الحاج عبدالله آل فضل يذكر فيه أن جمعيتكم المحترمة سئلت منه عما إذا كانت الموانئ الحجازية القنفذة والليث ورابغ هنّ على استعداد من حيث وجود السنابك والاستحضارات الضرورية، لقبول الحجاج الهنود في هذه السنة، وقد أفادكم بما يقتضي.. وعليه أزيدكم بأن الموانئ الآنف ذكرها، وخصوصًا ميناءَي القنفذة والليث، في الوقت الحاضر، هما على أتم الاستعداد لقبول ما ينزل فيهما من الحجاج، وقد توافرت في هذين الميناءين، جميع ما يحتاج إليه الحجاج من الوسائط الضرورية، كوفرة الزوارق والسنابك في الميناء بكل ما يمكن حصوله من وسائط النقل في هاذين الميناءين إلى مكة المكرمة من الجمال والدواب وغيرهما.. زدْ عليه ما تتمتع به هذه البقعة، من الأمن التامّ، والسكنية والطمأنينة بالشكل الذي لم تعهده هذه الديار من أمد بعيد، هذا ونحن على استعداد لإتمام راحة من يفد على هذه البلاد، من حجاج بيت الله الحرام بجميع الوسائل.. هذا ما لزم، وأرجو أن تتقبلوا شكري والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

ولما كان شوكت علي المذكور يميل مع الدولة العثمانية، التي خسرت الحرب ضدها في الحرب (١١) العالمية الأولى، حيث سقطت الخلافة، فإنه كان يضمر ضد الملك عبدالعزيز أمورًا يريد تحقيقها في مؤتمر الخلافة الذي دعا إليه. يقول الشيخ عبدالله بن بسام في ترجمته للشيخ عبدالله بن بليهد: لما استولى الملك عبدالعزيز على الحجاز عام ١٣٤٣هـ نقل الشيخ عبدالله بن بليهد من قضاء حائل إلى رئاسة محاكم القضاء في مكة، فصار هو الذي يقابل الوفود الإسلامية، وكان له مواقف مشرّفة، حُمد عليها في تلك الأيام القلقة، ومن تلك المواقف ما ذكره حافظ وهبة في كتابه: «جزيرة العرب» قال: لما استولت الدولة السعودية على الحجاز، جاء وفد من الهند برئاسة مولانا شوكت علي، وطلبوا من الملك أن يعيّن لهم مجلسًا، يكون مؤتمرًا إسلاميًا، تجتمع فيه وفود الدول الإسلامية، فوافق الملك عبدالعزيز، وانتدب الشيخ عبدالله بن بليهد فتكلّم عنه، فاجتمع الوفد في بناية المالية بمكة، ولما تكاملت الوفود تكلم شوكت علي بكلام تحامل فيه على الحكومة السعودية، ولما فرغ من



كلامه، قام الشيخ عبدالله بن بليهد، فتكلم بكلام بليغ، بأسلوب لطيف مقنع، ردّ فيه على شوكت علي، فانفضّ المؤتمر، وقد حمدت الوفود، وكذلك الملك عبدالعزيز، الشيخ ابن بليهد على كلامه(١٢).

ولعل ما حصل في هذا الموقف هو الذي نوّه به عبدالرحمن نصر في كتابه «عاهل الجزيرة» عندما قال: ولكن ابن سعود تلقى الوفود بلطف، وأراهم أن قبر الرسول صلى الله عليه وسلم سليم لم ينسف كما قيل، وتعهد لهم بأنه لن يدع الدويش، ولا واحداً من رجاله، يدخل المدينة المنورة، وجاءه الهنود، وكانوا أقرب إلى المودّة، وإن كان علاج أمرهم أشق وأدّق كلفة؛ إذْ جعلوا يكثرون من الكلام على الديمقراطية والتقدم المادي الذي يشاهد عند الأمم الغربية، ويرددون الألفاظ والعبارات التي سمعوها من الإنجليز، وفيهم صلف وكبرياء، ولهم دعاوى طوال، وقد راحوا يظهرون، صراحة، مبلغ احتقارهم للعرب، واعتقادهم أنهم أرقى منهم شأنًا، وأرفع مكانًا.

ولكن ابن سعود، بشيء من اللباقة العجيبة، تمكّن من تحاشي قيام منازعات بينهم وبين النجديين، واستطاع أن يمنع الخلاف بينهم وبين الحجازيين، فعادوا إلى بلادهم مكظومين لا يستطيعون المصارحة بما في نفوسهم من استياء(١٣).

ولما كان يقال في المثل: «البقاء للأصلح»، فإن جمعية أهل الحديث بالهند، لأنهم سلفيو العقيدة، يحرصون في معتقداتهم أن يسيروا وفق كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فكانوا مع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، رحمه الله، وآل سعود، ورأوا في الملك عبدالعزيز بعد ضمه الحجاز، ومنذ أن دخل مكة ١٣٤٣هـ ناصراً لتلك الدعوة التي نشرها أجداده، وأنه كما يقول أبو المكرم السلفي الهندي: استحق الجدارة بحماية الحرمين الشريفين اللّذين هما مرنى أفئدة المسلمين على وجه الأرض، ووجد فيه المخلصون في دينهم صدقًا وفهمًا، وحرصًا على العمل، وجعل الله القبول له لدى كثير من المسلمين، ومنهم جماعة أهل الحديث بالهند، حيث شعروا أنهم معه في خندق واحد، فأخذ على كاهله - رحمه الله - أن يكون من شكر ذلك الاهتمام بأداء حق هذه النعمة، وفي المقدمة: أداء حق الله في نصر دينه، وإقامة شرعه سبحانه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في وقت عزّ فيه من يرفع صوته بهذا النداء، حيث ترك آثارًا طيبة في المجتمعات.

وبتلك الأعمال كان الملك عبدالعزيز الهدف الأول للانتقادات من أعداء الدعوة من المبتدعة والخرافيين في شبه القارة الهندية، وهذا هو السرّ في كثرة الكتابات المملوءة بالطعن والافتراء عليه، وعلى أتباع الدعوة الآخرين، وهم السلفيون في الهند، والذين جعلوا لزامًا على كل طائفة أهل الحديث، أن يقوموا بردّ تلك الافتراءات، والأقاويل المكذوبة، وأن يبذلوا قصارى جهدهم لبيان حقيقة الدعوة، ومعتقدات صاحبها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، رحمه الله (١٤). وقد سار الملك عبدالعزيز - رحمه الله - في منهجه السليم لخدمة الإسلام والمسلمين، غير مكترث بتلك الزوبعات مستمدًا المعالجة من قول الله سبحانه: *فَأَمَّا الزَّبَدُ فيذهب جُفاءً، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض*. **الرعد:١٧**.

وراح يعالج الأمور بحكمة ونظرة الثاقب: فلما رأى - مثلاً - شيئًا من الخلاف ظهر بين أعيان أهل الحديث في عموم الهند، كتب لهم كتابًا يدعوهم فيه لرفع الخلاف بينهم، وتوحيد كلمتهم، فكان له أثر كبير في إنهاء الخلافات والتجمع، وزيادة النشاط وفتح الفروع في عموم الهند، ونصه، كما يلي نقلاً عن صحيفة «أهل الحديث» الأسبوعية الصادرة في بلدة «أمرتسر» بالهند، وذلك في عدد ١٨ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٣١م الموافق ١٣٥٠هـ:

«من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل السعود، إلى كافة إخواننا أهل الحديث، حفظهم الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأصلي وأسلم على خير أنبيائه، وأسأله تعالى لنا ولكم التوفيق لما يحبه ويرضاه.. تعلمون حفظكم الله أن التواصي بالحق، والصبر من خصائص المؤمنين، وتعلمون أن الله سبحانه وتعالى وصف المؤمنين بأنهم رحماء بينهم، وأن حرصنا على جمع

وقف السلفيون في الهند ضد المستعمر بينما سار في ركابه وأيده القاديانيون وغيرهم

كلمتكم لإعلاء شأن التوحيد في سائر الآفاق هو الذي يدعونا للكتابة لكم، وإنه ليؤلمنا أن نرى في جماعتكم أيّ خور أو ضعف، كما أنه يؤلمنا أن يصيبكم أيّ أذىً بأي سبب من الأسباب، وقد رأينا من تتبع أخباركم أن غيركم من الفرق جمعوا كلمتهم، ونظموا صفوفهم، للذود عن مصالحهم، وأنتم غير مبالين في جمع كلمتكم، لحفظ شأن جماعتكم.

لذا أدعوكم أن تجمعوا شمل جماعتكم، وأدعو قادة الرأي منكم، للاجتماع والعمل لما فيه نشر التوحيد، والمثابرة على العمل في هذا السبيل، الذي يعظم الله فيه الأجر، ليكون بذلك الحسنى من صلاح الدين والدنيا.

وإن اجتماع كلمة الناس، وتفرق كلمتكم، فيه الوهن لصفوفكم، والحطّ من مقام جماعتكم، وهذا ما نرجو ألا يكون بينكم، وأسأل الله التوفيق في كل ما يعلي شأنه، ويرضي وجهه الكريم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته(١٥)».

يقول أبو المكرم السلفي تعليقًا على صدى هذه الرسالة: «وعقب تلقي هذه الرسالة الملكية السامية، قام العلامة ثناء الله الأمر تسري، الأمين العام لجمعية أهل الحديث لعموم الهند، بعقد مؤتمر كبير في دلهي حضره

كثيرون من أهل العلم، وأصحاب الفضيلة، في شتى الجهات، وأخذوا المرسوم الملكي - يعني به هذه الرسالة - بغاية الاحترام والتقدير، وبناء عليه، فقد اتفقوا على إنشاء جمعيات محليّة لأهل الحديث، في أصقاع الهند كافة، وإلحاقها بجمعية أهل الحديث لعموم الهند بدلهي، المعروفة آنذاك بـ: «مؤتمر أهل الحديث لعموم الهند» all india ahle hadees conference â (١٦).

- ويذكر عمر عبدالجبار في كتابه «سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة» عند حديثه عن الشيخ أبي بكر خوقير [١٢٨٤ - ١٣٤٩هـ] أنه «كان رحمه الله يسافر إلى الهند لجلب كتب السلف ونشرها في مكة، وينتهز الفرصة، فيتلقى العلم عن علماء الهند الأعلام، استمع إليه وهو يحدث تلميذه الشيخ عبدالستار الدهلوي إذْ يقول، رحمه الله: رويت عن مشايخ معروفين بعلوم الإسناد منهم: الشيخ

عالج الملك عبدالعزيز بحكمة الخلاف بين أعيان أهل الحديث في عموم الهند، وكان لرسالته إليهم أثر كبير في توحد الكلمة

حسين بن عيسى الأنصاري اليماني، والقاضي أحمد بن إبراهيم بن عيسى، وقد جاور بمكة عدة سنوات، ثم رجع إلى نجد، فتولى قضاء المجمعة، وتوفي عام ١٣٢٨هـ (١٧)، وهو الذي اتصل بالشريف عون، وأقنعه بإزالة القباب التي على القبور، فأمر بهدمها(١٨). والشيخ محمد الأنصاري، والشيخ محمد بن عبدالعزيز الهاشمي الهندي...» إلى أن قال: بلغ ولاة الأمور دعوة الشيخ أبي بكر خوقير إلى محاربة البدع والخرافات، فخافوا على مراكزهم، وأساؤوا الظن في نتائج دعوته، فتربصوا به، وضيّقوا عليه سبيل الدعوة، ومنعوه من التدريس، ولما رأوا تمسكه بعقيدته وثباته في دعوته، أمر الحسين بن علي بالقبض عليه، فسجنه مع المجرمين في غرفة واحدة سنة ١٣٣٩هـ، وبقي في سجنه إلى أن زالت حكومة الأشراف، فأفرج عنه، مع كثير من السجناء المظلومين(١٩).

أما جمعية الخلافة، فإن المستعمر لما ضيّق عليهم، وجدوا الملاذ في كنف الملك عبدالعزيز الذي فتح لهم صدره، وأقنعهم، وكان ظفر علي خان، الذي كان رئيس فرع جمعية الخلافة في مقاطعة البنجاب، أول من أعجب بالملك عبدالعزيز، عندما زار مكة والمدينة، وشاهد بعينه سلامة الأماكن المقدسة، وتوافر الأمن، وظهر له كذب المفترين على الملك، فصار من المدافعين بحماسة شديدة عن الملك عبدالعزيز، ويمدح الأوضاع التي وصلت إليها الحجاز في عهده في جريدته «زميندار» وفي قصائده وخطبه.

بل صار يحاول إقناع رجال جمعية الخلافة، وعلى رأسها محمد علي، بصواب رأيه، ويدعوه إلى تأييد الملك عبدالعزيز، حيث كتب غلام رسول مهرة رئيس تحرير «زميندار»، وأحد المقربين إلى ظفر علي خان خطابًا مفتوحًا إلى مولانا محمد علي، وقال فيه: لابد من التمييز بين ابن سعود، وبين غيره من الزعماء من ناحية قوة الشخصية، والكفاية السياسية والإدارية، وقد أثبت السلطان ابن سعود أنه مسلم صادق مخلص، صاحب همة عالية، وسيرة مستقيمة، كما أنه إداري عظيم، وفّر الأمن في البلاد، وآمالنا معقودة عليه، بأنه سوف يخدم العالم الإسلامي أحسن خدمة، فواجبنا التعاون معه، وإننا سوف نضحي به وبعشرات من أمثاله، إذا لاحظنا من يعرض عن أي حكم من أحكام الإسلام، وهذا هو المنهج الذي اختارته «زميندار» وستظل متمسكة به(٢٠).

المواقف الثابتة

ظل السلفيون في الهند ثابتين على دفاعهم عن الملك عبدالعزيز، وكفايته في إدارة حكومة الحجاز، واستقلاله السياسي والفكريّ، ويحذّرون من النتائج السيئة للمعارضة المستمرة لحكم الملك عبدالعزيز.

ومن ناحية أخرى استمر ازدياد نشاط خصوم الملك عبدالعزيز في الهند، وعلى رأسهم «جمعية خدام الحرمين» والشيعة، ووصلت دعايتهم المسمومة ضد الملك عبدالعزيز، وأنصاره من أمثال ظفر خان وأمثاله من زعماء جمعية علماء الهند، وجمعية أهل الحديث، إلى أن كفروهم، كما عدّوا قراءة جريدة «زميندار»، و«أهل الحديث» كفرًا لمواقفهما من تأييد الملك عبدالعزيز.. وليس هذا فحسب، بل جدّدوا دعوتهم لمقاطعة الحج في اجتماع رسمي لهم عقدوه في مدينة لكنوء، وقد عارضهم في هذه الدعوة والقرار العلماء الأحرار، المتمسكون بالكتاب والسنة الصحيحة، وعلى رأسهم السيد سليمان الندوي، الذي كان قد أعجب بشخصية الملك عبدالعزيز واستقامته وحزمه (٢١).

وقد حدثني في بومباي، ثم بعد ذلك بزمن في الرياض الشيخ مختار أحمد الندوي أمير جمعية أهل الحديث بعموم الهند سابقًا قال: إن الدولة في السعودية في بداية أمرها، حينما كانت في شدة وضنك من العيش قبل أن يخرج الله لها كنوز الأرض، قامت جماعة أهل الحديث بدعمها ماديًا ومعنويًا، بقدر ما كان في وسعها من الإمكانات، ولم يقتصر ذلك على الكبار، بل حتى الصغار كانوا يجتمعون وينشدون الأبيات، يحرّضون الناس فيها على نصرة دولتهم؛ لأنهم يرون أن دولة الملك عبدالعزيز دولة لهم، ونصره نصر لهم، فكانت تنهال التبرعات، وكان أهل الخير يأتون بها في موسم الحج، إلى أن أغنى الله الدولة بمنّه وكرمه. ومما يذكر بهذه المناسبة أن الأمير عبدالله بن عبدالرحمن - رحمه الله - ذكر للشيخ مختار أحمد الندوي، والشيخ عبدالكريم شرف الكتبي، وكانا قدما إلى الرياض في الستينيات أن باخرتين من الهند قد وصلتا إلى ميناء جدة، بعد أن وليها الملك عبدالعزيز، فأمر الملك أخاه

الأمير عبدالله بن عبدالرحمن باستقبال من فيهما من الرجال وإكرامهم. قال الأمير عبدالله: وكانت الباخرتان تحملان المواد الغذائية، والنقود الذهبية، وكانت أول مساعدة وصلت إلينا من الخارج بعد دخولنا في الحجاز، وكان في الباخرتين رجال من علماء الهند من أهل الحديث من «دلهي» و«أمرتسر» و«ملتان» وغيرها، وكانوا ما بين الثلاثين والأربعين. فلما وصلوا إلى الملك عبدالعزيز رحّب بهم وأكرمهم، وقد بايعوه على السمع والطاعة، وأن الملك هو إمامهم وأميرهم.

كما ذكر أبو المكرم السلفي في مخطوطة كتابه «جهود الملك عبدالعزيز في إقامة دولة التوحيد، ومؤيدوه من أهل الحديث في القارة الهندية» قائلاً: «كانت علاقة أهل الحديث بالملك عبدالعزيز آل سعود، وبدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في العقائد وأصول الدين وطيدة، ومن هنا قاموا وتصدّوا للرد على المطاعن والتهم، والأقاويل المكذوبة على الدعوة وعلى الدولة السعودية، حتى أصبحوا ملومين من الناس، ورموهم بأنهم عملاء للوهابية ، وللملك عبدالعزيز آل سعود. وعلى الرغم من ذلك مازال أهل الحديث قائمين على ما رأوه حقًا، يؤيدونه ويردّون على الدعايات الشائعة ضد الدعوة وصاحبها، ودولة آل سعود، وتحملوا في ذلك كل أذيّة نالتهم من بعض المسلمين والمنتسبين إلى الإسلام، البالغين إلى النهاية في الكراهية والتعصب ضد الدولة والدعوة.

وكان هذا الوفاء متبادلاً بين الملك عبدالعزيز، وأهل الحديث لعموم الهند، يدل على ذلك، الوثائق والرسائل التي بين الملك عبدالعزيز، وأهل الحديث لعموم الهند، والتي قد حفظتها في أوراقها صحيفة «أهل الحديث» الأسبوعية الصادرة في «أمرتسر» وجريدة: «أخبار محمدي» نصف الشهرية الصادرة في دلهي(٢٢).

وفي مقر جمعية أهل الحديث في نيودلهي عندما زرتهم، حدثني الدكتور عبدالرشيد البستوي أن أهل الحديث، قرّروا بعد ما استقر الملك عبدالعزيز في الحجاز أن يجمعوا زكاتهم، ويرسلوا بها سنويًا مندوبًا منهم لتسليمها للملك عبدالعزيز، لكونه إمامًا لهم، وهو يستحق ذلك بمكانته بين المسلمين، ولقيامه على الحرمين، وأن الملك عبدالعزيز بعدما انتهت الحرب العالمية الثانية، قال لمندوبهم: وزّعوها بين فقرائكم، فقد أغنانا الله بموارد نقضي بها حوائج المسلمين، ونخدم بها الحرمين.

وإن المتابع لآراء كبار العلماء والمفكرين السلفيين في الهند ليجد في جهودهم وأقوالهم سواء في المؤتمرات التي عقدوها، أو في خطبهم، أو في قصائدهم، أو في صحفهم التي ذكرنا ثلاثة نماذج منها، تعاطفًا ودفاعًا عن الملك عبدالعزيز، رحمه الله، وتبيينًا لواقع الحال الذي به يتضح جلية ما افتراه الخصوم، ونموذج أولئك العلماء والمفكرين:

ـ الشيخ ظفر علي خان صاحب جريدة «زميندار».

ـ المحدث الشيخ: محمد بشير السهواني، كان يدافع عن الدعوة السلفية، ومات عام ١٣٢٦هـ قبل اشتهار أمر الملك عبدالعزيز.

ـ النواب صديق حسن خان مات عام ١٣٠٧هـ قبل خروج الملك عبدالعزيز، ولكنه كان كسلفه يدافع عن السلفية ودعاتها، ولو أدرك الملك عبدالعزيز، هو وسلفه، وقت الضجة بعد دخول الحجاز، لكان لهما دور يذكر.

ـ الشيخ محمد بن يوسف السّورتي. وكان من علماء أهل الحديث المدافعين عن السلفية.

ـ الشيخ محمد بن إبراهيم الجوناكري ألّف عدة رسائل في الدفاع عن الدعوة السلفية ومنهجها، وفي الرد على القبوريين، وكان ينشر دفاعه عن الملك عبدالعزيز ودولة آل سعود الراعية للسلفية في صحيفته «أخبار محمدي».

ـ العلامة ثناء الله الأمر تسري الذي نشطت على يديه جمعية أهل الحديث في عموم الهند في الرد على المبتدعة، ومن يناوئ الملك عبدالعزيز، ويفتري عليه، وتحفل صحيفته التي أنشأها «أهل الحديث» بالشيء الكثير من جهوده، وجهود علماء أهل الحديث في عموم الهند، بإبانة الحقيقة عن حال الملك عبدالعزيز، وإخلاص دولته في حماية

كان لخصوم الملك عبدالعزيز نشاط واسع في الهند، إلا أن مواقف المتمسكين بالكتاب والسنة كانت قوية في الدفاع عنه

الحرمين الشريفين، والدفاع عن دين الإسلام وفق المنهج الذي سار عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان.

ـ الشيخ محمد إسماعيل الغزنوي، الذي كانت له علاقة طيبة بالملك عبدالعزيز، ورجال دولته، وكان يحج كل عام، ويلتقي مشايخ نجد والحجاز. وقد ألّف عدة رسائل في الدفاع عن الدعوة، وردّ الشبهات التي استخدمها أعداء دولة آل سعود بعدما دخل الملك عبدالعزيز الحجاز، وهي كثيرة منها: «رسالة جلالة الملك ابن سعود وخدمة الحرمين الشريفين».

ـ الشيخ محمد داود الغزنوي، ألّف رسالة سماها تحفة نجد، ردّ فيها الافتراءات التي ألصقت بالملك عبدالعزيز، ووازن بين عهده وعهد من قبله، وأبان التعديلات التي قام بها الملك عبدالعزيز في الحجاز، وأثنى على تحسينات جلالته الكثيرة على الرغم من العوائق التي واجهته، والتي لا نظير لها في الأدوار الماضية.

وإن مما يحسن إضافته في هذا الموضوع نقل مقتطفات من أشعار الشيخ ظفر علي خان، وكلماته التي تعبر عن إعجابه بالملك عبدالعزيز، وأمل المسلمين فيه.. ومن ذلك:

ـ كان قد اجتمع بالملك عبدالعزيز في عام ١٣٤٣هـ في مكة، وقال قصيدة باللغة الأوردية، يبدي إعجابه بشخصية الملك عبدالعزيز القويّة،

وبساطة مظهره، وصلته القوية بالله، وتمسكه بالسنة، فيقول في تلك القصيدة، حسب الترجمة العربية:

أجدّد ذكرياتي عن ابن سعود، وأطرب بها ما حولي من الجدران والسقف.

إن فارس صحراء نجد «أي الملك عبدالعزيز» يرنو ببصره نحو رحمة ربه الودود على الدوام. إنه مزّق بحركة واحدة من حاجبيه نسيج الباطل من أصله.

على رأسه عقال السلطنة. وعلى كتفه عباءة بسيطة على طريقة السلف.

دعائي أن يرعاه الله سبحانه، في جميع أحواله، فإنه وفي بالعهد الذي قطعه النبيّ صلى الله عليه وسلم على أتباعه.

ـ ومن قصيدة له في عام ١٩٢٨م الموافق ١٣٤٧هـ باللغة الأوردية، ترجمتها:

كان الوفاء متبادلا بين الملك عبدالعزيز وأهل الحديث لعموم الهند، يدل على ذلك ما كان بينه وبينهم من وثائق ورسائل

عندما يرفع ابن سعود حجاب كمّه
ترى عينيه تقدّمان هدية الجواهر من العبرات لربه
وهو يلجأ إلى مولاه، ملتمساً منه قبول هذه الهدية
حينما يضع جبهته على عتبة الكعبة المشرفة
نثر رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم كنوزه في الدنيا
وابن سعود هو خازن كنوز السعادة هذه
وعندما حان الوقت لتطهير الجزيرة من البدع والفتن
أصبح ابن سعود قدر رب العالمين وقضاءه
اكتبوا: إن عبدالعزيز حارس الشريعة المقدّسة، وقولوا: إنه حامي الدين القويم.
ارفعوا أصواتكم عالية مع الملائكة في هتافهم المدوّي، بأن ابن سعود لقبه أمير المؤمنين(٢٣).

ـ وللشيخ ظفر علي خان مواقف في الدفاع عن الملك عبدالعزيز؛ لأنه رأى الحقّ معه، وفي اهتمامه بالدعوة السلفية التي فيها حماية الإسلام والمسلمين، وبرزت شجاعته في الدفاع عن الملك عبدالعزيز في مؤتمرين أقيما للتنديد بالملك عبدالعزيز، وتكبير ما أشيع من أكاذيب ضده: هما مؤتمر لكنوء، ومؤتمر مدينة كانبور، فالأول يرأسه سليمان الندوي، والثاني يسيطر عليه الصوفي المشهور سليمان الغلواروي، حيث خطب ظفر بقوة في تأييد السلطان عبدالعزيز، منتقداً صوفية الهند ومواقفهم منه، ولم يستطع سليمان الغلواروي أن يتحمله، فتدخل وقاطع ظفر علي خان في كلامه، فلم يبال، بل زاد واستمر يهدر كالسيل. وتكهرب الجو، وقام أتباع سليمان ليوقعوا به لتنديده بشيخهم، ولدفاعه عن الملك ابن سعود، ولكنه استمر في تأييده للملك عبدالعزيز، وتنديده بكل شدة وجرأة بالاتهامات الباطلة التي كان يرددها خصومه من المبتدعة والشيعة؛ لأنه كان يرى الحق في جانبه، ودعوته السلفية..(٢٤).

وبعد:

فإن مسؤولية مراكز البحث في الجامعات وغيرها، كدارة الملك عبدالعزيز، ومركز الملك فيصل، ومكتبة الملك فهد الوطنية، تبرز في الاهتمام بما في الهند من جهود وأعمال في العلاقة الوطنية بالملك عبدالعزيز، ليجمع ويترجم، ثم ينشر لتعرفه الأجيال هنا في بلادنا، وليفتح آفاقًا لكل باحث ودارس.. ولقد علمت زيادة على ذلك من حديثي مع نخبة من المشايخ في جمعية أهل الحديث لعموم الهند المركز الرئيس في دلهي بأن لديهم مكاتبات مع الملك عبدالعزيز أيضًا.. يحسن أن يرى كل ذلك النور في داخل المملكة؛ لأن طول الزمن يسدل الستار، ثم يكون في طي النسيان.

الحواشي

١ـ تراجع سيرة حياته وترجمته في نزهة الخاطرة: ١٧٧ ـ ١٧٩.

٢ـ الأدب الأوردي الإسلامي للدكتور سمير إبراهيم ص٣٩٥.

٣ـ بحث ظفر علي خان والملك عبدالعزيز للدكتور سيد رضوان علي المقدم للمؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبدالعزيز عام ١٤٠٦هـ الموافق ١٩٨٥م ص١٢.

٤ـ صقر الجزيرة لأحمد عبدالغفور عطار ١: ١٢٥ ـ ١٢٦.

٥ـ يراجع في هذا وأوسع منه كتاب دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب في شبه القارة الهندية لأبي المكرم السلفي ص ٥٩ ـ ٦٢.

٦ـ ينظر بحث ظفر علي خان للدكتور سيد رضوان المنوه به ص١٣ ـ ١٤.

٧ـ ذكر الزركلي أنه وقت تأليف كتابه «شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز» كان سفيراً في إيران.

٨ـ جهود مخلصة في خدمة السنة المطهرة للدكتور عبدالرحمن الفريواتي ص١٦٥-١٨٠.

٩ـ المصدر السابق ص١٣.

١٠ـ صقر الجزيرة للعطار، وفيه نص النداء، وأول جهد قام به الملك فيصل ـ رحمه الله ـ في تثبيت أمن الحجاج أيام حصار جدة، مما كان له صدى عند الحجاج وفي بلدانهم، حيث لم يشهدوا مثل هذا الأمن مع أن الحرب دائرة ولكنهم لم يشعروا بها، صقر الجزيرة ٤: ٨٧٠ ـ ٨٧٥.

١١ـ انظر نص الوثيقتين مصورتين في كتاب «أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود» لعبدالله بن علي الزامل آخر الكتاب ص ٥٥٦ ـ ٥٥٧.

١٢ـ علماء نجد خلال ثمانية قرون ٤: ١٤١ ـ ١٤٢.

١٣ـ انظر كتابه «عاهل الجزيرة» ص١٨٩.

١٤ـ دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب في شبه القارة الهندية لأبي المكرم السلفي ص٢٣ ـ ٢٤.

١٥ـ صحيفة أهل الحديث عدد ١٨ ديسمبر ١٩٣١م.

١٦ـ دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب في شبه القارة الهندية ص٣٤. مصدر سابق.

١٧ـ تراجع ترجمة الشيخ أبي بكر في مشاهير علماء نجد وغيرهم لعبدالرحمن آل الشيخ ص ٤٣٧ ـ ٤٤٠.

١٨ـ تراجع ترجمة الشيخ أحمد عند ابن بسام في «علماء نجد خلال ثمانية قرون» ١: ٤٣٦ ـ ٤٥٢.

١٩ـ ينظر كتاب عمر عبدالجبار: «سير وتراجم» ص٢٢ ـ ٢٤.

٢٠ـ بحث ظفر علي خان للدكتور سيد رضوان علي ص٢٦ ـ ٢٧.

٢١ـ المصدر السابق ص٢٧.

٢٢ـ يراجع مخطوط كتاب: جهود الملك عبدالعزيز ـ المسودة ـ ص٢٣ ـ ٢٤.

٢٣ـ بحث ظفر علي خان للدكتور سيد رضوان ص ٣٦-٣٧.

٢٤ـ المصدر السابق ص٣٠ ـ ٣٤ لمن يريد التفاصيل.



علاقة المملكة العربية السعودية بالمنظمات الدولية في عهد الملك عبدالعزيز

طلال محمد نور عطار

تسعى حكومات الدول في العالم حثيثًا إلى الانضمام إلى الهيئات العالمية بهدف اكتساب بعض المزايا، أو تحقيق بعض الأهداف أو الأغراض أو الغايات، بينما ينضم بعضها إليها لدواعٍ أمنية بحت.



الملك فيصل يوقع ميثاق الأمم المتحدة في سان فرنسيسكو ويبدو في الصورة جلالة الملك خالد وخادم الحرمين الشريفين الملك فهد

وإذا كان هذا هو الاتجاه العام بالنسبة إلى معظم الدول في العالم فإن هناك من الحكومات من ينضم إلى الهيئات العالمية لا لسبب من الأسباب السابقة، بل لتحقيق نوع من المهابة الذاتية، أو الاعتراف بالوجود.

ومهما كانت الأسباب، فإن الهيئة العالمية - أيا كانت - المكان المناسب الذي يُمكن للدول من خلالها أن تعرض وجهات نظرها، أو أن تؤثر في مفاهيم دول أخرى، أو أن تعترض على السياسات التي ترى الدول بأنها لا تتفق وسياستها الخاصة.

ما من مبعوث بريطاني قابل الملك عبدالعزيز إلا وأعجب بشخصيته الفذة، وتحدث عنه بكثير من الإعجاب والتقدير

والتأثير الذي يمكن لحكومة ما أن تحققه يتوقف - بطبيعة الحال - بدرجة كبيرة - على إمكانات ومكانة هذه الحكومة السياسية والاقتصادية والعسكرية، وعلى قدرتها على استخدام هذه المكانة والإمكانات بما يحقق لها أكبر قدر من النجاح في تحقيق أهدافها.

والمملكة العربية السعودية كانت تعد قبل الحرب العالمية الثانية دولة قوية موحدة الأرجاء لا ينقصها - آنذاك - إلا الاتجاه نحو إقامة علاقات وطيدة مع بلدان العالم الخارجي، بعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية، وأصبحت هناك دول منتصرة لا يمكن تجاهلها بأي حال من الأحوال، وإنما يتعين الانصهار في بوتقة العمل الجماعي معها بعيداً من الإقليمية الضيقة.

كما أن هناك من كان يحاول إيجاد موطئ قدم له في المناطق التي تتألف منها المملكة العربية السعودية، وبخاصة الإمبراطورية البريطانية التي كانت - آنذاك - لا تغيب الشمس عن مستعمراتها، والتي سيطرت في ذلك الوقت على بلدان شاسعة، وعلى مئات الملايين من شعوبها، وكانت تتطلع - حينذاك - إلى إدخال بعض مناطق المملكة العربية السعودية قبل تأسيسها في نطاق نفوذها بعد أن سيطرت على جميع البلدان التي تحيط بالأراضي والسواحل في المملكة العربية السعودية، فمن الشمال: كانت هناك المملكة العراقية، وإمارة شرق الأردن، ومن الشرق: كان للبريطانيين وجود في دول الخليج العربي التي كانت تدعى - إذ ذاك - بالإمارات المتصالحة، أو الساحل المتصالح، ومن الجنوب: حضر موت وقاعدتها الكبيرة عدن، ومن الغرب: مصر والسودان والصومال.

وكانت البلدان العربية الواقعة خلف بعض هذه البلدان تحت السيطرة الاستعمارية البريطانية، والفرنسية، والإيطالية، فسورية ولبنان وتونس والجزائر والمغرب تحت السيطرة الفرنسية، وفلسطين تحت السيطرة البريطانية، وليبيا تحت السيطرة الإيطالية.

أما المملكة العربية السعودية، فهي: الدولة الوحيدة التي هزمت - آنذاك - السياسة الإمبراطورية البريطانية التي كانت في ذلك الوقت قوة استعمارية كبرى لا تدانيها أية قوة في العالم، وكانت لها أساليب ووسائل وسبل متعددة في ممارسة سياستها الاستعمارية التوسعية لبلدان العالم.

ولم تترك المملكة العربية السعودية لها مجالاً لبسط نفوذها على شبر واحد من أراضي المملكة العربية السعودية، فقد لمع نجم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود(٣) في أوائل القرن الهجري، الميلادي الحالي، وصار طرفًا رئيسا في مجرى الأحداث في شبه الجزيرة العربية، إذ بدأت المحاولات البريطانية لإيجاد مناطق نفوذ لها في الأقاليم أو المناطق التي انضوت تحت راية التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» بقيادة الملك عبدالعزيز، ولكنها لم تتمكن قط من إيجاد نفوذ لها في المملكة العربية السعودية.



رئيس وزراء بريطانيا ونستون تشرشل أعرب في مناسبات مختلفة عن إعجابه بالملك عبد العزيز

وأتمّ الملك عبدالعزيز ضم الحجاز في عام ١٩١٩م (١٣٣٨هـ) وأسقط حسين ابن علي(٤) في عام ١٩٢٤م (١٣٤٣هـ) حينما أعلن نفسه ملكًا على كل بلاد العرب مع أن بريطانيا (الدولة العظمى) ـ آنذاك ـ تؤيد حسين بن علي الزعيم الديني والسياسي للأسرة الهاشمية في الحجاز.

ويجمع المؤرخون الغربيون بوجه خاص، والبريطانيون بوجه أخص على أن هزائم الدبلوماسية البريطانية في معاركها الخفية مع الملك عبدالعزيز كانت هزائم ساحقة، ولم تجنِ بريطانيا منها شيئًا يذكر بسبب أن الملك عبدالعزيز كان نسيج وحده بين حكام البلدان العربية كلها في ذلك الوقت، فهو شخصية خارقة المواهب، فكان حواره ـ مع الإمبراطورية البريطانية ـ من نوع خاص، لم يدرك دهاقنة وزارتي المستعمرات والخارجية البريطانيتين أبعاده إلا بعد أن وجدوا أنفسهم خارج الحلبة.

إن مواهب الملك عبدالعزيز القيادية، كانت تستشرف الأهداف البريطانية قبل تنفيذها، وتحذر منها، وتتعامل معها بذكاء ودهاء إلى أن انقضت الحقبة البريطانية، واختفت من التاريخ الحديث مع نهاية الحرب العالمية الثانية، فما من مبعوث بريطاني تحدث مع الملك عبدالعزيز إلا وتحدث عنه بكثير من الإعجاب والتقدير، وخرج مبهوراً بهذه الشخصية العربية الفذة(٥). أما العثمانيون(٦) فلم يفهموا الملك عبدالعزيز حق الفهم. إذْ كانوا يظنونه أميراً عاديًا من أمراء الصحراء قد يزدهيه «نيشان» يهدى إليه، أو لقب «باشا» يخلع عليه، أو مبلغ من المال يعطى له لتنفيذ غاياتهم وأهدافهم التوسعية.

ولو تفحصنا المراسلات التي جرت بين الملك عبدالعزيز والولاة العثمانيين، ووقائع اللقاءات التي تمت بينه وبينهم لتبين أن الملك عبدالعزيز كان أكثر خبرة ودراية من ولاتها في شؤون شبه الجزيرة العربية، وقد نبّه الباب العالي(٧) إلى الخطر المحدق بشبه الجزيرة العربية من جراء المطامع البريطانية.. وغيرها.

وهكذا.. ظن الباب العالي ـ آنذاك ـ أن بإمكانه التعامل مع الملك عبدالعزيز كما تعامل مع سواه من أمراء الجزيرة.

وقد ظهرت في عهد الملك عبدالعزيز هيئتان عالميتان: الأولى برزت على إثر إنتهاء الحرب العالمية الأولى(٨)، وإنشاء الدول التي انتصرت في الحرب عام ١٩٢٠م (١٣٣٩هـ) ما عرف بـ «عُصبة الأمم» لمنع نشوب الحروب، ونشر السِّلم والأمنْ في العالم، وضمان استقلال الدول وحدودها الإقليمية.

وحينما دعت هذه الدول الملك عبدالعزيز للانضمام إليها رفض هذه الدعوة(٩) جملة وتفصيلاً بسبب اشتمال عهد العصبة(١٠) على بعض المواد التي تضع المستعمرات التابعة للدول الاستعمارية في ذلك الوقت، ومنها: بعض البلدان العربية(١١) تحت نظام الانتداب(١٢) الذي يخفي في ثناياه السيطرة الاستعمارية على الدول بوضعها تحت مظلة هذا النظام، وهو النظام الذي لم يوافق عليه الملك عبدالعزيز بتاتًا.

وقد تمسكت المملكة العربية السعودية بهذا الموقف تمسكًا تامًا حتى زوال عصبة الأمم واندثارها.



الشريف حسين بن علي

وأما الهيئة العالمية الثانية التي ظهرت في عهد الملك عبدالعزيز فهي: هيئة الأمم المتحدة، وكان ذلك في ١٥رجب عام ١٣٦٤هـ، الموافق ٢٦ يونيو/ حزيران ١٩٤٥م، وخرجت إلى حيز الواقع، وبصفة رسمية في ٢٤ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٤٥م. وحازت على موافقة الملك عبدالعزيز منذ نشأتها لخلوها من نظام الانتداب الذي حل محله نظام الوصاية(١٣). ومطابقة مبادئها(١٤)



لقاء الملك عبد العزيز والرئيس الأمريكي روزفلت في إطار دعم العلاقات الخارجية للمملكة بعد الحرب العالمية الثانية

وأهدافها(١٥) لتعاليم وأحكام الشريعة الإسلامية الغراء في كل ما يتعلق بعلاقات الدول والشعوب في السِّلم والحرب(١٦).

فقد أعلنت المملكة العربية السعودية رسميًا انضمامها إلى «تصريح الأمم المتحدة» في عهد الملك عبدالعزيز، إذْ تلقى الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، وزير خارجية المملكة العربية السعودية من والده الملك عبدالعزيز في الرياض ١٥ من شهر ربيع الأول عام ١٣٦٤هـ، الموافق: أول مارس/آذار ١٩٤٥م تعليمات أبرق في ضوئها من مدينة جدة إلى المستر جوزيف جرو، نائب وزير الخارجية الأمريكية في واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية، ما نصه:

«للدلالة على رغبة المملكة العربية السعودية في تضامنها وتعاونها مع الأمم المتحدة، فقد أعلنت اليوم (أول مارس) أنها أصبحت في حالة حرب مع حكومتي ألمانيا واليابان، وقررت في الوقت نفسه الاشتراك في تصريح الأمم المتحدة الصادر في أول يناير/كانون الثاني ١٩٤٢م، وذلك ما يخولها أن تعتبر نفسها منضمة إلى هذا التصريح».

وفي ٢١ من شهر ربيع الأول عام ١٣٦٤هـ، الموافق ٧ مارس/ آذار ١٩٤٥م أعلنت وزارة الخارجية الأمريكية في واشنطن:

«أنّ المستر جوزيف جرو، نائب وزير الخارجية الأمريكية أبرق إلى صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز، وزير خارجية المملكة العربية السعودية في جدة بالإجابة التالية:

«تلقيت برقية سموكم، المؤرخة في أول مارس/آذار، وقد أعربتم بها عن أن المملكة العربية السعودية، رغبة منها في تأكيد تضامنها مع الأمم المتحدة، قد أعلنت في ذلك اليوم أنها في حالة حرب مع ألمانيا واليابان، وقررت الانضمام إلى تصريح الأمم المتحدة، واعتبرت نفسها بذلك منضمة إلى هذا التصريح، فإن قرار المملكة العربية السعودية هذا، قد جعل عدد أعضاء الأمم المتحدة (٤٥) عضواً اشتركوا جميعًا في تصريح الأمم المتحدة المنطوي على اعتزام هذه الأمم الوقوف معًا جبهة واحدة في سبيل كسب الحرب، وبناء صرح السلم، وإن الولايات المتحدة بوصفها أمينة على هذا التصريح؛ يسرها أن ترحب بانضمام المملكة العربية السعودية إلى صفوف الأمم المتحدة».

وتلقت حكومة المملكة العربية السعودية عام (١٣٦٤هـ/١٩٤٥م) من حكومات كل من: أميركا وإنجلترا وروسيا والصين الدعوة لحضور مؤتمر الأمم المتحدة في مدينة سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية.

أجابت حكومة المملكة العربية السعودية بقبول الدعوة، وكان انعقاد المؤتمر في ١٣ جمادى الأولى عام ١٣٦٤هـ، الموافق ٢٥ أبريل/نيسان ١٩٤٥م حضره صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود على رأس وفد المملكة العربية السعودية.

ولما تقدم الأمير فيصل بن عبدالعزيز للتوقيع على تصريح الأمم المتحدة ألقى كلمة أعرب فيها عن سروره بتمثيل بلاده ثم قال:

«أنّ الحكومة العربية السعودية تنضم إلى الأمم المتحدة في تصريحها القائل بأن مبادئ السلْم والعدالة والحق يجب أن تسود أنحاء العالم وأن العلاقات الدولية يجب أن تقوم على هذه المبادئ. وإن من دواعي اغتباطي العظيم، أن أقول: إن هذه المبادئ تطابق تعاليم الدين الإسلامي الذي يعتنقه ٤٠٠ مليون مسلم في العالم، وهي التعاليم التي اتخذت



الملك فيصل أثناء اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٦ وإلى جانبه الشيخ حافظ وهبه كبير مستشاري الملك عبد العزيز

رفض الملك عبدالعزيز الانضمام إلى عصبة الأمم لإقرارها نظام الانتداب، وانضمت المملكة إلى هيئة الأمم المتحدة إيمانًا بمبادئ السلم والعدالة والحق التي يجب أن تسود العالم

الحكومة السعودية منها دستوراً تسير على هديه، ولا غرو، فإن الإسلام قد أقام العلاقات البشرية على قواعد الحق والعدالة والسلم والإخاء».

وتعدّ المملكة العربية السعودية إحدى الدول المؤسسة لهيئة الأمم المتحدة، التي أسهمت إسهاما فعالاً في تعزيز ميثاقها، وإخراجه إلى حيز الواقع، فقد وقعت المملكة العربية السعودية على ميثاق هيئة الأمم المتحدة(١٧) في الرابع والعشرين من شهر أكتوبر/تشرين الأول ١٩٤٥م في مدينة سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية.

وقد أعلن الأمير فيصل بن عبدالعزيز(١٨) الذي كان - آنذاك - رئيساً لوفد المملكة العربية السعودية في تصريح له عن موقف المملكة العربية السعودية الرسمي تجاه هيئة الأمم المتحدة بقوله:

«إن هذا الميثاق لا يمثل الكمال كما تراه الدول الصغيرة، ومع ذلك، فهو، بلا شك، أفضل ما قدمته الشعوب التي تمثل خمسين دولة، قاسى كثير منهم في نضاله من أجل الحرية والدفاع عن الإنسانية والتحرر من العبودية. والله وحده يعلم إلى متى كان يمكن لتلك المعاناة أن تستمر، أو متى كانت تستطيع التخلص من مآسيها وكوارثها.

لقد شاهدنا قوى الطغيان تسود أوروبا، وتهدد الشرق الأدنى والشرق (العربي) الأوسط، ولكن بعون الله، أمكن قهر هذه القوى تماماً.

إن السعادة والفرحة لتملؤنا، نحن - أبناء الشرقين الأدنى والأوسط، وخاصة الدول العربية لتداعي آخر معاقل الظلم والطغيان.

والواقع أن العالم كله مدين ببقائه إلى الأمم المتحدة التي دخلت الحرب مضحية بخيرة شبابها وثرواتها في سبيل أمن وسلام الجنس البشري».

إن علاقة المملكة العربية السعودية

صرح الملك فيصل - يرحمه الله - بأن ميثاق الأمم المتحدة لا يمثل الكمال المرتجى، وإن كان أفضل ما قدمته الشعوب التي عانت من أجل الحرية والدفاع عن الإنسانية والتحرر من العبودية

بالمنظمات الدولية في عهد الملك عبدالعزيز علاقة وطيدة تمثلت في التزام المملكة العربية السعودية مبادئ وأهداف ميثاق هيئة الأمم المتحدة وإعلانها بانضمامها إلى هيئة الأمم المتحدة، وترجمتها لتلك الأهداف والمبادئ إلى عمل فعلا، وواقع ملموس سواء في مجال بناء العلاقات الدولية بين الدول أو في مجال المحافظة على الأمن والسِّلْم الدوليين، أو في مجال دعم الجهود الإقليمية والدولية من أجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية في العالم.

الهوامش

١- مستشار دبلوماسي وباحث اقتصادي واجتماعي واستشاري علاقات دولية، وكاتب غير متفرغ في الدوريات المحلية والدولية.

٢- في الفترة من أواخر القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين.

٣- ولد في مدينة الرياض في ٢٠ ذي الحجة عام ١٢٩٧هـ، وتوفي في مدينة الطائف في اليوم الثاني من شهر ربيع الأول عام ١٣٧٣هـ.

٤- عين عام (١٣٢٦هـ/١٩٠٨م) شريفًا لمكة مكان أبيه، واشترك مع الإنجليز في ثورته على الحكم التركي إبان الحرب العالمية الأولى.

٥- لا يتسع المجال هنا لاستعراض كل ما جرى بين الملك عبدالعزيز وبريطانيا، فهو مسطور في الكتب التي أرّخت سيرة جلالته، وأما اقتصارنا على الإشارة إلى بريطانيا في هذا المقام دون سواها من الدول، فلأن بريطانيا كانت القوة الوحيدة في الشرق العربي (الأوسط) وقد ظلت كذلك إلى نهاية الحرب العالمية الثانية.

٦- المقصود آل عثمان وهم: سلالة السلاطين الأتراك، وقد تسمت باسم: مؤسسها (عثمان الأول)، (١٢٥٨ - ١٣٢٤م) ابن أرطغرل زعيم أتراك وادي قره صو في الأناضول، أسس السلالة العثمانية عام ١٢٨١م. تولى العثمانيون الإمارة في الفترة (١٣٢٦ - ١٥١٦م) ثم الخلافة (١٥١٦ - ١٩٢٤م).

٧- الاسم المتعارف عليه لمقر الحكومة العليا عاصمة الإمبراطورية العثمانية إستانبول (إسطنبول) اشتقت من الطيعة المرتفعة كمدخل باب رئاسة الحكومة، في السراي الحكومي نفسه، وكان يقصد بهذا اللقب أولا البلاط السلطاني في إستانبول، ثم أصبح يدل ابتداء من عام ١٧١٨م على مقر الصدر الأعظم، وسائر الوزارات والدوائر الرسمية العثمانية.

٩- وهي: الدعوة للانضمام إلى عصبة الأمم لشغل (المقعد) الذي كان مخصصًا للمملكة الهاشمية في الحجاز.

١٠- لمزيد من التفصيلات: انظر: طلال محمد نور عطار، بين عصبة الأمم وهيئة الأمم المتحدة، الملحق رقم(١) من عصبة الأمم، ص ٣٠٥ وما بعدها.

١١- وهي: الدول التي انحسر عنها نفوذ الدولة العثمانية في أوربا وآسيا وإفريقية.

١٢- لمزيد من التفصيلات، انظر: طلال محمد عطار، سلسلة أجهزة هيئة الأمم المتحدة، مجلس الوصاية»، الجزء الرابع، الفصل الأول: نظام الانتداب في عهد الأمم، ص١١، وما بعدها.

١٣- شمل نظام الوصاية الأقاليم الموضوعة تحت الوصاية، والأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي، والأقاليم والشعوب المستعمرة.

١٤- وهي: مبدأ في السيادة بين الدول، مبدأ حسن النية في أداء الالتزامات الدولية، مبدأ فض المنازعات الدولية بالطرق السلمية، مبدأ منع استخدام القوة أو التهديد بها في العلاقات الدولية، مبدأ معاونة الأمم المتحدة في الأعمال التي تقوم بها، والامتناع عن مساعدة الدول التي تعاقبها، مبدأ التزام الود لغير الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة بالعمل وفقًا لمبادئها، مبدأ عدم تدخل الأمم المتحدة في المسائل التي تتعلق بصميم الاختصاص الداخلي (الشؤون الداخلية) للدول الأعضاء.

١٥- حفظ السِّلْم والأمْن في العالم، تنمية العلاقات الودية بين الدول، والتعاون في مختلف المجالات، وتنسيق أعمال الدول الأعضاء وتوجيهها نحو إدراك الغايات المشتركة فيما بينها.

١٦- لـ : طلال محمد نور عطار، المملكة العربية السعودية والمنظمات الدولية، لمزيد من التفصيلات.

١٧- يتألف الميثاق من مئة وإحدى عشرة مادة، وملحق خاص بالنظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية، لمؤلفنا بعنوان: «بين عصبة الأمم وهيئة الأمم المتحدة»، ص٣٢١ وما بعدها.

١٨- هو الابن الثالث لمؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، ولد في ١٤ صفر ١٣٢٤هـ، واستشهد في مكتبه في الرياض صباح يوم الثلاثاء١٣من شهر ربيع الأول عام ١٣٩٥هـ، أمه السيدة طرفة بنت الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ حفيد إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

بدايات المواصلات البحرية والجـ

محمد عبدالله السلمان

كان لتطور المواصلات البحرية والجوية أثر كبير في النهضة الحضارية التي تشهدها المملكة العربية السعودية، لذا، يكتسب تناول بدايات المواصلات البحرية الجوية أهميته، لأنها تمثل إرهاصات تلك النهضة الحضارية.

أولاً- المواصلات البحرية

أهميتها:

إن عهد بلادنا بالمواصلات البحرية كان قديمًا ومنذ مئات السنين، لوقوع المملكة على جهتين من البحار فمن الشرق تطل على الخليج العربي، ومن الغرب تطل على البحر الأحمر بساحله الطويل، فنشأت لذلك عدد من الموانئ التي استخدمت لغرض التنقل البحري.

والساحل الشرقي للمملكة يتألف من شاطئ أكثره رملي، وتقع عليه عدة موانئ منها: القطيف، والجبيل، ورأس تنورة، والعقير، وكذلك الدمام، والخبر. أما الساحل الغربي للمملكة فهو أكثر استقامة من الساحل الشرقي وأطول منه، غير أن فيه بعض الشعاب المرجانية التي قد تعيق سير الملاحة وتهددها. ومع ذلك فإن موانئ هذا الساحل كثيرة: مثل جيزان والقنفذة والليث ورابغ وأملج وينبع والوجه، لكن ميناء جدة هو أهم تلك الموانئ على الإطلاق(١)، على الرغم من أنه محاط بشعاب مرجانية كثيرة، إلا أن موقعه بقرب مكة المكرمة أعطاه هذه الأهمية الكبيرة ليكون الميناء الرئيس للحجاج والمعتمرين.

ولما كان للموانئ دور كبير في التنمية الاقتصادية للبلاد؛ لأنها تشبه القلب الذي يضخ الدم إلى جميع أجزاء الجسم(٢)، لذا أخذت المملكة في عهد الملك عبدالعزيز تهتم بتطوير الموانئ والطرق البحرية، فرأى الملك عبدالعزيز في سبيل ذلك أن يزاد نشاط النقل البحري، وأن تساهم الدولة في رأس مال شركات الملاحة الأجنبية، وبخاصة شركات نقل البترول، وبذلك يحصل التوسع في النقل البحري مع الشرق الأقصى، وأوربا، وحوض البحر المتوسط(٣).

أحداث التطور:

ويمكن القول: إن المملكة في عهد الملك عبدالعزيز قد مرت في سبيل تقدم مواصلاتها البحرية وموانئها بعدة مراحل هي:

المرحلة الأولى: في مطلع العهد السعودي بالحجاز عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م أنشئت مصلحة سميت «دائرة المرافئ» انحصر عملها في إصدار رخص للغواصين والصيادين والقوارب السفرية واستقبال البواخر وتوديعها بعد إجراء معاملاتها واستيفاء الرسوم منها(٤)، وبرز في هذه المرحلة ميناء (العقير) على الساحل الشرقي.

المرحلة الثانية: أمر الملك عبدالعزيز بجلب سفن تجارية صغيرة، وزوارق لخفر السواحل الطويلة، فاشترت المملكة أربع سفن تجارية حمولة كل منها خمسون طنًا، تقوم بتأدية واجباتها البحرية في سواحل المملكة(٥).

المرحلة الثالثة: في عام ١٣٥٠هـ/١٩٣١م أحدثت مديرية عامة باسم «مديرية مصلحة خفر السواحل» جعل مركزها الرئيس مدينة جدة، وربطت بها (دائرة المرافئ) السابقة الذكر، وزيد على اختصاصها المحافظة على سواحل المملكة، وضبط المهربات بحرًا وبرًا، ومراقبة صيد الأسماك، والحجر الصحي على البضائع، ثم ربطت بها إدارات للموانئ الساحلية على البحر الأحمر ومركز للدوريات فيها(٦).

المرحلة الرابعة: دخول المملكة عالم البواخر الكبيرة، وذلك حينما اشترت، زيادة على ما عندها من بواخر، باخرة كبيرة حمولتها ٣٥٠٠ طن لتكون نواة للأسطول العربي السعودي. وقد دخلت هذه الباخرة ميناء جدة في أواخر عام ١٣٧١هـ/١٩٥١م، وأقيمت بوصولها حفلة كبيرة حضرها الأمير سعود بن عبدالعزيز ولي العهد. وسرعة هذه الباخرة ١٤عقدة في الساعة، ومجهزة بأجهزة حديثة ودقيقة مثل الرادار، وجهاز لقياس الأعماق في البحر، وغرفة اتصال لاسلكي، وقوارب للنجاة، وقد أطلق على هذه الباخرة اسم «الأمير سعود»(٧).

المرحلة الخامسة: وفيها اهتمت المملكة بإيجاد موانئ صالحة لرسو السفن بدلاً من الرسو في مكان بعيد عن الساحل في وسط البحر، وكانت الزوارق الصغيرة تقوم بنقل الركاب والبضائع منها إلى البر كما كان حال ميناء جدة، ولهذا كان هذا الميناء أول



ـوية في المملكة العربية السعودية

الموانئ التي تم إصلاحها لترسو البواخر على رصيفه، ثم ميناء الدمام(٨).

المرحلة السادسة: ازداد اهتمام الحكومة بالأسطول البحري وإيجاد فريق (طاقم) سعودي لإدارته فنيًا، حيث أخذت تعمل على تدريب الشباب اللائقين على الشؤون البحرية، ليكونوا عمدتها في قيادة أسطولها من دون الحاجة إلى استقدام رجال من خارج البلاد، كما عملت على بعث عدد من خريجي مدرسة تحضير البعثات بمكة إلى الخارج(٩) للتخصص في دراسة الشؤون المتعلقة بأعمال الموانئ الفنية فبدأت بذلك طريق الاكتفاء الذاتي من العمالة السعودية الفنية.

أهم الموانئ:

وهكذا دخلت المملكة في عهد الملك عبدالعزيز عهد المواصلات البحرية الحديثة بشرائها السفن التجارية الكبيرة، بجانب الاستمرار في استعمال السفن الشراعية حتى في السفريات الطويلة(١٠). كما دخلت المملكة عهد قيام الموانئ الحديثة، ولم يكن ذلك أيضًا في كل موانئها البحرية، بل اقتصر الأمر على أهم موانئها على البحر الأحمر والخليج، وهي:

ميناء جدة

اكتسب ميناء جدة أهميته من موقعه المجاور لمكة المكرمة، فصار بذلك ميناء الحجاج الرئيس، فلا غرو أن يهتم الملك عبدالعزيز بهذا الميناء، ويمدّ إليه يد الإصلاح قبل غيره. فقد كان يرى معاناة القادمين إليه من عدم وصول السفن الكبيرة إلى رصيفه، ورسوها في عرض البحر خوفًا من الشعاب المرجانية المنتشرة فيه، ومن التلاع والآكام التي تصطدم بها السفن الكبيرة.



الملك عبد العزيز على متن أول ناقلة نفط سعودية

لهذا أمر الملك عبدالعزيز بإنشاء ميناء حديث لمدينة جدة، فبدأ العمل به في محرم ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م، أي بعيد الحرب العالمية الثانية، واستمر العمل في المشروع قرابة ثلاث سنوات، حيث كانت التجربة الأولى لنجاح المشروع في جمادى الآخرة عام ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م حينما رست على الميناء باخرة عابرات المحيط، فإذا هي متصلة بالرصيف، والرصيف متصل بجدة(١١).

كان للميناء مرسى يمتد داخل البحر الأحمر بطول ١٧٠٠متر وعرض ٣٠ متراً حيث يتسع الميناء لرسو باخرتين كبيرتين في وقت واحد(١٢)، كما زود الميناء بجميع المعدات اللازمة للموانئ الحديثة، وجعل له طريق من داخل مدينة جدة احتاج مده فوق المياه إلى عمق ١٨متراً. وأنشئت جزيرة في منتصف هذا الطريق المائي بمساحة تزيد على ٢٦ ألف متر مربع مبني عليها استراحات للحجاج، ومستودعات، ومكاتب، ومسجد للمصلين، وغير ذلك(١٣).

وعلى هذا أصبح ميناء جدة يستقبل البواخر الكبيرة بيسر وسهولة، حيث أخذ يستقبل سنويًا مئات البواخر. وتمر به عدة شركات ملاحية، مثل شركة مصر للملاحة البحرية، والشركة الخديوية، والشركة الإيطالية(١٤) وغيرها.

ميناء الدمام

هو ميناء حديث على الخليج العربي، وقد جاء إنشاؤه نتيجة لوصول سكة حديد من الرياض إليه مما أوجب معه قيام ميناء حديث يؤدي الغرض في نقل البضائع المستوردة إلى الميناء نحو مدينة الرياض عن طريق هذا الخط الحديدي. كما أنه مهم للمنطقة نفسها في التصدير والاستيراد كبديل حديث عن ميناء القطيف القديم. لذا يمكن القول: إن ميناء الدمام يُعدُّ البوابة الشرقية الرئيسة التي تمر من خلاله البضائع الواردة من مختلف بلدان العالم إلى المنطقتين الشرقية والوسطى(١٥).

اهتمت المملكة في عهد الملك عبدالعزيز بتطوير الموانئ والطرق البحرية لما لها من دور كبير في التنمية الاقتصادية

ولقد تزامنت أعمال إنشاء هذا الميناء المهم مع أعمال إنشاء ميناء مدينة جدة عدة شهور، ولكن تم افتتاحه في جمادى الأولى عام ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م، أي قبيل ميناء جدة بشهر واحد(١٦).

وكان الخط الحديدي الذي مُدَّ من الدمام قد اتصل رصيفه بالشاطئ في المياه العميقة بواسطة جسر فولاذي طوله ٢٨٧٠متراً، وممر صخري طوله ٧٨٣٠ متراً، ويرتكز المرفأ الرئيس على أعمدة فولاذية. وفي مقابلة لمندوب مجلة المصور المصرية مع الملك عبدالعزيز عام ١٣٧٠هـ قال الملك عبدالعزيز: عنينا بإنشاء الميناء الجديد في جدة لترسو البواخر على رصيفه بدلاً من وقوفها في عرض البحر. وأنشأنا ميناء آخر في الدمام على ساحل الخليج، ومددنا بينه وبين الرياض طريقين حديديين للقطارات. وقد أنفقت الحكومة في إنشائهما ٤٥ مليونًا من الدولارات(١٧).

أما الميناء نفسه فبلغ طوله ٧٤٢ قدمًا، وعرضه ٨٥ قدمًا، وجهز ليتسع لرسو باخرتين كبيرتين على جانبيه(١٨)، وقد أطلق على الميناء اسم «ميناء الملك عبدالعزيز». لكن يبدو أن هذا الاسم أطلق عليه بعد وفاة الملك عبدالعزيز عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م.

ويوجد بجانب ميناء الدمام ميناء مدينة الخبر الذي أنشئ قبيل ميناء الدمام، وذلك عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، وهو ميناء صغير أنشئ رصيفه من صخور البحر والحجارة، لرسو المراكب الصغيرة فقط، وقد كان سبب إنشائه حاجة شركة أرامكو إليه لنقل الأغذية، ومعدات التنقيب عن البترول من البحرين إلى مخيم التنقيب في الظهران(١٩). ولكن هذا الميناء فقد أهميته بعد إنشاء ميناء الدمام، وقبله ميناء رأس تنورة.



من بدايات ميناء الدمام





ميناء رأس تنورة

ويقع على الخليج العربي أيضًا، ولكنه ميناء خاص لتصدير البترول السعودي، وقد قامت بإنشائه لهذا الغرض شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو). وبدأ العمل به مع بداية تصدير أول شحنة بترول من المملكة إلى الخارج، وكان ذلك الافتتاح بحضور الملك عبدالعزيز نفسه، وذلك في الحادي عشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٥٨هـ/ أول مايو/أيار ١٩٣٩م(٢٠).. وكان قد خيم في (رماح) ووصل بالسيارات إلى الظهران، وأمضى يومين في استعراض منشآت النفط من الظهران ورأس تنورة متتبعًا مجرى النفط بالأنابيب من حين خروجه من البئر حتى انصبابه بالباخرة للتصدير. ثم في اليوم المذكور صعد إلى الباخرة وافتتح أول شحنة تصدير زنتها عشرة آلاف طن(٢١) من البترول، وهي أول باخرة بترول تنقل الزيت السعودي إلى الخارج(٢٢).

لقد كان ذلك اليوم يومًا مشهودًا في تاريخ المملكة، وكان له أكبر الأثر بعد توفيق الله في تطور هذه البلاد وتقدمها، وإذا كان هذا التصدير قد توقف فترة بسبب الحرب العالمية الثانية، فإنه قد عاد من جديد بعد نهاية الحرب عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م، استمر دون توقف فكان له في تاريخ المملكة ما بعده.

ثانيا - المواصلات الجوية

أهميتها:

تعد المواصلات الجوية أحدث أنواع المواصلات وأرقاها، وأهم عنصر في شبكة النقل في أي بلد أو قطر في العالم. والمملكة العربية السعودية بمساحاتها الشاسعة، وتنوع أشكال السطح فيها من جبال وسهول، ورمال وصحارى قاحلة، وواحات زراعية وغير ذلك هي أحوج ما تكون إلى هذه الوسيلة التي فيها تقصير للمسافات وتقريب للبلاد بعضها من بعض، ولهذا دخلت الطائرات وسيلة نقل في المملكة في وقت مبكر نوعًا ما بالنسبة إلى دخول السيارات.

بل يمكن القول: إنها أول وسائل النقل الحديثة التي استعملت في المملكة العربية السعودية في رحلات تجارية منتظمة، بل إنها استعملت قبل إنشاء المطارات ذاتها(٢٣).

أما الملك عبدالعزيز فقد كانت نظرته إلى الطائرة كنظرته إلى السيارة أو أشد ضرورة؛ فهي أكثر تقريبًا وتقصيرًا للمسافات، وتوفيرًا للوقت، وتعزيزًا للصلات بالدول المجاورة، وإرهابًا وقوة، فكان قد وضع خطة لشراء الكثير من الطائرات حسب الإمكانات المادية المتاحة، وكان اقتناعه بذلك قويًا. وحينما قال له أحد مواطنيه في القصيم: إنهم يحبون أن يركب السيارة دون الطائرة خوفًا عليه من أخطارها، كان رد الملك عبدالعزيز حاسمًا إذ قال: «لا لا. أنا أتوكل على الله في الأرض، ومتوكل على الله في السماء(٢٤)». وكان ذلك إبان زيارته للقصيم في شهر ربيع الآخر عام ١٣٦٦هـ، ومعه ثماني طائرات(٢٥).

لقد كانت أول زيارة يركب فيها الملك عبدالعزيز الطائرة هي رحلة قصيرة ابتدأت من عفيف إلى الحَوِيَّة - قرب الطائف - وذلك في يوم ٢٤ شوال ١٣٦٤هـ - ٣ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٤٥م، وكان قد قدم من الرياض إلى عفيف بالسيارة متجهًا إلى الطائف، فأكمل الرحلة من عفيف بالطائرة(٢٦). ويبدو أن تلك الطائرة هي التي أهداها له الرئيس الأمريكي روزفلت حين اجتماعهما في ٢ من شهر ربيع الأول عام ١٣٦٤هـ الموافق ١٥ فبراير/شباط ١٩٤٥م، في مياه الإسماعيلية بقناة السويس، فقد أهداه طائرة من طراز (دي، سي، ٣). ويؤيد ذلك أن اجتماعه مع روزفلت يسبق رحلته إلى الحوية بسبعة أشهر(٢٧). وهي مدة كافية لتسليم تلك الطائرة

بدأت المملكة في عهد الملك عبدالعزيز بالسفن التجارية الصغيرة والزوارق، حتى دخلت عصر البواخر العملاقة والموانىء العصرية

واستعمالها من قبل الملك وأفراد أسرته. ولم يكن هذا التاريخ أول عهد للبلاد بالطائرة. فقد كانت الحجاز أولى مناطق الجزيرة العربية عهدا بظهور الطائرة، وذلك عام ١٣٣٣هـ/١٩١٥م حينما ظهرت في أجواء مدينة جدة طائرة إنجليزية ألقت منشورات على أهالي جدة تحثهم على الثورة ضد الدولة العثمانية، وذلك في أثناء الحرب العالمية الأولى(٢٨) كما سبق أن أشرنا من قبل.

مراحل بداية التطور

وكما كان الحال في المواصلات البحرية يمكننا تقسيم تقدم المملكة في مجال المواصلات الجوية، وتوافر الطائرات والطيارين عدة مراحل:

المرحلة الأولى:

بدأت باستخدام طائرة واحدة فقط من نوع (داكوتا)، وكانت أول طائرة تشتريها الحكومة السعودية، وتستعملها للنقل الجوي بين المدن الرئيسة الثلاث (جدة والرياض والظهران). وهذا النوع من الطائرات له مزايا خدمت المملكة في أول عهدها بالنقل الجوي الداخلي، فهي طائرة صغيرة وبطيئة، ذات محركين، وتهبط في مكان ممهد وتقلع منه دون الحاجة إلى مدارج مسفلتة، ومن دون الحاجة كذلك إلى أبراج مراقبة للإرشاد والتوجيه(٢٩)، وكان شراؤها لتلك الطائرة في بداية عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.

المرحلة الثانية:

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية أوعز الملك عبدالعزيز بشراء خمس طائرات أمريكية من طراز (داكوتا) ساهمت في النقل الداخلي.

المرحلة الثالثة:

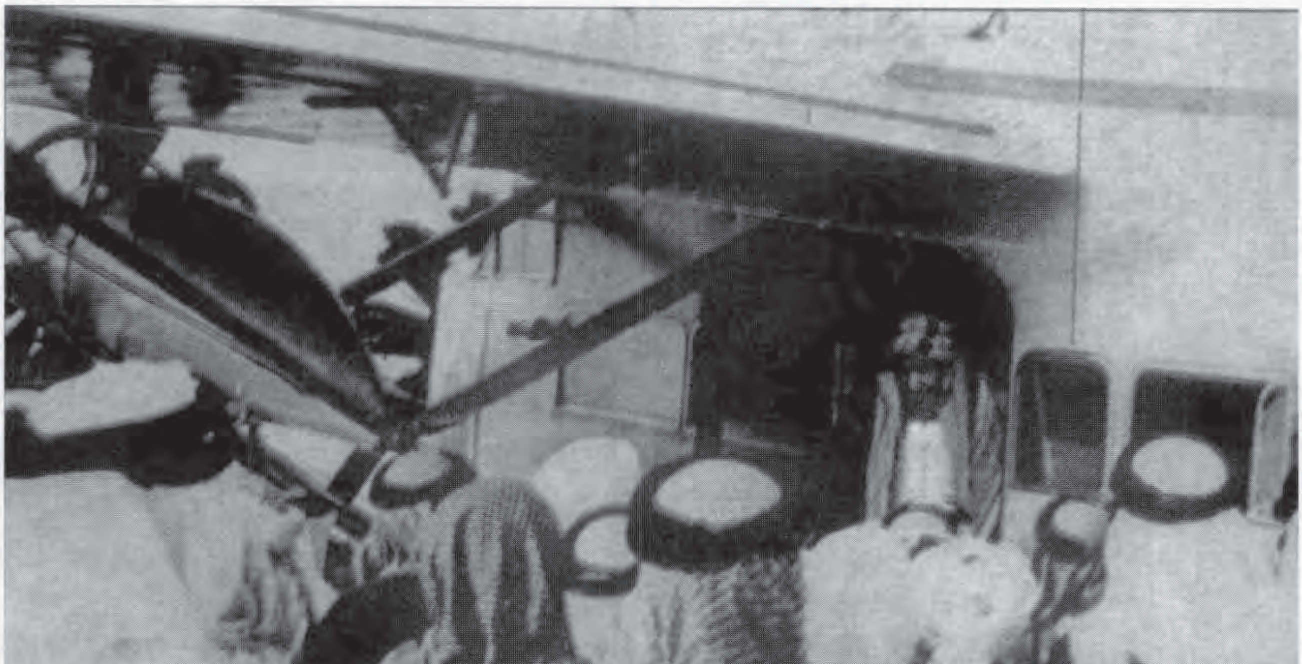
أمر الملك عبدالعزيز بزيادة الشراء، فاشترى ست طائرات من النوع نفسه، ثم ثلاثًا منها، ثم خمسًا أخريات من طراز (بريستول)(٣٠)، وبذلك تجمع لدى الحكومة السعودية الكثير من الطائرات الصالحة للاستعمال العام.

المرحلة الرابعة:

وفي هذه المرحلة صدر أمر ملكي بإنشاء وتأسيس (إدارة الخطوط السعودية) وذلك عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م(٣١)، ووضعت تحت إشراف وزارة الدفاع والطيران، لتقوم بالإشراف المباشر على النقل الجوي السعودي في الداخل أو الخارج.

المرحلة الخامسة:

وفي هذه المرحلة بدأ يظهر نشاط ملحوظ لإدارة الخطوط السعودية، حيث حرصت على تدريب الشباب السعودي على الطيران وما يتعلق به، والواقع أن هذا التدريب قد بدأ منذ وقت مبكر، وقبل إنشاء إدارة الخطوط السعودية، وذلك بحماسة من الملك عبدالعزيز نفسه، فيذكر الزركلي: «أنه في عام ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م أرسلت بعثة إلى إيطاليا مؤلفة من عشرة شبان لتعليم


الملك عبد العزيز يترجل من أول طائرة سعودية

كانت الحجاز أولى مناطق الجزيرة العربية عهداً بالطائرات، وأهدى

الطيـران. وقد تخـرجوا بعـد سنوات، وعادوا(٣٢)، فـاستـفادت منهم إدارة الخطوط السـعودية في مـجـال الطيـران؛ إضـافـة إلى استـعانتهـا بطيارين أجانب حيث وصل عددهم في أواخر عـهد الملك عـبدالعزيز إلى ١٧ أمريكـيًا معظمهم طيـارون، و ١٢ من جنسيـات مختلفـة و(١٢١) سعـوديًا(٣٣)، والذين أصـبحـوا يجـوبون مطارات المملكة الـداخليـة التي زاد عـددها على ثلاثين مطارًا ترابيًـا تهبط فـيهـا طائرة (الداكـوتا) في مناطق متـفرقـة من المملكة. كما أنشأت إدارة الخطوط السـعودية مدرسـة للطيران في الطائف أرسل فوج من متخرجيها إلى إنجلترا لإكمال دراستهم».

المرحلة السادسة:

وفي هذه المرحلـة دخلت الخطوط السـعودية مـجـال النقل الخـارجي، وانطـلقت فيـه؛ حـيث أنشئ خط طيـران مـنظم بين المملكة ومـصر وسـورية ولبنان لتنقل البريد والـركاب والبضـائع، كما قـامت الخطوط السعودية برحـلات كثيرة لنقل الحـجاج من مطار جـدة إلى البـحـرين والكويت وكـراتشي وعـدن وبومـبـاي والبـصرة وبغـداد وطهران والخـرطوم وكـانو ولاجوس وجيـبـوتي وأديس أبابا وطرابـلس الغـرب، بل وصلت إلى داخـل أوربا مـثل جوهـانسبرغ وأثينا وروما وباريس ولندن. وبذلك دخلـت أجواء دول في آسيا وإفريقية وأوربا(٣٤).

وهكذا بدأت الخطوط السعودية في عـهد الملك عـبدالعـزيز تتبوأ مقعدها ضمن الخطوط العالمية، وزاد عدد المسافرين بها حتى وصل عـددهم عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٧م إلى ٦٥٠٠مسافـر، وهو عـدد لا بأس به إذا وضعنا في الحسبـان قلة انتـشار النقل الجوي حينذاك. ثم حداثة نشأة الخطوط السعـودية بالنسبة إلى غيرها من الخطوط العـالمية؛ ولهـذا فـإن عدد المسـافـرين تضاعف بعـد ذلك بعـدة سنوات حـتى وصل عـددهم إلى ٣٥ ألف مـسـافـر عـام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م أي بعيد وفاة الملك عبدالعزيز بسنتين، بعد أن بلغ عدد طائرات الخطوط السعودية حينذاك (٣٤) طائرة من عدة أنواع مختلفة (داكوتا - بريستول - سكاي ماستر وكونفير)(٣٥).

أهم المطارات

وبذلك تضاعف أسطول طائرات الخطوط السـعودية بعد أن بدأت نواتهـا بطائرة واحـدة فقط كـمـا سبق، ثم تـضاعف أيضًـا عدد المطارات في المـملكة نتيجـة لذلك. وإذا كان أكـثر من ثلث المطارات ترابيـة تصلح لهـبوط طائرة خـاصة من نوع (داكـوتا) - كمـا مر - فـإن بعض تلك المطارات يشـتـمل على مدارج واسـعة، وإنارة ليليـة بحيث يصلح لهـبـوط أنواع الطائرات الأخـرى وفي وقت واحد. وهذه المطارات تم إنشاؤها في عهد الملك عبدالعزيز؛ وذلك تحت إشراف وزارة الدفاع والطيران التي كـانت قد حُوِّلت من رئاسة الأركـان الحربية التابعـة لوزارة المالية إلى وزارة مسـتقلة في شهر ربيع الآخر عـام ١٣٦٥هـ مارس/آذار ١٩٤٦م أي بعيد الحـرب العـالميـة الثـانيـة. وعين أول وزير لهـا الأمـير منصـور بن عـبدالعـزيز برتبـة فـريق أول(٣٦). وبعد ذلك بدأت الـنهضـة في



منظر من مطار الرياض القديم

روزفلت الملك عبدالعزيز أول طائرة في الأسطول الجوي السعودي

الجيش السعودي، ثم تلا ذلك إلحاق إدارة الطيران السعودي بوزارة الدفاع والطيران عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٧م باسم (اـ ط السعودية) - كما سبق - فأعطى ذلك مجالاً أوسع للاهتمام بهذه الخطوط وتقدمها وإنشاء عدة مطارات لها أهمها: (جدة، والحوية، والمدينة، والرياض، والظهران).

- أما مطار جدة: فهو يقع في الجهة الشمالية الغربية من المدينة، وقد اكتسب أهميته من أنه أقرب المطارات إلى مكة المكرمة، حيث تبعد مكة عن جدة ٧٣ كيلاً، لذلك اهتمت الحكومة السعودية فيه ليكون الميناء الجوي للحجاج(٣٧)؛ فوضع فيه مدرجان مرصوفان كبيران يتسعان لعشرات الطائرات في وقت واحد بين ٤٠ - ٦٠ طائرة في الساعة. وكانت حركة الطائرات فيه في موسم حج ١٣٦٩هـ بمعدل طائرة كل ٢٤ ساعة(٣٨). ثم زادت هذه النسبة في السنوات التي تلتها. وقد جعل مطار جدة هو مركز الطيران السعودي، ومقر الخطوط السعودية(٣٩).

- أما مطار الحويّة: فهو على بعد ٢٨كم من الطائف، وتقلع منه الطائرات الصغيرة والكبيرة. كما قامت فيه مدرسة تعليم الطيران، ويمر به البريد الجوي الداخلي ثلاث مرات في الأسبوع.

- مطار المدينة المنورة: يبعد عن المدينة ١٣ كيلاً، وتشتد فيه الحركة خلال موسم الحج لاستقباله زوار المسجد النبوي من الحجاج. وقد بلغ متوسط عدد الطائرات التي تهبط فيه ٢٥ طائرة كل ٢٤ ساعة. كما يمر به البريد الجوي الخارجي والداخلي.

- مطار الرياض: يقع شمال مدينة الرياض - عاصمة المملكة - على بعد ٧كم، وأقيم فيه عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م مدرجان كبيران لنزول الطائرات الصغيرة والكبيرة(٤٠)، ويحوي على إضاءة ليلية تسهّل نزول الطائرات فيه ليلاً. وتمر فيه طائرة البريد ثلاث مرات في الأسبوع، كما أوصل بخطين طويلين للطيران الخارجي(٤١). وعلى مقربة منه مطار الخرج (٨٠كم) وبه مدرج واحد فقط.

- مطار الظهران: ويخدم المنطقة الشرقية من المملكة بجانب مطار الأحساء الصغير. ويعدّ من المطارات المهمة في الشرق الأوسط لوقوعه في طريق المواصلات إلى الشرق الأدنى، لهذا كانت تمر به طائرات الشركات العالمية بجانب الخطوط السعودية، وهو مهيأ لاستقبال الطائرات الضخمة ليلاً ونهاراً، وقد قامت ببنائه شركة البترول الأمريكية بناء على اتفاقية بينها وبين الحكومة السعودية في عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م(٤٢)، وهو



الملك عبد العزيز في انتظار وصول أول قطار للرياض

كان الملك عبدالعزيز حريصاً على تدريب الشباب السعودي ليتولى مسؤولية إدارة



يحتوي على كامل المعدات والأقسام الفنية واللاسلكي، والأرصاد الجوية، ومراكز لتدريب الشباب السعودي على الطيران. وقد زود بورشة كبيرة لإصلاح الطائرات(٤٣)، ومستودع كامل محتوٍ على أحدث الآلات لإصلاح جميع الأجهزة الميكانيكية(٤٤) ذات الصلة بالطيران. وفي رمضان ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م عقدت بين الحكومة السعودية وحكومة الولايات المتحدة الأمريكية اتفاقية مطار الظهران لتطويره واستفادة الحكومتين منه(٤٥).

هذه أهم المطارات التي كانت قائمة في عهد الملك عبدالعزيز ومهيأة لاستقبال طائرات مختلفة الأنواع. وهناك مطارات ترابية في عدة مدن مهيأة لاستقبال نوع واحد من الطائرات هي طائرة (داكوتا) حيث تهبط بها تلك الطائرة مرة أو مرتين في الأسبوع، وهي مطارات ترابية كثيرة وصل عددها إلى ٣٠ مطارًا متفرقة في أنحاء المملكة(٤٦) والنزول فيها في ضوء النهار فقط. وذلك مثل مطار رأس شعاب وحائل وبريدة وسكاكة وينبع والوجه ثم عنيزة والرس بعد ذلك (عام١٣٧٤هـ/١٩٥٣م) (٤٧). وغيرها كثير. والله الموفق،



العمل في خط سكة حديد الرياض ـ الدمام



الشؤون البحرية والخطوط الجوية السعودية

الهوامش

١ـ فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب ص١٤ ـ ١٦.
٢ـ بكر عمر العمري، ووحيد هاشم، النظام السياسي السعودي، جـ١، ص١٨٣.
٣ـ محمد إبراهيم رحمو، أضواء على الإستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز ص١٦٣.
٤ـ الزركلي، الوجيز ص٩٨. وانظر مقالاً عن ميناء العقير للدكتور محمد الملحم في مجلة «أهلاً وسهلاً» عدد محرم وصفر عام ١٤١٧هـ.
٥ـ عبدالمنعم الغلامي، الملك الراشد عبدالعزيز آل سعود ص ٢٥٥.
٦ـ الزركلي، شبه الجزيرة ٤١١/١، ٤١٢.
٧ـ عبدالمنعم الغلامي، ص٢٥٥ و ٢٥٦.
٨ـ مجلة المصور المصرية تاريخ ٢٨ أبريل/ نيسان عام ١٩٥٠م ص٨، مقال بعنوان: (أسد الجزيرة قال لي) لمندوب المجلة.
٩ـ الزركلي، شبه الجزيرة ٤١٢/١ و ١٣٣٠/٤، وعبدالمنعم الغلامي ص٢٥٦.
١٠ـ حديث مع الفريق سعيد بن محمد العمري في ١٤٠٧/٤/١٠هـ ضمن كتاب كنت مع عبدالعزيز ص١٠٢ الذي يذكر أنه قام برحلة من جدة إلى جيزان على سفينة شراعية عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م مرسلاً مع جنود معه في أثناء حرب اليمن لينضم إلى جيش الأمير فيصل بن عبدالعزيز هناك.
١١ـ الزركلي، الوجيز ص٢٢٧ و ٢٢٨.
١٢ـ بكر عمر العمري، المرجع السابق ص ١٨٤.
١٣ـ عبدالمنعم الغلامي، المرجع نفسه ص ٢٥٧ وما بعدها.
١٤ـ حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين ص١٦.
١٥ـ انظر: جريدة الجزيرة ملحق عن المنطقة الشرقية في العدد ٢٨٢٥ في ١٤١١/١١/٢٣هـ ص١٨ وما بعدها.
١٦ـ عبدالرحمن الشريف، جغرافية المملكة، ص٢٨٤.
١٧ـ مجلة المصور القاهرية عدد ٢٨ أبريل/نيسان عام ١٩٥٠م/١٣٧٠هـ ص٣.
١٨ـ جريدة أم القرى عدد ٤ شوال عام ١٣٦٩هـ ـ ١٩ يوليو/تموز١٩٥٠م ص٩، وانظر الوجيز للزركلي ص٢٢٥.
١٩ـ جريدة الجزيرة، ملحق المنطقة الشرقية عدد ٦٨٢٥ في ١٤١١/١١/٢٣هـ، ص١٥.
٢٠ـ عبدالفتاح أبو عليه، الإصلاح الاجتماعي ص٩، والزركلي، الوجيز، ص١٤٨.
٢١ـ الطن: ٧ براميل تقريباً.
٢٢ـ انظر: الزركلي، شبه الجزيرة ٦٨٧/٢ ـ ٦٨٩ و٧٠٥.
٢٣ـ عبدالرحمن الشريف، جغرافية المملكة ص ٢٩٠، ومحمد رحمو، الإستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز، ص١٦٣.
٢٤ـ عن الشيخ حمود بن عبدالعزيز المشيقيح في بريدة في ١٤٠٧/٥/٨هـ ضمن كتاب كنت مع عبدالعزيز، ص ٨٩ و ٩٠.
٢٥ـ إبراهيم بن عبيد، تذكرة أولي النهى والعرفان ٢٣٨/٤.
٢٦ـ الزركلي، الوجيز ص ٢٠٤ وشبه الجزيرة ٧٥٦/٢.
٢٧ـ حسن الفكهاني، الموسوعة الحديثة للمملكة العربية السعودية ٢٧٧/١.
٢٨ـ انظر: حسين نصيف، ماضي الحجاز وحاضره، ص٢٢، وانظر ص١٨ من هذا البحث.
٢٩ـ عبدالرحمن الشريف، المرجع السابق، ص٢٩٠.
٣٠ـ الزركلي، الوجيز، ص٢٠٣.
٣١ـ حسن الفكهاني، المرجع السابق، ص٢٧٧.
٣٢ـ الزركلي، شبه الجزيرة م/٧٥١ والوجيز، ص٢٠٣.
٣٣ـ عبدالفتاح أبو عليه، الإصلاح الاجتماعي، ص٢١١.
٣٤ـ عبدالرحمن الشريف، جغرافية المملكة.
٣٥ـ الزركلي، شبه الجزيرة ٧٥٢/٢ والوجيز، ص٢٠٤.
٣٦ـ عبدالفتاح أبو عليه، المرجع السابق، ص٢١١.
٣٧ـ الزركلي، شبه الجزيرة ٩٩٢/٣ و ٩٩٤ وقد توفي الأمير منصور ١٣٧٠هـ/١٩٥١م في باريس معالجًا من مرض ألم به، فخلفه نائبه أخوه الأمير مشعل، ثم استقال بعد وفاة أبيه ١٣٧٤هـ، فتولاه الأمير فهد بن سعود بن عبدالعزيز، ثم أخوه محمد بن سعود (أمير الباحة حاليا) حتى عام ١٣٨١هـ، حيث تولاها الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولازال.
المرجع السابق ص ٩٩٤ وكان الأمير سلطان قد تولى وزارة المواصلات في أول نشأتها عام ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م. ثم وزارة الزراعة في أول عهد الملك سعود. انظر: عبدالعزيز الأحيدب، من حياة الملك عبدالعزيز ص٢٨٦، ومجلة المنهل السنة ١٤ جـ٥ جمادى الأولى١٣٧٣هـ يناير ١٩٥٤م، ص٣١٤.
٣٨ـ عبدالمنعم الغلامي، الملك الراشد عبدالعزيز آل سعود، ص ٢٣٣.
٣٩ـ الزركلي، شبه الجزيرة ٧٥٢/٢ و ٧٥٣.
٤٠ـ سيد محمد إبراهيم، تاريخ المملكة العربية السعودية، ص٢٠٦.
٤١ـ الزركلي، المرجع السابق ٧٥٥/٢.
٤٢ـ عبدالمنعم الغلامي، المرجع السابق، ص٢٣٣.
٤٣ـ عبدالفتاح أبو عليه، المرجع السابق، ص٢١٠.
٤٤ـ الزركلي، المرجع نفسه ٧٥٥/٢.
٤٥ـ عبدالمنعم الغلامي، المرجع السابق، ص ٢٣٣ وما بعدها.
٤٦ـ انظر: نص الاتفاقية في أمين السعيد، تاريخ الدولة السعودية، ص٢١٧ ـ ٢٢٧.
٤٧ـ عبدالرحمن الشريف، المرجع السابق، ص٢٩٠ وما بعدها.
٤٨ـ محمد السمان، عنيزة بين الأمس واليوم، ص٢٣٩، الطبعة الثانية.

روح المجتمع.. عتبات اليقين أفياء من سيرة الملك الموحّد

عبدالرحمن عبدالعزيز المجماج

من تقاليد الأمم أن تكرم الدول زعماءها الذين أدخلوها حركة التاريخ، فالهند وضعت النصب، وأحيت كثيراً ذكرى زعيمها جواهر لال نهرو، والولايات المتحدة الأمريكية خلدت ذكرى جورج واشنطن، وفرانكلين بنيامين، وبريطانيا تحتفي كثيراً بعصرها الفكتوري.

ومن الحقائق التي سجلها المؤرخون من العرب والعجم في كتبهم أن عبدالعزيز بن عبدالرحمن يقف في صف واحد مع هؤلاء وغيرهم من صانعي التاريخ، لكن تظل لأسد الجزيرة فرادته التي تحمل رائحة الوفاء لملك الآباء والأجداد والرياض أهلاً ووطناً حين قفل ذلك الفتى الجسور عبدالعزيز راجعاً من الكويت. ومن المهم جداً أن يسأل المؤرخ: ترى لماذا ذلك التوقيت في فتح الرياض «عام ١٣١٩هـ»، في الزمن الأشد تعقيداً في الجزيرة العربية بعامة؟ ذلك أن جرأة الفارس تسكنه، وإدارة الحروب شيء يجده في سجاياه وقدرته، ومصداقية ذلك قدرته على دخول الرياض في عام سابق «١٣١٨هـ» بعد معركة الصريف التي قادها الإمام عبدالرحمن الفيصل، والشيخ مبارك أمير الكويت آنذاك ضد عبدالعزيز بن متعب الرشيد أمير الجبل الذي اغتصب نجداً، ولم يكتب لها النجاح(١).

إن الفتح المبين للرياض الذي تم ببراعة أدار خطته فكر الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - ونفذها مع رجاله الأشاوس بنجاح تام، قد لا تحققه بأيام كتيبة من القوات الخاصة في الوقت الحاضر. وإذا كان دخول الرياض والامتداد جنوباً «نحو الخرج والحوطة والحريق والأفلاج والدواسر في جبهة مثلثة عريضة رأسها في العارض وقاعدتها ممتدة على طول الحدود الشمالية للربع الخالي من يبرين إلى وادي الدواسر»(٢) ليس فيه كثير عنت لأمور كثيرة، ليس أقلها ذلك الارتباط الجغرافي والسكاني (الديمجرافي) بين سكان تلك المناطق ونقطة الانطلاق، وهي العاصمة الرياض، لذا كانت المعارك التالية في تكوين السلطة النجدية أشبه ما تكون بالحفر في الصخر، مع أن نظرة الموحّد إليها لم تكن أكثر من كونها عتبات لليقين الذي سوف يستظل ببرده سكان هذه الجزيرة فيما لو سارت تلك الخطوات كما أراد لها، يرحمه الله، وقد تحقق ذلك، ولله الحمد. ومن هذه الخطوات استكمال دخول القصيم تحت إمرة الموحّد، وعلى رأس ذلك بريدة وعنيزة والبكيرية والرس، وأخيراً معركة روضة مهنا «٨ صفر ١٣٢٤هـ»، التي قتل فيها أمير حائل، وحل محله ابنه متعب بن عبدالعزيز بن متعب بعد أن تنبأ بوفاة والده نتيجة عودة فلول جيشه المهزوم.

إن معركة روضة مهنا تستحق أن تسمى فتح الثبات؛ لأنها أوجدت ذلك التوازن والامتداد المنشود بين أقاليم الوسط آنذاك، حيث العاصمة الرياض وامتدادها جنوباً، ثم الناحية الغربية باتجاه القصيم، وقد أصبحت جميعها تعيش حالة من الاستقرار، كم كانت تشتهيها سابقاً.

لذا لا نستغرب أن تكون معركة «روضة مهنا» أكثر معركة عمرت طويلاً بالخيال الشعبي النجدي، فكم سمعنا الآباء والأجداد يرددون النهاية (التراجيدية) التي وقع فيها ابن رشيد بزهو وفخر شديدين. لقد كانت بحق هبة الخالق لهذه الجزيرة التي أراد لها عز وجل أن تنعم بحكمة الموحّد وعدله، يرحمه الله، وإذا كان





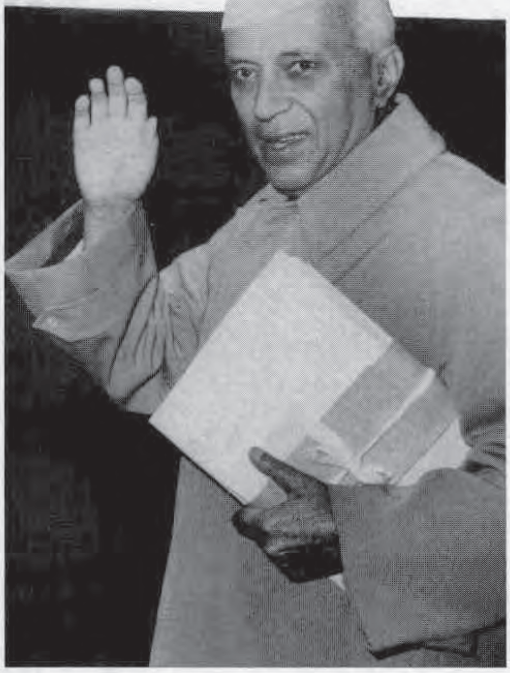
الملك عبد العزيز

الحديث لايزال موصولاً عن معركة «روضة مهنا» التي ذُكر عنها الكثير من الآراء والتحليلات، لكنّ مؤرخًا مثل ابن مانع كتب عنها بكثير من التجرد، فمع أنه سبق له العمل في ديوان جلالة الملك إلا أنه لم يكتب تاريخه إلا في مرحلة متأخرة من سني حياته، وهذا أدعى للصدق، والكَلام ابتداءً له: «لقد روى لي شخصيًا عبدالرحمن بن مطرف حامل راية ابن سعود، حيث ذكر أن الموحّد اجتمع بحوالي عشرة من زعماء القبائل الذين ظلوا معه برغم تفرق أتباعهم، وتقرر في الاجتماع أن يحاولوا التسلل إلى خطوط العدو بالسير ليلاً والاختفاء نهارًا»(٣).

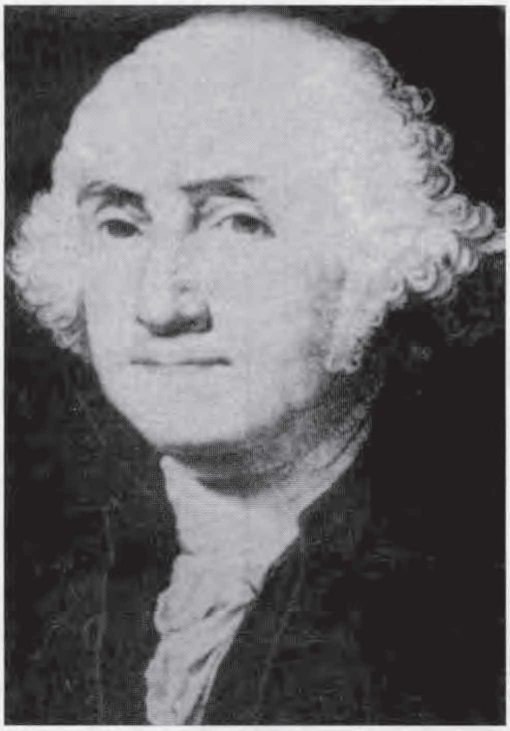
لقد بدأت خيوط المعركة تتشكل في ذهن القائد عبر مبدأين: الأول هو الشورى، وهو مبدأ إسلامي: *وشاورهُم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله*. آل **عمران**:١٥٩. ومع أن الخطوة الأولى المتمثلة في الشورى كانت أداة فعالة في اتخاذ القرار، وذلك سوف يلقي بظلاله على ما يعرف بالأهداف «القبلية»، أي الخطوات الواجب اتخاذها قبل بدء سير المعركة؛ وذلك لتجنيب الجيش البالغ ٢٠٠ شخص فقط مواجهة غير متكافئة مع جيش العدو القوي عتاداً وعدّة؛ لذلك تمخض عن ذلك ما يعرّفه القادة العسكريون استغلال «البعد الإستراتيجي»، وهو الاستخدام الأمثل والحكيم لمعطيات الطبيعة من كثبان رملية وأودية، وتشكيلات صخرية، وأشجار، وهذا البعد بأهميته جعل دولة بحجم فيتنام تهزم أكبر دولة في العالم في حينه وإلى الآن. والأهم هو ما فعله رجال الموحّد الذين بعثهم لتعقب خطوط العدو الأمامية، لكن المحيّر حقًا أن العدو لم يكن منهم ببعيد؛ إذ لم يكن يفصله عنهم سوى كثيب رملي واحد، وهناك وقف القائد الموحد، وألقى نظرة فاحصةً على جيش عدوه، لقد كانت المسافة بينهما رأي العين؛ لذلك انهمرت التوسلات من أتباع الملك عبدالعزيز حاثةً إياه على النزول من ظهر الكثيب الرملي المكشوف أمام أنظار العدو، لكن الرد من الموحّد - يرحمه الله - كان ممهوراً بدراية الحرب التي عرفها وعرفته، وذلك بقوله: «إن العدو غافل تمامًا، ولا يعلم بوجودنا، وإني لن أتحرك من هنا حتى أجرّب حظي معه». فقال له أتباعه بتوسل: ولكن ذلك عمل انتحاري، فأجابهم: «إنها فرصة أجلّ من أن تفوَّت، وأخبرهم بخطة استطاع أن يفكر فيها في تلك اللحظة»(٤).

حقيقة إن الموهوبين من الرجال تجري على ألسنتهم الحقائق كما يقال، لأن ما توقعه القائد بحنكته وبصيرته كانت نتائج الخطة التي رسمها لرفاقه لتؤتي أكلها في المساء القريب، ويتضح بما لا يدع مجالاً للشك غفلة العدو، وعدم حيطته وحذره عن طريق بث فرق الاستطلاع، ذاك أن جيش الموحّد بعدده المئتين انقسم نصفين حسب خطة قائده، وليس بين الفريقين سوى ساتر رملي، وكان نصيب كل واحد منهما هو القيام بجولة استطلاعية نحو مخيم العدو بعد منتصف الليل، فكان أن قادهم الحظ السعيد بعد توفيق الله عز وجل نحو مخيم ينبعث منه نور خافت وعند اقترابهم منه صادف خروج رجل من المخيم يتبعه خادمه، ولم يكن ذلك إلا المطلوب

تستحق معركة روضة مهنا أن تسمى فتح الثبات، وكانت أكثر المعارك التي عمرت في المخيلة الشعبية في نجد



جواهر
لال نهرو



جورج
واشنطن

نفسه، حيث اتضح أنه ابن رشيد، وعند سماعه بعض حركتهم في بادئ الأمر كان يظنهم بعض رجاله، وذلك بقوله: «وش ها الدبره يا الفريخ» وعند ذلك تجاوبت أسماعهم جميعًا لصوت أحدهم الذي قال «ابن رشيد ياطلاّبته»(٥). فانقضوا عليه كالأسود الضواري وقتلوه. ومعركة «روضة مهنا» حقها أن تقرأ من الداخل بعمق وأناة شديدين، وذلك لأنها تتقاطع كثيراً مع فتح الرياض من حيث الظروف غير المواتية التي سبقت سير المعركة مع ما يعانيه القائد من قلة عدد جيشه مع ضعف في الإمكانات أملته ظروف المعركة من حيث بعده عن عاصمته، وكذلك قلة الإمدادات التي تأتي من القبائل؛ لأن الصورة لم تتضح لديها بعد لمن سوف تكون الغلبة في هذه الجزيرة، لأي من القوتين «ابن سعود» أم «ابن رشيد»؟ لكن نتائج المعركة أظهرت الميزان الحقيقي للموحّد لدى جميع القبائل والحواضر، واكتمل بذلك «استرداد نجد بأقسامها الوسطى والجنوبية والشمالية، ورجحان كفة آل سعود لكونهم أكبر قوة داخل شبه الجزيرة العربية»(٦)

نافذة على الخليج

وإذا تركنا أقاليم وسط الجزيرة العربية بعد أن سادها الكثير من الهدوء، فإننا نحاول هنا طرح سؤال مؤداه، ترى لماذا فكر الملك عبدالعزيز في أهمية وجود نافذة له على الخليج؟

وقبل التطرق إلى الأسباب الفنية (الإستراتيجية) التي دعت الملك عبدالعزيز لضم القطيف، والأحساء، وطرد الحامية التركية منها، نجد أن مرد ذلك بادئ ذي بدء هو إحساس الموحّد بأن تلك الربوع هي ديار الآباء، والحقُّ ما نطقت به الأعداء، حيث كان الأتراك وحاميتهم في بغداد يسمون الأحساء «لواء نجد»؛ لذلك كان الفضاء الزمني الذي اختاره الموحد لاسترداد الأحساء (١٣٣١هـ - ١٩١٣م) ملائمًا، مستفيداً من ضعف الدولة العثمانية نتيجة حربها ضد الإيطاليين، وحروبها في البلقان، واضطرارها لسحب جزء من حاميتها في الهفوف(٧).

لذلك لم يجد الموحد كثير عناء مع جنده في اقتحام بلدة الهفوف، وقد شبّه بعض المؤرخين مقر الحامية التركية في الهفوف بقصر المَصْمَك في الرياض، لأن الأتراك بالغوا كثيراً في تحصينه من الداخل، لكن متصرف الهفوف كان يعرف الحال التي ستؤول إليها الدولة العثمانية.

حركة الإخوان ومعركة السبلة

وإذا نظرنا إلى ظروف التكوين نجد أن مجتمع الإخوان مجتمع متحول من حياة

إنشاء دار الأيتام لرعاية الأطفال والشباب في عهد الملك عبدالعزيز كان لبنة من لبنات الرعاية الاجتماعية في المملكة





بنجامين فرانكلين

البداوة والترحال إلى مجتمع من الصعب إذ ذاك وصفه بأنه شبه حضري؛ لأنه لم يحز أكثر من فضيلة الاستقرار في تلك «الهجر» التي اعتمدت على مكونات البيئة فقط في نشوئها، وهما الطين وسعف النخل وجذوعه، وذلك النوع من التكوين من الواضح أنه لن يسمح بتمرير أي معطى حضاري من مستجلبات المدنية الحديثة؛ والأهم هو أن تلك الهجر بات معظمها - إن لم يكن جميعها - مفتوحًا على مفازات وصحارى قريبة من تلك المنازل الهشة، وبذا يكون النشاط الرعوي وما يتبعه من إنتاج حيواني هو سيد الموقف. ومعلومٌ أن المجتمع الرعوي هو مجتمع بدوي بله ما يتبع تلك المفردة من خشونة العيش وقساوته، بل وصعوبته، بينما نجد المجتمع الريفي - والزراعي - لديه قدرة لإذابة البداوة بكل صورها القاسية، لأن المجتمع الزراعي يبتهج أهله بمواسم الزراعة استعدادًا، ويتقاسمون الفرح عندما تحين مواسم الحصاد، كما أن رحلتهم لأسواق المدن القريبة لتسويق منتجاتهم تتيح لهم فرصة الحصول على النقود، وما تجلبه من بهجة لكاسبها، ولو كانت بشكلها غير المألوف، وقد تكون تحمل شعارات بعيدة عن محيط مجتمعهم، بل مستمدة من أنظمة بعيدة قد لا يكونون خضعوا لسلطتها، مثل قولهم في (تشييء) ذلك النوع من النقد في ذلك الوقت «فرانسه» «مجيديات» «عصملي» وبالتأكيد فإن كل ذلك النوع من الرفاهية مطلب غير محبب لدى مجتمع الإخوان، بل هو مدعاة الترهل والكسل الذي يسمح للحم بالتمدّد على مناحي الجسد، وهذا ما يزدريه أفراد المجتمع البدوي.

وإذا عدنا للمسار الزمني عشرين عامًا، وهو العمر التقريبي لحركة الإخوان، نجد أن النظام الذي يقود دفته الموحد عبد العزيز قد استحضر مفهومات جديدة على صعيد النظرية والتطبيق، وذلك عبر إيجاد جهازين : تنفيذي يشرف عليه الملك نفسه، وقضائي شرعي تحال إليه الخصومات والحوادث التي تقع للفصل فيها بالوجه الشرعي، ثم تقوم الأجهزة التنفيذية بتنفيذ ما يصدر من أحكام. وقد اشتهر من القضاة عبدالله العنقري وسعد بن عتيق وغيرهما. وعلى مستوى التطبيق نجد أن الدولة الفتية بقيادة الموحّد احتفت كثيرًا بالآلة، فاستوردت السيارات والمبرقات لربط أجزاء الدولة. ولعل ذلك التطور المفترض لدى النظام لم يقابله شيء يذكر في صفوف الإخوان، لذلك لم يكن مستغربًا أن تكون شرارة الخلاف التي قادت إلى المواجهة، ومن ثم إلى الحرب هو اعتداء فرقة من الإخوان على قافلة لابن شريدة أحد تجار العقيلات المشهورين.. وقد طلب الموحّد - يرحمه الله - مثول جميع من تورط في قتل بعض أفراد القافلة أمام الشرع الحنيف ليقول القضاء كلمته، ولكن يبدو أن رؤساءهم لم يسلموهم، وفي أحسن الأحوال «عرضوا إرجاع ثمن الإبل التي كانوا قد استولوا عليها، وكان جواب الملك لهم: نستطيع أن نتحاكم إلى قاضي الشرع». وأمام ذلك التعنت من قبل بعض الإخوان كانت الحرب هي الخيار الذي بدأ يلوح في الأفق، وقد قاد إخماد هذه الفتنة التي انتهت بمعركة السبلة الملك نفسه الذي انطلق مع جيشه ورجال ديوانه من الرياض إلى بريدة، ثم بلدة النبقية، ثم الزلفي، والذي اكتشف أن موقعه فيها لم يكن مريحًا من الناحية التقنية الحربية (الإستراتيجية)، فأصدر أوامره في التحرك

فتح الملك الموحد الأحساء مستفيدًا من ضعف الدولة العثمانية نتيجة حربها ضد الإيطاليين وحروبها في البلقان

إلى روضة السبلة قرب الزلفي بعد أن لحق به من الرياض نجلاه سعود ومحمد، رحمهم الله جميعًا.

وفي مقر إقامته الذي أصبح ما حوله مسرحًا للمعركة استضاف الملك عبدالعزيز زعيمهم فيصل الدويش لمدة يومين، وتحاوروا طويلاً، لكن الأخير عند مغادرته قال: إذا لم يصلك منا خبرٌ في الغد فالحرب قائمة. وقد وصف المؤرخون مدة معركة السبلة بأنها لم تتجاوز نصف ساعة بعد التحام الجيشين، ثم كانت الغلبة للموحّد، يرحمه الله، الذي تعامل مع فلول المهزومين بأريحيته وإنسانيته المعهودة، فقام طبيبه الخاص بمعالجة زعيمهم فيصل الدويش الذي جيء به فيما بعد من بلدة الأرطاوية، ومن ثم اختار السفر إلى الكويت. والملاحظ أن حروب الموحّد جميعها كانت تستنفد الحوار بأساليبه وطرائقه، ومن ثم تدق طبول الحرب، فقد لاحظنا بأن مدنًا نجدية وغيرها عادت إلى إمرة الموحد صلحًا ومن دون معارك بين الطرفين؛ لذلك حق أن نسمي ما خاضه الموحد من حروب بأنها لم تكن أكثر من عتبات لليقين التام بعدها شمل هذه الجزيرة بعد أن تشتت، وأمنت بعد خوف، ورغدت بعد جوع، ونمت بعد انحسار، وفي سطور مقبلة سوف نستعرض بعض مظاهر الروح الاجتماعية التي تفيض حبًا لأبناء الجزيرة، ولجميع من عمل معه.

روح المجتمع

لقد كان الموحّد - يرحمه الله - روحًا لمجتمعه، وذلك في ملاطفته لصغيرهم، وتقديره لعالمهم وشيخهم، وعنايته بفقيرهم الذي تاهت به دروب الحياة، لقد ذكرنا في غزواته، وما أسميناها عتبات اليقين، وهي بحق كذلك، إن شاء الله؛ لأن الهدف منها هو بسط ظلال الأمن على ربوع تلك الجزيرة، والعتبة: تعني الترقي نحو الهدف المنشود.

إذن من السهل التذكر أن الشرارة المحركة لمعركة السبلة هي اعتداء طائفة من الإخوان على قافلة ابن شريدة، وهو من تجار العقيلات الذين جابوا بتجارتهم في الإبل والمواشي ذهابًا إلى أسواق الميدان بدمشق، وسوق اللد بفلسطين آنذاك قبيل الاحتلال البغيض، وسوق بلبيس بمصر وإيابًا إلى الجزيرة. وما إن استقرت الدولة الفتية حتى أصبح يصرف للمواطنين ما عُرف لدى العامة «أباعر الشيوخ» عوضًا عن تلك الرحلات الخطرة المرهقة التي يجوب بها التجار أسواق العالم العربي، وكلمة «بعير» لا تندرج لما جمعت له آنفًا. وروح المجتمع كانت تسكن كيان الموحد الذي تشكلت به ومعه الدولة الفتية، لكنه، إبان ذلك، كان يواجه - يرحمه الله - عقبات كؤودًا ليس أقلها ضعف موارد الدولة في ذلك الزمان، بله مجتمعًا قبليًا لديه رغبات عارمة في حب الثأر والسلب والنهب، لذلك بعد أن ابتنى قصر المربع أنشأ ما عُرف بمضافة «اثليم»، وهدفها النبيل هو توفير اللقمة الساخنة لقاصدي العاصمة من الأعراب، وسكان الضواحي.

ولقد كانت هذه (المضافة) من مآثره بحق، يرحمه الله، في زمن لم يكن للكماليات دور أو ذكر، إذ الهدف الأسمى لدى القاعدة الجماهيرية للمجتمع هو الحصول على لقمة العيش مع بعض أسمال تغطي تلك الأجساد شبه العارية نتيجة لشظف العيش في ذلك الزمان، وفي تطبيق العقوبات على العصاة والمجرمين. ذكر له رجال شرطته خبر شخص يمارس السلب والنهب حول تخوم المدينة والبراري القريبة، وقد طلب منهم سرعة القبض عليه وإحضاره ليرى فيه رأيه، لكن المفاجأة التي تدخلت في تغيير قرار الملك، يرحمه الله، تجاه ذلك الجاني، هو أنه لاحظ ببصيرته النافذة، وفكره المتقد أن من نسبت إليه تلك الأفعال الإجرامية المشينة لم يكن أكثر من شيخ هرم أتت عليه السنون والأيام، فاحدودب ظهره، والتوت صفحة وجهه، وبدا أمامه كنسر عجوز، فسأله الملك باستغراب عما حدا به لارتكاب ما ارتكبه من أفعال؟ فرد الجاني بأن مرد ذلك الفقر والحاجة والعوز، كل ذلك جعله يضلّ عن الصراط المستقيم، فما كان من الموحّد - يرحمه الله - سوى أن عفا عنه بعد أن رق لحاله وجسمه الناحل الذي ليس للسيف به موضع، وقد أكرمه وأنعم عليه فيما بقي من حياته، والعفو عند المقدرة من شيم الكرام. ويكفي في عهد الملك عبدالعزيز أن أنشئت أول دار للأيتام لرعاية الأطفال والشباب من ذوي الظروف الخاصة، وذلك لوقايتهم من آفة الجنوح والانحدار نحو مهاوي الردى والفساد. ومن هنا ظهرت أبجديات الرعاية الاجتماعية في فترة مبكرة جدًا من عمر المملكة العربية السعودية.

وأخيرًا، وليس آخرًا، لقد كان الملك عبدالعزيز حضاريًا جدًا في مجتمعه وعلاقاته بالعالم حيث حاور الآخر الغربي انطلاقًا من مبدأ المصلحة، وذلك لم يمنعه من أن يكون مضرب مثل بالتقى والصلاح.

رحم الله الموحد وجزاه عن جزيرته خير ما يجزي به عباده الصالحين.

المراجع

١- آل سعود، موضي بنت منصور بن عبدالعزيز. «الملك عبدالعزيز ومؤتمر الكويت» - جدة - تهامة، ١٩٨٢م».

٢- الشهيل، عبدالله محمد. فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة، بحث منشور. لم تذكر سنة الطبع.

٣- المانع، محمد، «توحيد المملكة العربية»، ترجمة عبدالله الصالح العثيمين - الدمام: مطابع المطوع، ١٩٨٢م.

الهوامش

* تعريف إجرائي: يقصد الباحث بعتبات اليقين غزوات الملك عبدالعزيز المتمثلة بفتح الرياض، معركة روضة مهنا، معركة السبلة، ضم الأحساء.

١- آل سعود، موضي بنت منصور بن عبدالعزيز. «الملك عبدالعزيز ومؤتمر الكويت» جدة - تهامة١٤٠٢هـ ص١٩.

٢- آل سعود، موضي بنت منصور بن عبدالعزيز. مرجع سابق ص٢٠ - ٢١.

٣- المانع، محمد، «توحيد المملكة العربية السعودية»، ترجمة عبدالله الصالح العثيمين - الدمام: مطابع المطوع ١٤٠٢هـ ص٥٩.

٤- المانع، محمد، «توحيد المملكة العربية السعودية»، مرجع سابق ص٦٠.

٥- المانع، محمد، «توحيد المملكة العربية السعودية»، مرجع سابق ص٦٠.

٦- آل سعود، موضي بنت منصور بن عبدالعزيز، مرجع سابق ص٢١.

٧- آل سعود، موضي بنت منصور بن عبدالعزيز، مرجع سابق ص٢٣.

٨- الشهيل، عبدالله بن محمد، فترة تأسيس الدولة السعودية المعاصرة، بحث منشور، ص٨٠، ٨١، ٨٢.



المرأة في المملكة العربية السعودية:
الجذور البعيدة والمعاصرة

هزاع بن عيد الشمري

الحديث عن المرأة العربية السعودية، حتى لو كان مقتضبًا، لابد من ربطه بالماضي، وإن طال أمده، للصلة الوثيقة بين السلف والخلف في مناحٍ متعددة متشابكة من الأخلاق، والعرق والطبع، واللغة، والدين، وعبقرية الأرض، وتأثيرها في السلوك والعادات.



الصلة بين الماضي والحاضر لا تنقطع

ففي هذه الأرض المعروفة بالمملكة العربية السعودية اليوم عاشت معظم القبائل العربية في العصر الجاهلي وما بعده، وترابطت أخلاقها ومكارمها، وتشابهت عاداتها وقيمها على أن الملة كانت واحدة. وإن اشتهر كثير من العرب بالفعل الحميد، ومكارم الأخلاق فقد انعكس هذا على المرأة، فشاركت هي في هذه المكارم والأدبيات، وبرزت حتى تساوت مع بعض الرجال الكبار في عاداتهم الحسنة، وأفعالهم الفذة الذائعة، ولم يأت ذلك لولا احترام الرجل للمرأة، وفخره بها، وبالانتماء إليها عند الصيت. فهم على صواب حين قالوا: «النساء شقائق الرجال». ولهذه العبارة معان دقيقة وواسعة تتضمن ـ على الأقل ـ المساواة، والاحترام، وصون العفاف، والذود عنه. والعربي لا يثور لشيء بقدر ثورته دفاعًا عن الأرض والعرض. فهذا عمرو بن معد يكرب ـ وهو فارس معدود ـ لم يبال بالمهاجمين إلا حينما رأى نساء قومه على غير هدى من أمرهن، وتبعثرهن، ووجلهن، فنازل قائلاً:

وبدتْ لميس كأنّها
بدر السماء إذا تَبَدّى
وبدت محاسنُها التي
تخفي وكان الأمرُ جدّا
نازلتُ كبشهم ولم
أر من نزال الكبش بُدا

وهذا أبو تمام يفخر بسخاء قبيلته، ومنعة عرضها وصلابته بقوله:

ألنّا الأكُفَّ بالعطايا فجاوزتْ
مَدَى اللين، إلاّ أنَّ أعراضَنا صَخْرُ

ملوك وسادة ينتسبون إلى أمهاتهم

ونحن نعرف كثيرًا من ملوك العرب وسادتهم، وفرسانهم وأعيانهم ينتسبون إلى أمهاتهم أو يكنون ببناتهم، ولولا جلالة مكانتهن، وكبير قدرهن لما رضوا بذلك، ولا افتخروا به. فأوس بن حارثة الطائي، سيد العرب وسخيّها ومنيعها في زمانه ينتسب إلى أمه سعدى، ويفخر بها، وما مدحه الشعراء إلاّ بهذه النسبة. وكانت سيدة نبيلة ذات عقل ورأي، مدبرة كريمة، وهي التي منت على الشاعر الفارس بشر بن أبي خازم، وأمرت ابنها بفك قيده. وذاك الكريم الجواد المشهور



سلوى الهزاع

كعب الإيادي عرف بابن مـامة، وهي أمه. ومارية بنت سيار الشيباني أم الملك قيس بن شراحيل نسب إليها، وعرف بها، وامتدح أيضًا باسمها. وماء السماء بنت عوف، من بني النمر بن قاسط نسب إليها ابنها الملك المنذر اللخمي، وكانت معدودة في الحسن والجمال الرائع. وهند بنت الحارث الكندي أم الملك عمرو بن المنذر اللخمي المعروف بمضرط الحجارة لشدة بأسه عرف بابن هند لشرفها ومكانتها. وأمير المؤمنين معاوية عرف بابن هند، وكان يفتخر بذلك، ويذكره عند اشتداد الأمر، ومكانتها معروفة، فهي إحدى نجائب قريش وعقائلها. وخير من اعتزى بنسبه إلى نساء هو رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال يوم (حنين): «أنا ابن العواتك من سُليم»، وهن ثلاث من جداته، عليه السلام، وكانت سليم حاربت معه يوم حنين، واستبسل أبطالها، فلذلك انتسب مفتخرًا بهم.

أما الذين كنوا أو تكنوا ببناتهم من أعيان العرب فكثير، منهم: حاتم الطائي، وكان يكنى أبا سَفَّانة، وكانت بليغة كريمة قدمت مع أسرى طيِّئ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرفته بنفسها، فأطلق الأسرى إكرامًا لها ولأبيها. وخارجة بن حصن الفزاري كان يكنى أبا الرباب. وهانئ بن مسعود الشيباني الذي قاد العرب في يوم ذي قار كان يكنى أبا أمامة. وبسطام بن قيس يكنى أبا الصهباء. وقيس بن مسعود الشيباني، كان يكنى أبا الخنساء. والمهلهل بن ربيعة البكري، الفارس المشهور بالزير سالم، يكنى أبا ليلى. ومثله الفاتك السيد المشهور الحارث بن ظالم المري، يكنى أبا ليلى. والفارس المقدام قطري بن الفجاءة المازني التميمي يكنى في الحرب، أبا نعامة.

نساء ولدن سادة وفرسانًا

ومن المنجبات من نساء العرب الممدَّحات المبجَّلات؛ لأنهن ولدن سادة وفرسانًا يكرمون القبيلة، والوافدين عليها، ويذودون عن حماها: ماوية بنت عبد مناة، وقيل: بنت معاوية التميمية أم لقيط وحاجب وعلقمة بني زرارة. وفاطمة بنت الخرشب الأنمارية، أم الكملة من بني عبس وهم خمسة كان يضرب بهم المثل في الشرف والسيادة والفروسية. وقهطم بنت هاشم بن حرملة المرّية أم منظور بن زبان الفزاري، وزهير بن جذيمة العبسي. وخالدة بنت أرقم ولدت خمسة فرسان أجواد من بني فزارة، كان لهم أبلغ الأثر في منعة بني فزارة. وخبيئة بنت رباح الغنوية، أم الأحوص وخالد ومالك بني جعفر الفرسان السادة في بني عامر. وريطة بنت سعيد السهميّة القرشيّة، أم بني المغيرة المخزوميين السادة النجباء وكانت ممدَّحة.

ومن نساء العرب المنتسبات إلى هذه الأرض أيضًا ممن ساهمن في الحياة الاجتماعية، وكان لهن مكانة مرموقة فيها: نتيلة بنت جناب، من النمر بن قاسط التي قيل: إنها أول أعرابية كست الكعبة بالحرير، وكانت من ذوي رياسة، وهي جاهلية، أنجبت العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم. وليلى بنت الخطيم أول امرأة بايعت الرسول صلى الله عليه وسلم عند قدومه المدينة، وكانت سَرِيّة فاضلة محسنة. وكعيبة بنت سعد الأسلمية كانت تداوي الجرحى في حروب المسلمين، وشهدت خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

نساء كريمات وربات أدب

ومن الكريمات السخيات المشتهرات أمثال: عنبة أو عتبة بنت عفيف بن امرئ القيس أم حاتم الطائي كانت في منتهى السخاء والجود حتى قيل: إنها أسخى نساء العرب. وعوانة بنت زيد الحنفيّة المعروفة بالملافظة لسخائها. وحبيبة بنت عبد العزى الذبيانيّة الكريمة السخيّة الشاعرة، لُقّبت بالعذراء لذلك.

ومنهن ربات الشعر والأدب والبلاغة الشهيرات مثل: رائطة بنت شيظم النمريّة، الشريفة النبيلة، وهي شاعرة اشتهرت بالجمال والحسن، وكانت سيدة من بيت سادة، وأبوها كان فارسًا مشهورًا. والرباب بنت علقمة الطائيّة كانت فصيحة بليغة مشهورة بالحسن والجمال. وسعدى بنت الشمردل الجهنيّة صاحبة المرثيّة الأصمعيّة التي رثت فيها أخاها. والخنساء (تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد) السلميّة السيّدة الشاعرة المشهورة من بيت شرف ورياسة، لقبت بالخنساء لجمال أنفها. والخرنق بنت هفان البكريّة الشاعرة المشهورة، السيدة اللبيبة. وهند بنت أسماء الفزارية اللبيبة الأديبة البليغة الكريمة، وبيتها بيت قيس في الجاهلية والإسلام وكانت عاقلة مشهورة، تزوجها عبيد الله بن زياد بن ظبيان البكري، ثم خلفه عليها بشر بن مروان، ثم خلفه عليها الحجاج بن يوسف الثقفي. وهند بنت المهلب، وكانت مشهورة قال فيها أيوب السختياني: «ما رأيت امرأة أعقل من هند بنت المهلب»، وكانت أديبة بليغة رغب رؤوس العرب في الزواج منها، وخلف عليها أكثر من واحد بينهم



غلاف المجموعة القصصية «أول الغيث امرأة» لناهد باشطح



غلاف كتاب «مأزق في المعادلة» لخيرية السقاف

الحجاج بن يوسف. وليلى الأخيلية الشريفة الشاعرة المشهورة. وفرغانة بنت أوس بن حجر، الشاعر المشهور، كانت من بليغات العصر الأموي وفصيحاته. وجمانة بنت المهاجر بن خالد بن الوليد كانت بليغة متكلمة. وجمانة بنت قيس بن زهير، لها شرف، وكانت بليغة صاحبة رأي. وخرقاء العامريّة، الأديبة، ضرب بجمالها المثل، وبسببه خلدت مجموعة كبيرة من قصائد لشعراء عصرها أمثال ذي الرمة، ومزاحم العقيليّ. وخويلة الرئاميّة، من قضاعة، وقد اشتهرت بالحكمة، وكانت شاعرة سيدة. ورُقيقة بنت نباتة من بليغات الجاهلية المشهورات. وأسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، أخطب نساء العرب في زمانها، اشتهرت بالرأي والعقل، وشهدت اليرموك، فقتلت تسعة من الروم بعمود خيمتها. والعجماء بنت علقمة السعديّة، من ربات الفصاحة والبلاغة مشهورة، ولها أمثال وحكم. ومثلها جمعة بنت الخس الإيادية صاحبة الأمثال والأدب والبلاغة، وأختها هند بنت الخس المعروفة بهند الزرقاء، قال عنها الجاحظ: «إنها من أهل الدهاء والنُّكراء، ومن أهل اللسن واللقن، والجواب العجيب، والكلام الصحيح، والأمثال السائرة والمخارج العجيبة».. ومن كلامها «قيل لها: أيّ الرجال أحب إليك؟ قالت: السهل النجيب، السميع الحسيب، الندب الأريب، السيد المهيب. فقيل لها: فهل بقي أحد من الرجال أفضل من هذا؟ قالت: نعم الأهيف الهفهاف، الأنف العياف، المفيد المتلاف، الذي يخيف ولا يخاف. قيل لها: فأي الرجال أبغض إليك؟ قالت: الأورَة النئوم، الوكل السئوم، الضعيف الحيزوم، اللئم الملوم. قيل لها: فهل بقي أحد شر من هذا؟ قالت: نعم: الأحمق النزاع، الضائع المضاع الذي لا يهاب ولا يطاع، قالوا: فأي النساء أحب إليك؟ قالت: البيضاء العطرة، كأنها ليلة قمرة. قيل: فأي النساء أبغض إليك؟ قالت: العنْفص القصيرة التي إن استنطقتها سكتت، وإن سكتَ عنها نطقت».

وعرفت هذه البلاد في ماضيها المجيد أيضًا نساءً اشتهرن بضروب أخرى من الصيت والمكانة، وكنَّ مضرب المثل في خاصية، كعنز المعروفة بزرقاء اليمامة، وقصتها معروفة بحدة البصر، والجمال الرائع. والسوا بنت الأعيس الهزانية التي كان أمرها إليها لشرفها، وقد تزوجها خالد بن جعفر العامري. وصخرة بنت أسماء النصرية، من هوازن، سبيت في الجاهلية، فقتلت نفسها خوفًا من العار. وسعاد بنت سلمة الأنصارية، قال ابن حبيب: «هي التي سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبايعها على ما في بطنها، وكانت حاملاً. فقال لها صلى الله عليه وسلم: أنت حرة الحرائر».

ربات فروسية ونجدة

ومن ربات الفروسية في العصور الجاهلية وصدر الإسلام هند بنت عاصم، وهي أم السيد المزدلف البكري. كانت فارسة جزلة عاقلة سديدة الرأي. ورقاش الطائية، جاهلية، كانت فارسة سيدة قادت قومها في غزوات كثيرة. وخولة بنت الأزور إحدى شهيرات الإسلام شجاعة وفروسية، وقد شهدت اليرموك.

وأخبار النساء المجيرات المنجدات من سالف هذه البلاد وقاطنيها وافرة وحميدة تدل على مشاركتهن الرجال الرأي، ونزعتهن إلى بذل المعروف، وإغاثة الملهوف، وكذلك منعتهن. فحليمة بنت فضالة بن كلدة الأسدية من بيت جاهلي عنيد، ولكن لشرفه فأنه يرعوي إلى العقل والروية، ولنبلها وسداد رأيها فكَّت قيد أوس بن حجر، وكان أسيرًا في منزل أبيها، فأجاز أبوها فعلتها، فنالت ثناء أوس عليها وعلى أبيها بقصائد جياد باقية. وريطة بنت جذل الطعان الكنانية، السيدة الشريفة، هي التي أطلقت دريد بن الصمة من أسر قومها، وكسته وجهزته فحمد لها ذلك، وكانت زوجًا لفارس كنانة ربيعة بن مُكَدَّم. وضباعة بنت زفر بن الحارث، سيد قيس، وكان القطامي التغلبي أسيرًا عنده بسبب أسره في بعض الحروب بين القبيلتين، فوسط القطامي لديها، فألحت على أبيها أن يطلقه، ففعل، وأكرمه، وجهزه، فراح القطامي يمدحها، ويمدح أباها بقصائد جياد ردًا للمعروف. وفُكَيهة الضبعية هي التي أجارت السليك بن سلكة، ومنعت قومها من قتله حين استجار بها، وللسليك فيها قصائد مدح وشكر. وخُماعة بنت عوف بن محلم الشيباني الذي ضرب به المثل: «لا حر

كثير من ملوك العرب وسادتهم وفرسانهم وأعيانهم ينتسبون إلى أمهاتهم، ولولا جلال مكانتهن وكبير قدرهن لما رضوا بذلك



سبل التعليم مفتوحة أمام الفتاة السعودية

بوادي عوف» وقد كان نصب بيتًا في الجاهلية لا يدخله مظلوم إلا أنصف، ولا جائع إلا شبع، ولا خائف إلا أمن. أما هي فقد أجارت مروان بن زنباع - وكان سيدًا - إذ جنى جناية، فطلبه عمرو بن هند مضرّط الحجارة، فهرب، فدخل على خماعة هذه مستجيرًا، فأجارته، ومنعت الطلب الذي بأثره، فلما علم أبوها ذهب إلى عمرو بن هند، فأعلمه الحال، وأنه استجار بابنته، فعفا عنه تقديرًا لشرفها. وقصة بهيثة بنت أوس الطائي، وإنهائها لحرب داحس والغبراء ليست غائبة ولا مجهولة. أما أخت حرب بن أمية فهي التي أجارت فلول هوازن وعامر، وضمنت لهم العهد من أخيها حينما هزمتهم قريش وكنانة في يوم الفجار، فلما لاحقهم حرب، وكادهم - وكان قائد قريش - أرسلت إليه من يخبره أن جميع المنهزمين في جوارها، فأمضى لها عهدها.

ونشهد مساهمة المرأة كذلك في صنوف العلوم الشرعية خاصة في مراكز الاستيطان والحضر مثل مدينة مكة التي عرفت عددًا من الشيخات المحدثات، فعلى سبيل المثال نجدها في القرن التاسع الهجري وحده تزخر بوجود أمثال: هدية بنت محمد بن محمد بن فهد الهاشمية، المحدثة الفاضلة. ونسيم بنت محمد الطبري، وكانت فاضلة. ومنصورة بنت عبدالرحمن القرشية. وحُسن



تلميذات اليوم عالمات وأديبات الغد

بنت محمد السعدية. وكمالية بنت عبدالرحمن القرشية. وعفيفة بنت محمد بن محمد النوري. وعلماء بنت محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشية، المكية، المحدثة الصالحة.

ما مضى هو إطلالة بسيطة ومقتضبة عن مكانة المرأة في هذه البلاد في عهودها البعيدة، لا تدل إلا على حسن مكانتها بين النفوس. وفدت فاطمة بنت أسامة بن زيد على عمر بن عبدالعزيز، فقام من مجلسه، وأقعدها فيه إكرامًا لها.

وتبقى الأرض هي الأرض

وإذ الأرض هي الأرض والسلالة هي ذاتها، فقد ورثت المرأة السعودية هذا الإرث الأخلاقي والثقافي، والطبع الاجتماعي نفسه الذي خلّفته سالفتها، وسارت فيه محققة الوظيفة ذاتها، تقريبًا، مضيفة إليها، مواكبة العصر بمفاهيمه وإبداعاته، ووظائفه التربوية والأدبية والعلمية جنبًا إلى جنب مشاركة الرجل في وظيفته المماثلة، نائلة الاستحسان والتقدير الذي نالته سابقتها من رجال عصرها حينما يعتز العزيز من الرجال بالمرأة النابهة، ويحترم مكانتها، بل يفخر بانتمائه إليها متشرفًا بنخوتها، وبرأيها السديد. فعلى سبيل المثال: فهؤلاء آل سعود بمكانتهم المعروفة ينتخون بنورة وهي إحدى كرائمهم، وكذلك آل رشيد ينتخون بنورة، وهي إحدى عقائلهم المتقدمات. وهذا الأمير الفارس ذائع الصيت، أخو صلفة: ضاري بن طوالة، وهي أخته، وقد ضُرب بها المثل في المنعة والذكر الحميد، وذاك أخو حسنا الأمير الفارس محسن الفرم. وهذا أخو دليل غضبان ابن رمال، عقيد القوم صاحب الرأي السديد. وتلك قبيلة كاملة تنتخي بعليا، وأعني قبيلة الرولة، وعليا إحدى عقائلهم الفذة يومها. وكذلك الشلقان من شمر يعتزون إلى عليا. وكذا آل هذال ينتخون ببتلا. وقرملة أم بيت مشيخة قحطان عرفوا بها. أما الشيخ الفارس عودة أبو تايه فإنه يعتزي إلى عليا. وكذلك جوزا نخوة الدوشان من مطير. والفارسان المشهوران الشيخان عقاب وحجاب ابنا سعدون العواجي ينتخيان بنمشة وهي أختهما. ومن هذا القبيل كثير في بيوت العرب وعند أعيانها.

ولا شك أن موضي بنت أبي وهطان الكثيري، حرم الأمير محمد بن سعود بن مقرن، أصابت السدة حين ساعدت في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية، وقد وصفت بالفضل والعقل والرأي الراجح.

أما غالية الصبيح البقمية، الأميرة الشريفة النبيلة السخية الشجاعة، وكانت فارسة، فقد ضربت المثل في الإقدام والدفاع عن أرض قومها أمام هجمات القوات المصرية التي غزت بلاد العرب أيام محمد علي. فإنها حين مقتل زوجها الفارس أمير قومه الشجاع في إحدى معاركه ضد المصريين امتطت جواده، فقادت قومها في صولات وجولات ضد الغزاة، واستطاعت هزيمتهم في عدد من الوقائع في (تربة) وما حولها، ولما أنهكها كثرة الغزاة وقوة سلاحهم المتقدم، وسرعة إمداداتهم انسحبت إلى (الدرعية)، فعكفت بها متعبدة حتى وافاها الأجل. وامرأة أخرى، هي الأميرة نورة بنت عبدالرحمن شقيقة الملك عبدالعزيز آل سعود صاحبة الرأي والحكمة. وفاطمة بنت زامل السبهان التي قامت بدور سياسي ومالي في عهد آل رشيد، وفاطمة بنت سرّاي بن زويمل، إحدى عقائل قبيلتها المشهورات فقد عطفت شمر يوم (جراب). وليست أخبار جوزا بنت بندر التمياط بعيدة عن الذهن، وهي صاحبة القالات، وفض النزاعات التي لا يرد لها طلبًا سعت فيه بصلح أو بوجاهة، وكانت متكلمة بليغة برزة من النساء لا ينقصها جمال، وكانت تتلثم وتجالس في مجالس الرجال خارج صفوفهم، تزوجها الأمير سعود بن عبدالعزيز الرشيد وكانت تتوسط لديه في مطالب الناس. وذات يوم غضب على مجموعة من أعيان شمر، فأمر بسجنهم، ونوى معاقبتهم بقسوة، وذلك ما لم تجد فيه شفاعة، فضجرت جوزا من قراره، فلما نام ليلاً قامت، ففجت عباءته، فعلقت النصف العلوي مكانه، وحفظت النصف السفلي من العباءة معها، فلما نهض فجرًا للصلاة، ومنها إلى مقابلة الناس الذين يفدون إلى قهوته - وكانت عادته - أراد لبس العباءة، وحين رأى حالتها التفت إلى جوزا مغضبًا. فقالت له: ما على الأمير لو لبس نصف عباءته وقابل بها ضيوفه؟ فاستغرب منها ردها ثم استطردت: أنا التي فجحت العباءة،

عرفت هذه البلاد في عهود ماضية نساء كريمات سخيات ومجيرات وربات شعر وأدب وعلم وفروسية



تفاعل مع تقنيات العصر

فإذا ترى أن حشمتك لا تكتمل إلا بلبس كامل عباءتك فكيف يكتمل عزمك وجاهك وقوتك بنصف جماعتك، وكبار النصف الآخر تودعهم السجون، وتريد عقابهم مما يغضبهم فتفقدهم؟ إن كمال الحشمة بكمال السند. فأطرق الأمير، ثم عفا عن السجناء. وكانت لجوزا هذه أخوة شمر، وقد حضرت (جراب)، وقد خلف عليها بعد سعود، ابن هذال شيخ عنزة.

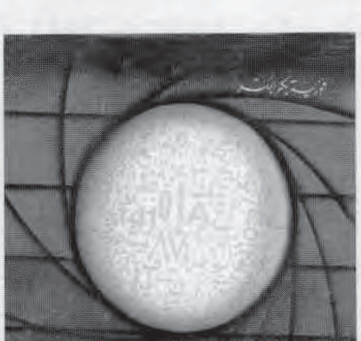
ولم تعدم المرأة العربية السعودية صفة الكرم والسخاء، فهذه خشيتة بنت الطرقي الظلماوي المشهورة بالكرم. وقد تزوجها الشيخ الكاسب بن عبكلي. كذلك فهي لا تعدم صفة النجدة، وإغاثة المستجير. وليس أدل على قصة بنت ابن مهيد، وأم ابن سويط مع ماجد الحثربي العمودي على ذكر هذا الضرب من النجدة؛ إذ اجتمعت جموع ضخمة من قبائل الظفير، وعنزة، وشمر في مرتع رعوي خصب في القرن الثاني عشر الهجري، فضربوا معاهدة ووفاقًا بألا يعتدي أحد من هؤلاء على الآخر، وألاّ يجير أي منهم جانيًا دخل عليه من أي منهم. فوقعت مشاجرة بين ماجد الحثربي ورجل من قومه، فقطع ماجد رجْل الرجل، ودخل على ابن مهيد ليحميه، فرفض ابن مهيد حمايته وفقًا للمعاهدة، فلما رأت بنت ابن مهيد ذلك أسرجت لماجد فرسًا، وقالت له: هذه الفرس انج بها إلى ابن سويط فقد يحميك. فذهب إليه هاربًا، فوجده في خباء أمه، وكانت امرأة منجدة وجيهة، فدخل عليه طالبًا حمايته وجيرته، وبينما هما في الحديث وصل الطلب في أثر ماجد، فقالوا لابن سويط: إن بيننا معاهدة بألا نجير جان، فلابد من تسليم ماجد ليلقى جزاءه، فأراد ابن سويط أن يسلمه لهم، وكانت أمه تسمع ما يدور من حديث، فخرجت بارزة، وقالت لابنها: إنه في خبائي وجيرتك، فلو سلمته لقطعتُ الثدي الذي أرضعتك منه، ثم إن خبائي لم يشهد المعاهدة ـ وكانت حينها في الحج ـ. فتنبه ابن سويط، وأجار ماجد الحثربي حق الضيافة والعرف ثلاثة أيام، وكان بعدها على ماجد أن يدبر نفسه، ويغادر أرض ابن سويط.

فارسات الأدب

والولوج في فنون الشعر في رحاب البلاد السعودية يجد مكانة للمرأة بين فرسانه، بل المتقدمات المحسنات في عصوره ومرور أيامه، ومن الصعوبة المفاضلة، والكم كثير. على أن ذكرهن قد ذاع صيته وخبر متانته، ولا داعي لتكراره. على أن هذا القول كان في جانب الشاعرات العاميات على حساب الفصيحات ـ وهذا حال الوقت ـ وهو قصور ملحوظ ومؤسف أيضًا. وقد كفانا عبدالله بن رداس في كتابه «شاعرات من البادية»، وعبدالكريم الحقيل في إشاراته إلى مشهورات الشاعرات في هذه البلاد في كتابه «من مشاهير الجزيرة العربية» ذكر الشاعرات على أنه لا بأس من الإشارة إلى بعضهن مثل موضي البرازية من مطير التي فاق شعرها العامي الشهرة، وذاع صيته. ومغيضة الشرارية ـ القرن الثالث عشر ـ. وموضي الدهلاوية التي عاصرت الغزو المصري لنجد، فَنَهَّضتْ قومها، واستفزعت الناس بشعرها الحماسي المثير في وقعة الرس وغيرها، إذ دافع الفرسان والمحاربون خير دفاع. وشاعرة الحكمة والجزالة رقية الصالحي (١٢٤٥ - ١٣٥٥) وجوزا الهمزانية الشاعرة المبدعة.

كاتبات وأديبات معاصرات

أما اليوم، وليس هذا من باب المقارنة بما مضى، فلابد للإبداع الأدبي والقصصي، ومعه خليط من الشعر والمقالات النقدية والاجتماعية، من ناهضات يتبارين جنبًا إلى جنب مع مثيلاتهن خارج الحدود، وحيثما يكون الاتجاه فالمغالبة لهن وعليهن والحشو كذلك. وعلى سبيل المثال لا الحصر



غلاف كتاب «المرأة السعودية والتعليم» لفوزية البكر



غلاف كتاب «علاقة سلطنة لحج ببريطانيا» لدلال الحربي

نذكر الكاتبات والأديبات: خيرية السقاف، وهي رائدة في مجال الصحافة والإدارة الأكاديمية، ومن أبرز كتاب القصة القصيرة، وأمل شطا الطبيبة الروائية التي حظيت بإعجاب كثير من النقاد، ورجاء عالم، وجهير المساعد، وسهيلة زين العابدين حماد، والجوهرة العنقري، وإيمان الدباغ، وهدى الدغفق، ووفاء الطيب، وصالحة السروجي، والجوهرة العلي، وهدى الرشيد، وقماشة السيف، ورقية الشبيب، وبهية بوسبيت، ومريم الغامدي، وشعاع الراشد، ولولو بقشان، وهند باغفار، وثريا قابل، وفوزية أبو خالد، وفوزية الجار الله، وناهد باشطح، وسلطانة السديري، وحصة الشبل، وشريفة الشملان، وفاتنة أمين شاكر، وسارة أبو حيمد، وسميرة لاري، وفاطمة حناوي، ولطيفة السالم، وليلى الأحيدب، وفاطمة القرني، وفاطمة العتيبي، وبدرية البشر، وانتصار العقيل، وجيهان الحكيم، وغيرهن كثير. فمهما اختلف حول أدبهن، فإن لهن لمسات ملحوظة على الأدب السعودي مع أن التفاضل بينهن كامن.

ثم تأتي درجة أخرى من اللواتي خلطن بين التمرس التربوي، والنضج البحثي مما ساعد في متانة الكتابة، والانتقاء فيها أمثال: الأميرة موضي بنت منصور بن عبدالعزيز آل سعود، وهتون الفاسي، ودلال الحربي، وسعاد المانع، ونورة الشملان، ومريم بغدادي، وعابدية خياط، وعزيزة المانع، ونورة السعد، وفوزية البكر، ومي العيسى ويمكن إضافة الكاتبة التربوية الإدارية في آن هند الخثيلة إلى هؤلاء لكونها من الرائدات، وإحدى نساء التعليم، ماضيه وحاضره، وفي هذا الحيز الفذ الذي جمع بين الخبرة والجدية، والرسوخ الفكري والتربوي نضع المربية التربوية الفاضلة فاطمة منديلي، فهي حقيقة من نجائب المعلمات والإداريات السعوديات اللائي عملن بصمت حتى خرجت أجيالاً بعد أجيال، ومن الإداريات التربويات البارزات الأميرة الجوهرة بنت فهد، ومنيرة العلولا، وفادية الصالح، ومضاوي الهطلاني.

نبغت المرأة السعودية المعاصرة في مجالات الإبداع الأدبي والعلوم المختلفة وسجلت درجات رفيعة من النباهة والنجابة والسبق

ولا تتوقف المرأة السعودية عند هذا الحد، وتكتفي به عن غيره، بل نجد نساء أخريات يبدعن في علوم تطبيقية كالطب مثلاً؛ إذ تزخر بوجود طبيبات بارعات ونابغات امتهن هذه المهنة المعقدة والخطيرة فبرزن فيها وتقدم بعضهن حتى على أبناء جنسهن في البلاد العريقة المتقدمة به، فأصبحت الإشارة إليهن نافذة في الآفاق، ومختلف الأقطار.

فسلوى بنت عبدالله الهزاع التي تخرجت في جامعة الملك سعود في كلية الطب، وكانت الأولى على دفعتها، أول طبيبة سعودية تتخصص في أمراض الشبكية والوراثة، وأول امرأة عربية تعالج أمراض الشبكية الدقيقة بالليزر، ونالت الزمالات السعودية والبريطانية والأمريكية، وكانت قد ابتعثت من قبل مشفى الملك خالد التخصصي إلى مركز العيون في ولاية (ميرلاند) الأمريكية فتخصصت فيه في علم الوراثة، وأمراض الشبكية. وتقوم الدكتورة سلوى الهزاع بمعالجة الأمراض الشبكية الناتجة من الإصابة بمرض الإيدز بحالاته المستعصية وقدمت عشرات البحوث والدراسات والأوراق المفيدة في مجال تخصصها في مجال البيئة السعودية واحتياجاتها في البحث العلمي في مجال طب العيون. كما حضرت وشاركت في عدد من الندوات والمؤتمرات في كثير من بلدان العالم. ومن ضمن أبحاثها المهمة بحث عن مرض فقر الدم المنجلي الذي نالت عليه جائزة أولى عام ١٩٨٩م، ونشر في مجلة طبية بريطانية مشهورة. وتقوم بإجراء العمليات المعقدة جداً، مثل جراحة نادرة لطفل عمره ١٤عامًا ولد ولديه تشوه خلقي في جزء من الرأس والعين، وتم استئصال العين اليسرى وتركيب عين صناعية له، وكانت هذه العملية من العمليات الخطيرة بسبب ما يخشى من إجرائها من تهديد لسقوط جزء من الدماغ الواقع فوق العين مباشرة. وتعمل حاليًا استشارية ورئيسة قسم أمراض العيون وجراحتها بمشفى الملك فيصل التخصصي ومساعدة رئيس تحرير مجلة العيون بالشرق الأوسط. وكانت أول امرأة سعودية عضو في الهيئة الطبية العليا بالمشفى (بتصرف من مجلة هاجس ١٩٩٦م).

ومثل الدكتورة سلوى الهزاع نبغت نطاسية أخرى هي الدكتورة هويدا بنت عبيد القثامي، المولودة عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م التي تعمل حاليًا استشارية أمراض وجراحة القلب بمركز الأمير سلطان لأمراض وجراحة القلب بالرياض، وهو من أشهر مراكز القلب في العالم. درست هويدا القثامي الإعدادية والثانوية بالطائف، وتخرجت عام ١٩٨٤م في جامعة الملك عبدالعزيز بكالوريوس جراحة، ثم عملت في المشفى العسكري بالرياض، ونالت فيه التدريب والامتياز على يدي الدكتور محمد الفقيه وزملائه، وفي عام ١٩٨٨م نالت الزمالة، من أدنبرة، وفي عام ١٩٩٣م نالت الزمالة التكميلية في جراحة قلب الأطفال من ترنتو بكندا، وكذلك زمالة من فرنسا. واشتركت في مؤتمرات طبية في مجال تخصصها في الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، وفرنسا، وبريطانيا، واليابان، ومصر، وألقت محاضرات في طبيعة العمل مع أنها تركز على الجانب العملي اليومي، وقد أجرت عمليات في فرنسا، وكندا، ومصر (جراح زائر). تجري الدكتورة هويدا القثامي في مركز الأمير سلطان من ثلاث إلى أربع عمليات يوميًا في كثير من الوقت، وأحيانًا حتى أيام العطل، وبينها عمليات معقدة جداً وطويلة، وبعضها يستغرق اثنتين وعشرين ساعة متواصلة مما يستوجب تغيير الطاقم المعاون ثلاث مرات.

تتميز الدكتورة هويدا بأنها المرأة الأولى والوحيدة في العالم العربي في جراحة القلب للأطفال والكبار - مع التركيز على الأطفال - وواحدة بين سبع نسوة في تخصصها في العالم قاطبة أمثال: ليندا (الكندية) جراحة قلب الكبار. وركسان (الأمريكية) جراحة قلب الأطفال. ولوكا (الفرنسية) أطفال. ودكتورة (باكستانية) فات عليها اسمها عند الحديث. كما فات عليها اسم الطبيبتين الأخريين.

إن الدكتورة الهزاع والدكتورة القثامي ثروة وطنية تستحق الإشادة والاعتزاز، ولا يمكن تقديرها بثمن، ومثل حي على التفوق العلمي للفتاة العربية السعودية بين نساء العالم.

هكذا تسجل المرأة السعودية اليوم وقبله بالأمس درجات رفيعة من النباهة والنجابة والسبق حينما تتاح لها الفرصة، وفخرنا - لا شك - ثابت بهذه المرأة المعززة والمعتزة. وهذا جزء مشرق من سجلنا التاريخي والمعاصر، وأما الغد فتأتي معه مفاجآته الطيبة.



الدرعية

عبدالله بن محمد المنيف

الدِّرْعِيَّة ـ بكسر الدال وسكون الراء وكسر العين وتشديد الياء ـ مدينة تقع في إقليم اليمامة في منطقة نجد، شمال غرب مدينة الرياض، تكاد تكون ملاصقة للرياض حاليًا.

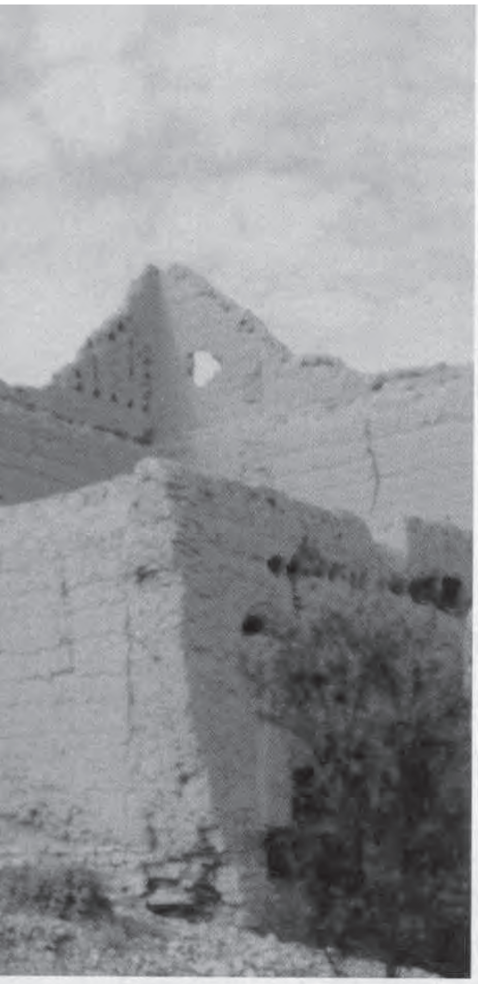
تقع بين دائرتي عرض ٤٤َ و٢٤ْ وخطي طول ٣٣َ و٤٦ْ، يقسمها وادي حنيفة قسمين. والمدينة



منظر عام لأطلال الدرعية القديمة

عبدالله بن محمد المنيف

مدينة الدرعية





جانب من السور وأحد الأبراج المطلة على وادي حنيفة



إحدى الطرق في حي الطريف

من حيث النشأة لم تبرز إلا من خلال تاريخ الفاخري الذي حدَّد بداية نشأتها عند حديثه عن حوادث سنة خمسين وثماني مئة، إذ يقول: «وفيها قدم مانع بن ربيعة المريدي على ابن درع صاحب حَجْر والجزْعة، من بلده القديم وهي الدرعية التي عند القطيف وهو من قبيلته، فأعطاه المليبيد وغصيبة، فنزلها وعمرها، واتسعت العمارة فيها والغرس في نواحيها، وعمرتها ذريته من بعده وجيرانهم».

ثم أخذ المؤرخون النجديون يتناقلون هذا الخبر بأساليب مختلفة من غير أن يشار إلى المصدر الذي أخذ منه أول مرة.

وعن أصل التسمية يشير ابن خميس إلى أنها تفسَّر بأحد أمرين:

إما أنها اسم منسوب إلى الدروع بطن من بني حنيفة، أو أنها نسبة تلاحق هؤلاء الدروع، فحيث حلُّوا سُمِّي محلهم الدرعية نسبة إليهم.

ومن هذا يستدل على أن الدرعية الحالية قد قامت في المكان الذي يتوسط الحيين المليبيد وغصيبة اللذين ما يزالان موجودين حتى الآن، وتقدر المسافة بينهما بـ ٣ كم تقريباً.

وأخذت هذه المدينة في التطور، وكان لمكانها وموقعها ارتباط بنوع النشاط الذي يقوم به سكانها. فقد اقتضى الحال أن أغلب المدن النجدية القديمة كانت تقع على مجاري الأودية



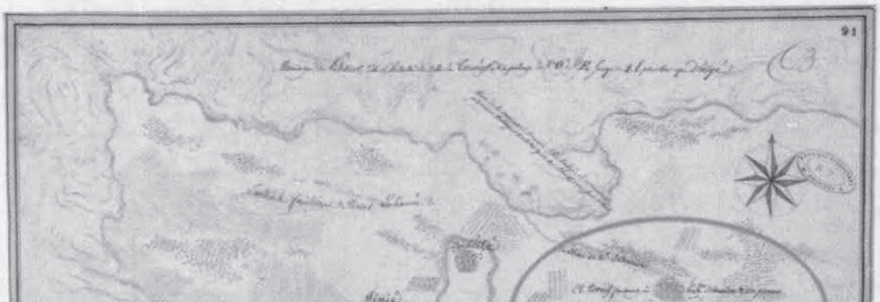
أطلال قصر الإمام عبدالله بن سعود من الجهة الجنوبية

المعروفة بوسط نجد، وكلما كان طول الوادي أكبر كانت مساحة المدينة واستيعابها السكاني كبيراً أيضًا؛ لهذا كانت الأودية هي وحدها التي تملك قوة الاستقطاب والجذب، لقيام المستوطنات البشرية فوق هضبة نجد الجافة والصحراوية.

ولذلك تميز وادي حنيفة بكثرة المدن التي تقوم عليه لغزارته، وشدة تحصينه أيضًا، كما نلاحظ أن مدنه قريبة بعضها من بعض.

والدِّرْعيّة، مثل كثير من المدن النجدية الأخرى، خضعت لسيادة أسرة واحدة هي أسرة مانع بن ربيعة المريدي، وأخذت هذه المدينة زمام المبادرة في إقليم نجد بعد الاتفاق الذي تم بين الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب عام ١١٥٧هـ وقيل ١١٥٨هـ.

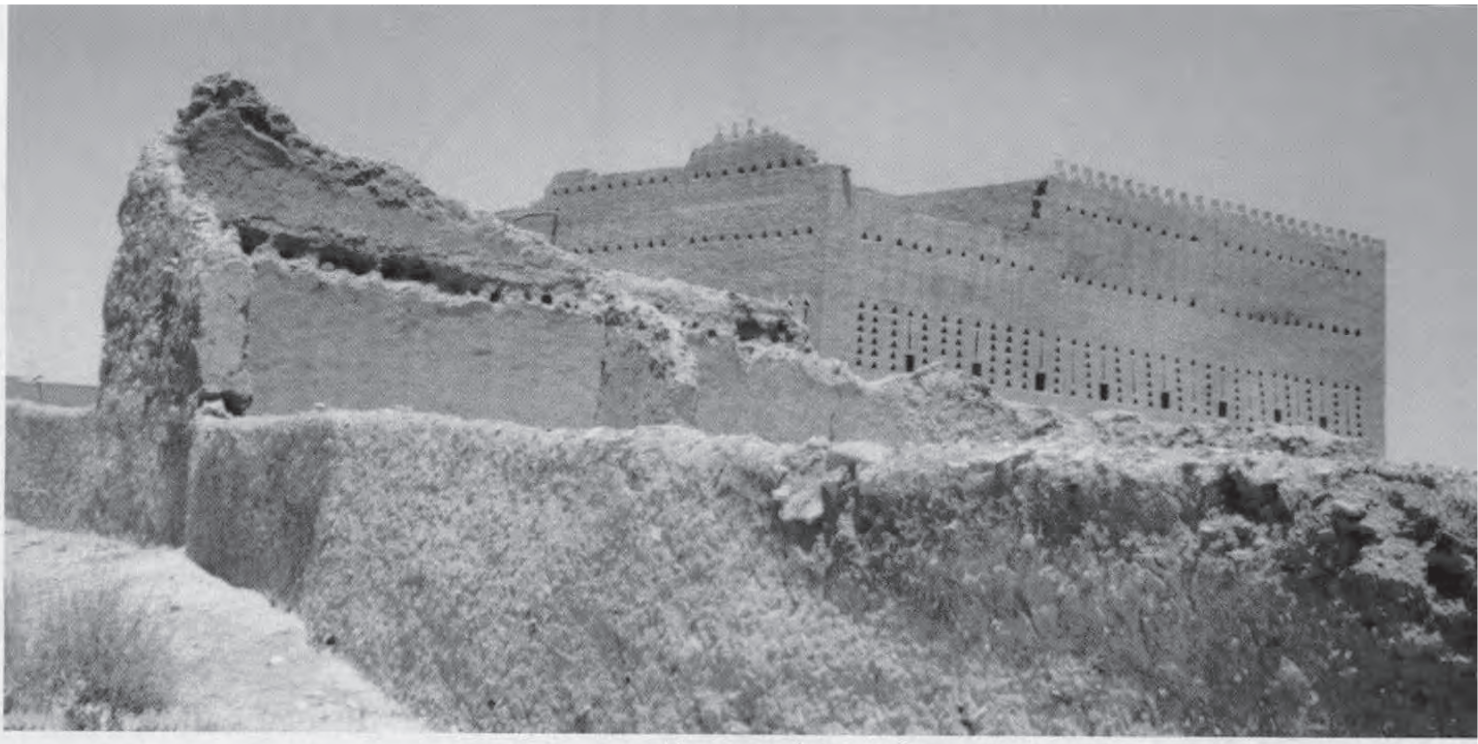
ومنذ هذا التاريخ أخذ اسم الدرعية يطرق الأسماع داخل الجزيرة العربية وخارجها؛ مما أوجد لها أعداء وحاقدين أخذوا يتربصون بها، حسداً من عند أنفسهم؛ لما وجدوه فيها من خاصية المبادرة الدينية والسياسية، مما حدا بالدولة العثمانية أن توعز إلى واليها في مصر بأن يجهز حملة عسكرية تحدّ من طموحهاالذي تجاوز حدود شبه الجزيرة العربية شمالاً، بحيث صارت هذه الدولة الفتية صاحبة اليد الطولى في أرجاء شبه الجزيرة العربية، وأصبحت البعثات السياسية الأوربية في تلك الفترة ترسل



خريطة قديمة يظهر فيها موقع الدرعية مشاراً إليه بدائرة زرقاء

مندوبيها السياسيين أو الذين اتخذوا صفة الرحالة والمستكشفين غطاء لمهماتهم الرسمية إليها، لهذا كثرت الكتابات عن الدرعية العاصمة للدولة الفتية، وأخذ اسمها يقارع اسم الآستانة والقاهرة في تلك الفترة، ولم يكن ذلك في المجال السياسي فقط، بل حتى في المجال العلمي والحضاري والاقتصادي، ولعل هذه الأسباب مجتمعة هي التي دفعت الأعداء إلى نصب الشرك لهذه الدولة الجديدة.

وخير من وصف ذلك التطور الحضاري هو ابن بشر عندما شرع في تاريخه بعد خراب



امتزاج العمارة القديمة مع المتأخرة عنها في أحد قصور حي الطريف

الدرعية عام ١٢٣٣هـ بقوله: «فلما علمت أني لم أذكر كل وقعة على حقيقتها، وخفت فيها من الزيادة والنقصان أعرضت عن ذكر الوقعات إلا يسيراً، وإنما أكثرت من ذكر المحاجي وتسمية أهلها، ومن كان فيها؛ لأن هذه بلدة خربت (يعني الدرعية)، وفني أهلها، وبقيت رسومها، وعلاماتها، فأردت أن الواقف على تلك الرسوم - ولو بعد حين - يعرف أهلها، ويعرف مواضعها وصدقهم في الحروب...».

أما عن الناحية الاقتصادية فيقول ابن بشر: «.. وكان هذا البلد من أقوى البلاد، وقوة أهله وكثرة رجالهم وأموالهم لا يحصيها التعداد، ولو ذهبت أُعَدِّدُ أحوالهم وإقبالهم فيها وإدبارهم في كتائب الخيل والنجائب العمانية، وما يدخل على أهلها من أحمال الأموال في سائر الأجناس.. لم يسعه كتاب ولرأيت العجب العجاب...».

ثم شرع هذا المؤرخ يعدد أنواع التجارة والبيوع مما يدل على القوة الاقتصادية والشرائية في هذه المدينة.

ويُفهَم من كلام ابن بشر تعدد الأسواق في الدرعية وتباينها من جهة ما يعرض فيها، كما يذكر أن هناك أسواقًا خاصة بالرجال وأخرى بالنساء، كما هي عادة كثير من الأسواق النجدية. بالإضافة إلى ما كانت تنعم به الدرعية من سعة الدور بها. ولعل ما بقي منها من دور ومساجد وحمّام يدل على الثراء الجم الذي كانت تنعم به، لأن مثل هذه المرافق والمنشآت لا تجد لها مثيلاً في المدن النجدية، بل نجد مثيلاتها في حواضر الشام والعراق ومصر.

وأثر هذا التطور الاقتصادي في تطور العمارة والعمران وازدياد السكان والمساكن والمساجد وتعدد الأحياء، ومن أهمها حي الطريف الذي به قصر الحكم (قصر سلوى)، وقصور الأمراء من آل سعود، وبيت المال، وحي البجيري، ومسجد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وغيره من البيوت.

أما الناحية العلمية فليس بخاف ما كانت تقوم به من دور حيث تعد الدرعية المركز العلمي الرابع في نجد بعد أشيقر والعيينة والرياض.

وهذه المكانة ما كانت لتحظى بها الدرعية إلا بعد أن استقر بها الشيخ محمد ابن عبدالوهاب، وقيام كثير من طلاب العلم في المدن النجدية بالسفر إلى الدرعية لأخذ العلم من منهله الصافي الزلال من الشيخ محمد الذي جلس للتدريس في آخر أيامه.

كما اشتهرت الدرعية بتوافر الأيدي العاملة بها في الصناعة أو في الزراعة أو في غيرها من الحرف.

وبحلول عام ١٢٣٣هـ أصبحت الدرعية، التي كانت أكبر مركز سياسي



مسجد حي الطريف بعد تجديده



جزء من المباني المطلة على وادي حنيفة من حي الطريف



وديني في وسط شبه الجزيرة العربية، بلدة هامشية مهدمة أفاض بذكرها المؤرخون العرب والأجانب كسادلير وابن بشر وغيرهما.

الآثار الباقية

تعدّ الدرعية القديمة في مجملها مدينة أثرية يجب المحافظة عليها، ومن أبرز المواقع الأثرية في المدينة حي الطريف الأثري الذي يضم أكبر قدر من المباني الأثرية، مثل مسجد الطريف، وبيت المال، ومسجد سبالة وموضي، وقصر فهد بن سعود، وقصر إبراهيم بن سعود، وقصر عبدالله بن سعود، وقصر ثنيان بن سعود، وقصر تركي بن سعود، وقصر مشاري بن سعود، وحمام الطريف، ومبنى الضيافة، وقصر ناصر بن سعود، وقصر سعد بن سعود، وسور حي الطريف، وبرج الدفاع، وبرج فيصل، وقصر فرحان بن سعود، ومسجد سعد، وقصر عمر بن سعود، ومسجد محمد بن عبد الوهاب، ومقابر حي الطريف. ولا يقل الحي المقابل عن هذا الحي أهمية، وهو حي البجيري الذي كان يسكنه الشيخ محمد بن عبدالوهاب وذريته، بالإضافة إلى حي ظهرة سمحان المستقل عن الدرعية والمحاط بسور خاص به دون غيره. وحي غصيبة، وحي السهل وملوي والنقيب والسريحة والطرفية والطوالع، وهي الأحياء التي تقع شمال الدرعية وجنوبها.

كما تتعدّد الأسوار التي تفصل بعض الأحياء عن بعض في الدرعية، وقد يكون بعضها مرتبطًا بالسور الرئيس، وبعضها مستقلاً عنه.

أما أشهر معالمها فهي:

١ـ قصر سلوى:

وهو قصر الإدارة والحكم للدولة السعودية الأولى، ويتميز هذا القصر بتعدد وحداته، وضخامة بنائه. ومن هنا يعدّ هذا القصر علامة من علامات الرخاء المادي الذي نعمت به الدرعية في تلك الفترة. وهذا القصر يقع في محلة سلوى، وينسب إليها، وهو بالجهة الشمالية الشرقية لحي الطريف، ويحدّه شمالاً وادي حنيفة، وجنوبًا قصر الإمام عبدالله بن سعود وإخوانه. أما شرقًا فيحده بيت المال، وغربًا مسجد الإمام محمد بن سعود (مسجد الطريف). أما البئر الذي تمد القصر بالماء فتقع بالجهة الشمالية الغربية. والمساحة التي بني عليها هذا القصر تقدر بعشرة آلاف متر مربع، وهو يتكون من سبع وحدات معمارية، يعتقد أنها بنيت على فترات مختلفة بحيث كلما جاء إمام شرع في إضافة وحدات وملاحق حتى أصبح على هذه الهيئة من الضخامة في البناء.

ـ فالوحدة الأولى تبلغ مساحتها ٦٩٠م٢ تقريبًا، وتقع في الركن الشمالي الشرقي من القصر، مدخلها في الجهة الجنوبية الغربية، وهي تتكون من مبنيين متماثلين متجاورين، كل مبنىً منهما تتوسطه ساحة كبيرة تفضي إلى ثلاث غرف وملحق، بها سلم يصعد إلى الدور العلوي والبرج في الجهة الشرقية.

ـ أما الوحدة الثانية فمساحتها ٧٨٥م٢، وقد أنشئت في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وتتكون هذه الوحدة من طابقين وهي ذات مدخل شمالي وآخر شرقي، فالشمالي يفضي إلى



جانب من قصر سعد بن سعود



حمام الطريف بعد الترميم



قصر عمر بن سعود

قاعة كبيرة تتوسطها أربعة أعمدة. قسمت فيما يبدو بعد فترة، واستخدمت وحدات تخزين صغيرة. أما الشرقي منها فيفضي إلى سقف أو ظلة محمولة على أعمدة، مازالت بعض بقاياها قائمة. وتميزت واجهات هذه الوحدة بزخارف نجدية تمثلت في أشكال هرمية مقلوبة، وخطوط أفقية ورأسية، بالإضافة إلى الشرفات المسننة في أعلى المبنى.

- أما الوحدة الثالثة: فمساحتها ٢٤٥م٢، وتتكون هذه الوحدة من ثلاثة طوابق، وهي ذات مدخل من الجهة الشرقية يفضي إلى ثلاث حجرات أكبرها الوسطى، وهذه الوحدة كسابقتها ذات زخارف نجدية متكررة. وقد حفلت هذه الوحدة بكثير من التعديلات التي أضافها الإمام سعود الكبير بعد أن سكنها عقب والده الإمام عبدالعزيز بن محمد.

- أما الوحدة الرابعة: فمساحتها ٤٤٥م٢، وتتكون هذه الوحدة من ثلاثة طوابق، وهي ذات مدخل من الجهة الشرقية، ويتكون الدور الأول منها من ثلاث حجرات، كما يوجد برج بالركن الشرقي من هذه الوحدة. وجميع واجهات هذه الوحدة مزخرفة.

- أما الوحدة الخامسة: فهي وحدة بنيت في منتصف القرن الرابع عشر الهجري حينما تزايد سكان الدرعية الحديثة، وأخذوا في بناء وحدات حديثة نسبياً، إلا أن هذه المباني كانت - فيما يبدو - قد قامت على أنقاض الوحدة الخامسة التي يتكون منها حي الطريف الأثري الذي سبق أن هُجِر بعد تدمير الدرعية سنة١٢٣٣هـ.





منظر داخلي لقصر مشاري بن سعود

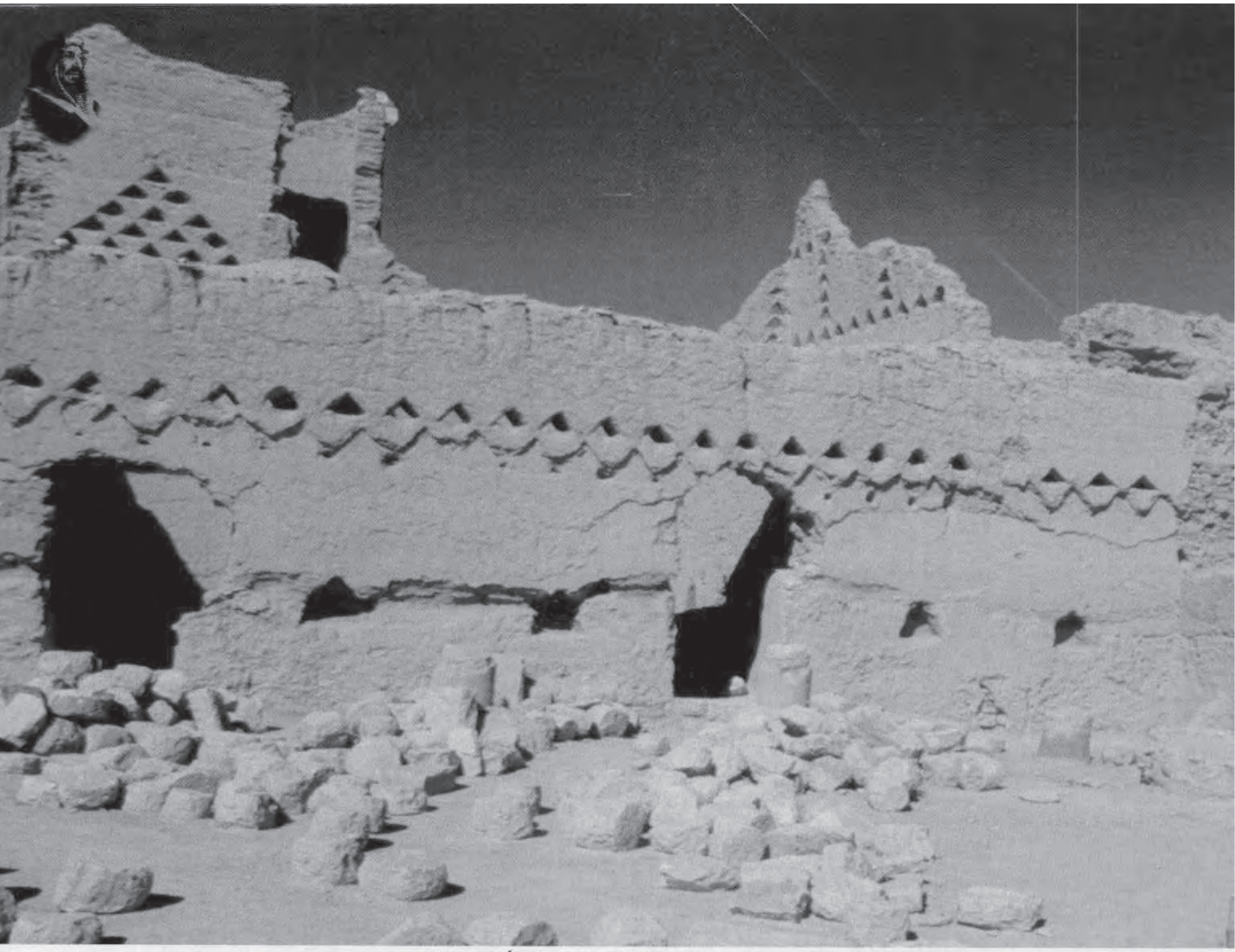


قصر مشاري بن سعود من جهة الغرب

- أما الوحدة السادسة: فهي كسابقتها أعيد استخدامها مع احتفاظ هذه الوحدة ببعض جدرانها القديمة وتبلغ مساحتها ٧٢٠م٢ مقسمة ثلاثة مساكن، لكل واحد منها مدخل خاص به. امتزجت في هذه المساكن الثلاثة فترتين من العمارة، مع تميز الفترة الأولى بنضج معماري ممتاز سواء أكان في المواد أم في التنفيذ مقارنةً بالمباني التي تعود إلى الفترة الأخيرة.

- أما الوحدة السابعة: فتتكون من جزأين قدرت مساحتهما بـ ١٠٠م٢، استخدم الجزء الأول منهما مسكنا حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري، وهذا الجزء جرت فيه إضافات وزيادات مختلفة مما ضيَّع علينا كثيراً من السمات التي كانت في فترة عمارته الأولى.

أما الجزء الثاني فهو أقل مساحة تقريباً من الجزء الأول، وتميز بوضوح السمات المعمارية القديمة فيه، والتي تعود لفترة بنائه الأولى،



الساحة الداخلية لقصر الإمام عبدالله بن سعود وتظهر فيها خرزات الأعمدة متساقطة

وبمقارنة بقايا الزخارف والحليات في هذا المبنى نجد أنها لا ترقى لتلك الموجودات في الوحدات السابقة لهذا القصر؛ مما يرجح لنا أن من قام بهذه الزخارف كان أقل ممن سبق أن عمل تلك الزخارف في الوحدات الأصلية المبكرة لقصر سلوى.

٢ـ قصر الإمام عبدالله بن سعود

يتكون هذا القصر من ثلاث وحدات تقدر مساحتها بأكثر من ألفي متر مربع، وكان هذا القصر ذا وظيفتين: مقراً للسكن وداراً للحكم في فترة الإمام عبدالله بن سعود الذي كان حاكماً للدرعية والدولة السعودية الأولى عندما غزتها جحافل قوات محمد علي باشا، لهذا نجد أن هذه الوحدات وما تبقى منها أكثر المباني تعرضاً للهدم والتخريب من غيرها من الوحدات في حي الطريف.

الوحدة الأولى: وتعد هذه الوحدة أكبر المباني مساحة إذ تقدر بحوالي ١٥٠٠م٢، ما تزال بقايا أساساتها قائمة حتى الآن بعد رفع الأنقاض والأتربة، إلا أنه يبدو أن هذه الوحدة قد أضيفت إليها بعض الإضافات المعمارية فيما بعد، إذ يظهر التمايز بين بناء الفترتين بشكل واضح.

وهذه الإضافة تمثلت في سد بعض الأبواب، وتدعيم أساسات الجدران الخارجية للزيادة في المتانة والتحصين.

أما الوحدة الثانية: فتقدر مساحتها بـ ١٠٠م٢ وهي مكونة من طابقين: الطابق الأول مقسم جزأين: شمالي وجنوبي، الشمالي منه ذو ثلاث حجرات، يعتقد أنها غرف تخزين، أما الجنوبي فهو حجرة واحدة كبيرة ذات مدخل منكسر، وحجرتان صغيرتان تفضيان إلى مجموعة من السلالم (الأدراج) تربط بين الدورين الأرضي والأول، وبهذه الوحدة برج يقع في الجهة الشرقية يمكن الدخول إليه عن طريق فتحة بالدور الأول.

أما الدور الأول فيتكون من غرف متعددة استخدمت فيما يبدو للسكنى.

أما الوحدة الثالثة فالذي يبدو من أسلوب عمارتها أنها لا ترجع في بنائها إلى فترة بناء القصر الفعلية، وبعد رفع الأنقاض من بعض الغرف وجدت بعض العناصر المعمارية الأصيلة، وتتمثل في بقايا أحد الأبراج بالجهة الجنوبية، وأكتاف بعض الأبواب وعتباتها، بالإضافة إلى أحد أبواب القصر الرئيسة الأولى.

٣ـ حمام الطريف:

يدل وجود مثل هذا الحمام في الدرعية العاصمة الأولى للدولة السعودية على المكانة التي كانت تحظى بها كغيرها من حواضر الأقطار الإسلامية المختلفة في الشام أو العراق أو مصر، وأنه دلالة على زخم معماري، وكثافة سكانية كبيرة، وتطور حضاري ملموس. وبالنظر إلى تخطيط حمام الطريف بالدرعية نجد أنه متأثر بحمامات الشام المعروفة في تلك الفترة، مع أن وجود الحمامات في شبه الجزيرة العربية ليس بغريب، إذ إننا نجد أن الحجاز حفل بكثير من الحمامات المتطورة، ومنطقة الأحساء في شرق الجزيرة كان



ملحقات حمام الطريف بعد الترميم

بها حمامات أيضًا. ومنه يستدل على أن وجود الحمامات الضخمة ينم على وجود ثراء سياسي واجتماعي ظاهر.

ويقع هذا الحمام إلى الجنوب من حي الطريف بالقرب من مصدر المياه المتمثل في بئر كانت تمد هذا الحمام بما يحتاج إليه من الماء، وللاستفادة من التكوينات الطبيعية لخدمة هذا الحمام؛ كان اختيار موقعه بالقرب من الشعاب التي تصب في وادي حنيفة بغرض الاستفادة من الانحدار الطبيعي لتصريف مياه الحمام المستخدمة بشكل سلس ومأمون. وهذا الحمام يتكون من وحدات معمارية أولها المدخل الذي بدوره يفضي إلى الحمام، وإلى المباني الملحقة به.

وبعد هذا المدخل هناك غرفة الاستقبال التي تعرف بالغرفة الباردة، وهي الغرفة الوحيدة التي يوجد بها المشرف على الحمام، ويتم التعرف فيها على المستفيد من الحمام وأخذ الرسوم لاستخدامه ـ إن كان هناك رسوم مالية ـ وتفضي هذه الغرفة إلى الغرفة الدافئة، وهي التي تخلع فيها الملابس، ويستبدل بها ما هو مخصص للحمام من مناشف وغيرها، ثم إلى الغرفة الساخنة التي تعد أهم أجزاء الحمام؛ لأنها هي التي يوجد بها الاستحمام والبخار وغيره، ويبدو من أسلوب بناء جدران هذه الغرفة أنها تحمل قبة كغيرها من الحمامات المماثلة، ولكننا فقدنا هذه القبة. وتلي الغرفة الساخنة المواقد المبنية من الطوب المحروق، وأرضيتها تنخفض عن الأرضية السابقة بـ ٢٠ر١م، وسقف هذا الموقد قبة من الآجر، ويلي ذلك مغطس الماء الساخن الذي يستخدم للاستحمام، كما يوجد مستودع حفظ الأخشاب التي تستخدم وقودًا للنار، وفي آخر الحمام وبعده المنحدر الهابط الذي من خلاله يمكن أن نصل إلى البئر التي تغذي الحمام في أسفل الشعيب الذي يقع عليه الحمام.

كما يلحق بهذا الحمام مبانٍ كثيرة متعددة الأغراض.

الدرعية في الوقت الحاضر

ومن منطلق أهمية الدرعية فقد صنفت مؤخرًا ضمن المحافظات ذات التقسيم (أ)، ولها محافظ مستقل، ونائب له، وهي تابعة لمنطقة الرياض بموجب المرسوم الملكي رقم ٩٢/١ الصادر في ٢٨ شعبان ١٤١٢هـ. ووفاءً لهذه المدينة فقد شكل لها لجنة تطويرية من عدة جهات رسمية تزامنًا مع الذكرى المئوية لتأسيس المملكة العربية السعودية، ترمي هذه اللجنة في عملها إلى إعادة الدرعية مدينةً تاريخية لها مكانتها بما يناسب كونها أول عاصمة للدولة السعودية في دورها الأول. ولعل ما تضمه بين جنباتها من تراث عمراني فريد ومميز ما يشجع على ذلك، لكي يتمكن المواطن السعودي وغيره من الزائرين من الوقوف على ما كانت تعيشه هذه الدولة من رخاء، ونماء حضاري وعمراني يدل عليه ما هو موجود من آثار خالدة إلى وقتنا الحاضر.

وتتميز الدرعية الحالية بمقومات فريدة قل أن توجد في مدينة معاصرة لها في المنطقة مثل:

- احتضانها المنطقة الأثرية في حي الطريف الذي يضم قصر الحكم، ومؤسسات الدولة السعودية الأولى.
- انطلاق الدعوة الإصلاحية منها إلى بقية أرجاء شبه الجزيرة العربية.
- قربها من الرياض العاصمة الحديثة للدولة.
- احتواؤها على مقومات البنية الأساسية كالمزارع والمياه والتربة الخصبة.

وقد أدت الطفرة الاقتصادية التي مرت بها المملكة إلى انتقال السكان من المدينة القديمة التي تعد النواة والمركز الأساسي للدرعية، واختاروا مكانًا آخر قريبًا من الموقع السابق، حيث أقاموا منطقة حديثة مزودة بأحدث متطلبات الحياة العصرية.

ولأهمية الدرعية، فإن هذا المشروع الحضاري التنموي يرمي، وبشكل أساسي، إلى تطوير المدينة والارتقاء بها، لتتبوأ المكانة التي تليق بها، من خلال إعادة الاعتبار إلى مناطقها التاريخية، بتأهيلها وترميمها، وإعادة استخدامها واستثمارها كمثال يحتذى به في تطوير المناطق التاريخية والأثرية. ولهذه الأهمية فقد أُخضعت جميع المشاريع، والخطط التطويرية فيها تحت إشراف مباشر للهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، وعلى رأسها صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض، وسمو نائبه صاحب السمو الملكي الأمير سطام بن عبدالعزيز.

ويتبع الدرعية الآن ستة مراكز هي: الجبيلة والعيينة، وسدوس، وحزوى، والعمارية، وسلطانة، والهجرة.



مسجد الإمام محمد بن سعود (حالياً)



الرحلات الملكية

مجموعة كتّاب مراجعة: **قسم التحرير**

هذا الكتاب أصدرته دارة الملك عبدالعزيز للوثائق والمخطوطات والبحوث والدراسات، وطبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود أمير منطقة الرياض، وهو يلقي الضوء على الرحلات التي قام بها جلالة الملك عبدالعزيز إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، وقد اهتم بمتابعتها عدد من الكتّاب، ورجال الملك عبدالعزيز، ودوّنوها في جريدة «أم القرى» في وقتها، وهي تلقي الضوء على جوانب من شخصيته - يرحمه الله - واهتمامه بالعلم والعلماء، وما كان يجده من ترحاب الناس وتأييدهم له في مختلف المناطق في الجزيرة العربية.

وكانت وزارة المعارف قد طبعت في عام ١٣٨٩هـ وقائع الرحلة الملكية التي كتبها يوسف ياسين في عام ١٣٤٣هـ، وقدم لتلك الطبعة معالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ وزير المعارف آنذاك، وأشرف على طبعها، وعلق على بعض أحداثها الشيخ عبدالرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ثم قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بإعادة طباعة الرحلة الملكية نفسها في عام ١٤٠٤هـ، وأضافت إليها في عام ١٤٠٦هـ ثلاث رحلات أخرى سبق نشرها في جريدة أم القرى، وذلك بتصدير كريم من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - يحفظه الله - أكد فيه أهمية بذل الجهد في التعريف بشخصية الملك عبدالعزيز وإنجازاته، يرحمه الله.

وتشير الدارة في مقدمة الكتاب إلى أنها ترغب من هذا الكتاب «إتاحة هذا المصدر التاريخي المهم لجميع طلاب المعرفة، خصوصًا بعد أن نفدت طباعته السابقة».

وتعقب المقدمة «رحلة جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود من الرياض إلى مكة المكرمة من ١٢ من شهر ربيع الآخر إلى ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣هـ»، وهي بقلم يوسف ياسين، ونشرت في جريدة أم القرى من ١٥ جمادى الأولى إلى ٢ رمضان عام ١٣٤٣هـ.

وكانت الرحلة الأولى تلك التي قام بها - يرحمه الله - إلى مكة المكرمة بعد أن أكد في اجتماع ضم علماء الرياض وأعيانها: «إني مسافر إلى مكة لا للتسلط عليها، بل لرفع المظالم والمغارم



الرحلات الملكية

رحلات جلالة الملك عبد العزيز إلى مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة والرياض المنشورة في جريدة أم القرى (١٣٤٣ - ١٣٤٦هـ)

الرياض: إصدارات دارة الملك عبد العزيز للوثائق والمخطوطات والبحوث والدراسات، مطابع الناشر العربي، ١٣٣ص.

التي أرهقت كاهل عباد الله. إني مسافر إلى مهبط الوحي لنبسط أحكام الشريعة، ونؤيد أحكامها. فبعد الآن لا يكون سلطان في مكة إلا للشرع، وجميع الرؤوس يجب أن تطأطئ للشرع».

وقدم يوسف ياسين وصفًا لما لقيه جلالته من استقبال حافل في مكة المكرمة التي وصل إليها في الثامن من شهر جمادى الأولى عام ١٣٤٣هـ، ثم فصَّل ما قام به الإخوان من استعراض الخيل، وما كانت عليه مشاعرهم، وهم يستقبلونه بالبشر، ودموع الفرحة، ثم يعرج إلى ما كان بينه وبين الأهلين من حديث مفتوح، يتقدمهم الشيخ عبدالقادر الشيبي أمين مفتاح بيت الله الذي طلب عقد اجتماع موسع بين جلالة الملك وعلماء البلد الحرام، فتحدد أن يكون في اليوم التالي؛ ثم يذكر من كان مع الملك عبدالعزيز من الأمراء من آل بيته وذوي قرابته، والعلماء، ومن رافقوه من آل رشيد وآل سبهان، ثم الألوية التي لحقت بجلالته.

ويتناول يوسف ياسين بعد ذلك ترتيبات الرحلة، واهتمام الملك عبدالعزيز بمتابعتها بنفسه، ثم تبدأ الرحلة، وليصل الركب إلى الدرعية، التي قدم وصفًا لها، بأن فيها قصورًا خربة، مع أنها في واد كثير المياه والعشب وشجر النخيل، ويبدأ بعد ذلك في الحديث عن الأماكن التي مروا بها.

ويختم ذلك بقوله: «ولو أردنا أن نأتي على وصف مفصل للأماكن التي مررنا بها، والتي أنخنا فيها، لضاق بنا نطاق مثل هذه الصحيفة الأسبوعية [أم



الجانب الشمالي الشرقي من سور الرياض ويظهر المصمك ومساكن حي الظهيرة

القرى]، وعسانا نوفق لذلك في كتابة كتاب خاص بهذه الرحلة التاريخية».

ومع ذلك، قدم وصفًا موجزًا لما شاهده في تلك الرحلة، مستعينًا بما ورد في كتاب «معجم البلدان» لياقوت الحموي، وغيره من كتب التاريخ والسير والشعر، وذاكرًا ما لاقوه في الرحلة من صعوبات، مع وصف مظاهر الطبيعة، وأشكال الحفاوة التي استقبلت بها القافلة في الأماكن التي مروا بها، وأعقب ذلك إيراد تقويم بأسماء مواقع المياه التي مرّوا بها، والمسافات بينها.

وبعد الحديث عن الطريق ومشاهداته، يبدأ يوسف ياسين في وصف ما كان في الرحلة من الترتيب والنظام، فيذكر أن «أهم ما يمتاز به الركب، ويستحق الذكر ما كان سائدًا من النظام والترتيب في الحل والترحال، فجميع موظفي الديوان السلطاني، ومن يتبعهم من الخدم، كل واحد منهم يعرف العمل الذي عليه، فتراه يعدّه في حينه، وقلما ترى الواحد منهم يتداخل في عمل الآخر».

ثم يصف كيف يبدأ الركب في المسير؟ ويبين أن الذين يكونون مع السلطان جنبًا إلى جنب ساعة المسير يختلفون باختلاف الساعات، ففي وقت قراءة القرآن والحديث أو شيء من التاريخ يكون من حوله العلماء وطلاب العلم، وفي ساعة البحث في مواضيع سياسية، يكون من حوله أرباب الاختصاص فيها، أما إذا كان الموضوع موضوع بحث في الطريق ومواقعه، يتحلق حوله الأدلاء، وكل واحد في حاشيته يعرف العمل المكلف به، وبعد ذلك وصف النظام الذي يمضي به اليوم في الرحلة بما فيه من ذكر وصلاة وأحاديث



جلالة الملك سعود بن عبد العزيز

أهم ما كان يتصف به ركب الملك عبدالعزيز النظام والترتيب في الحل والترحال، فكل واحد فيه يعرف عمله الذي قلما يتداخل مع عمل الآخر




الأمير عبدالله بن عبد الرحمن


الأمير سعد بن عبد الرحمن


الأمير منصور بن عبد العزيز

مختلفة، وأكل وشراب وتداول لأمور الحياة.

أما إبراهيم بن معمر النجدي فقد تناول رحلة جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود من جدة إلى المدينة المنورة، وكانت في الفترة من ٢١ إلى ٢٧ من شهر ربيع الآخر عام ١٣٤٥هـ، وقد نشرت في جريدة أم القرى في الأعداد (١٠٧، ١٠٨، ١١٠).

وإبراهيم بن معمر من كبار موظفي الديوان الملكي، وديوان ولي العهد، ووزارة الخارجية في عهد الملك عبدالعزيز، يرحمه الله، وتولى منصب وزير مفوض في بغداد، وقائم مقام جدة.

وقد وصف الرحلة منذ أن سارت من جدة، مرورًا بالقضيمة، ورابغ التي قضى فيها الركب ثلاثة أيام، ثم إلى أبيار بني حصاني، ثم إلى المدينة، حيث تشرف كبار القوم في المدينة بالسلام على جلالة الملك، ثم سار الجميع حتى أقبلوا على المسجد النبوي الشريف للصلاة والسلام على خير الرسل، وبعد ذلك توافد أهل المدينة للسلام على جلالة الملك.

وفي اليوم الثالث أقام الأهلون وليمة في محطة السكة الحديدية احتفاء بهذه المناسبة.

وقدم الدكتور مدحت شيخ الأرض وصفًا لرحلة جلالة الملك عبدالعزيز من المدينة المنورة إلى الرياض في الفترة من ٤ إلى ١٠رجب ١٣٤٥هـ، وقد نشرتها جريدة أم القرى في أعدادها: ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨.

والدكتور مدحت شيخ الأرض كان طبيبًا خاصًا لجلالة الملك عبدالعزيز، يرحمه الله، وسفيرًا سابقًا للمملكة العربية السعودية في إسبانيا وسويسرا وفرنسا.

ويبدأ بذكر من كان في معيته - يرحمه الله - من أصحاب السمو الأمراء وهم: الأمير عبدالله بن عبدالرحمن أخو جلالته، والأمراء محمد وخالد وسعد ومنصور أنجال جلالته، والأمير فيصل، والأمير فهد أنجال الأمير سعد بن عبدالرحمن أخي صاحب الجلالة.

ومما ذكره، وهو يصف الأماكن التي مر بها الموكب الملكي:

«ففي المكان الذي كان بالأمس لا تجسر قبيلة مؤلفة من الألوف من الرجال أن تقطن فيه خوفًا من شن الغارات عليها من طرف القبائل المجاورة، قد أصبح اليوم يسير فيه رجل واحد أو رجلان أو أكثر مع عائلتهم ومواشيهم آمنين على أرواحهم وأعراضهم وأرزاقهم. ولم نصادف في هذه الرحلة جماعة من البدو مخيمة في مسكنها أكثر من ثلاثة بيوت من الشعر. وهذا أعظم إثبات على الأمن المخيم في جزيرة العرب».

أما رحلة الملك عبدالعزيز من مكة المكرمة إلى الرياض في الفترة من ٢٤ - إلى ٢٩ من شهر ربيع الآخر عام ١٣٤١هـ، فقد نشر عنها في عددي جريدة أم القرى (١٥٣ - ١٥٤)، ولم تشر الجريدة إلى كاتب الرحلة.

وجاء في مقدمة الحديث عن الرحلة اعتذار من الكاتب بأن سرعة سير البريد من الرياض لم تمكنه من كتابة أكثر من سرد أماكن الطريق التي مروا بها والمسافات بينها، ومع ذلك يقول: «ولكنا - ونحن في الرياض - نجتهد في كتابة شيء يفيد الباحثين عن جزيرة العرب، ويفيد الذين يتتبعون تاريخ الأدب العربي أيام امرئ القيس والأعشى وأهل المعلقات، كما يفيد

الباحثين عن العرب في العصر الحاضر، ونحن اليوم نجمع المعلومات من المؤرخين والعلماء حتى نروي للناس رواية يكون لهم فيها لذة وفائدة، فننشر في أم القرى ما تتسع لنشره، ونستبقي الباقي لكتاب نكتبه بصدد هذا إن شاء الله تعالى».

وبعد ذلك يبدأ الحديث بشيء عن السيارات، ورجال الركب، ونظام السير، ثم مشاهدات الطريق، ثم يذكر المسافات بين الأماكن التي مروا بها وأنحاء القرى، وما استقبل به الملك عبدالعزيز من حفاوة وترحاب في الأماكن التي حلوا بها.

وفي ختام الرحلة كان استقبال جلالته في الرياض، ثم تأدبه - يرحمه الله - في الدخول على والده إذ انتظر خارج المجلس حتى يؤذن له، وقد أخذ «يصلح من عقاله ويرتب من ثوبه، فدخل بكل أدب وخشوع حتى وصل والده فقبله بين عينيه، وجلس بين يديه بكل احترام وإجلال».

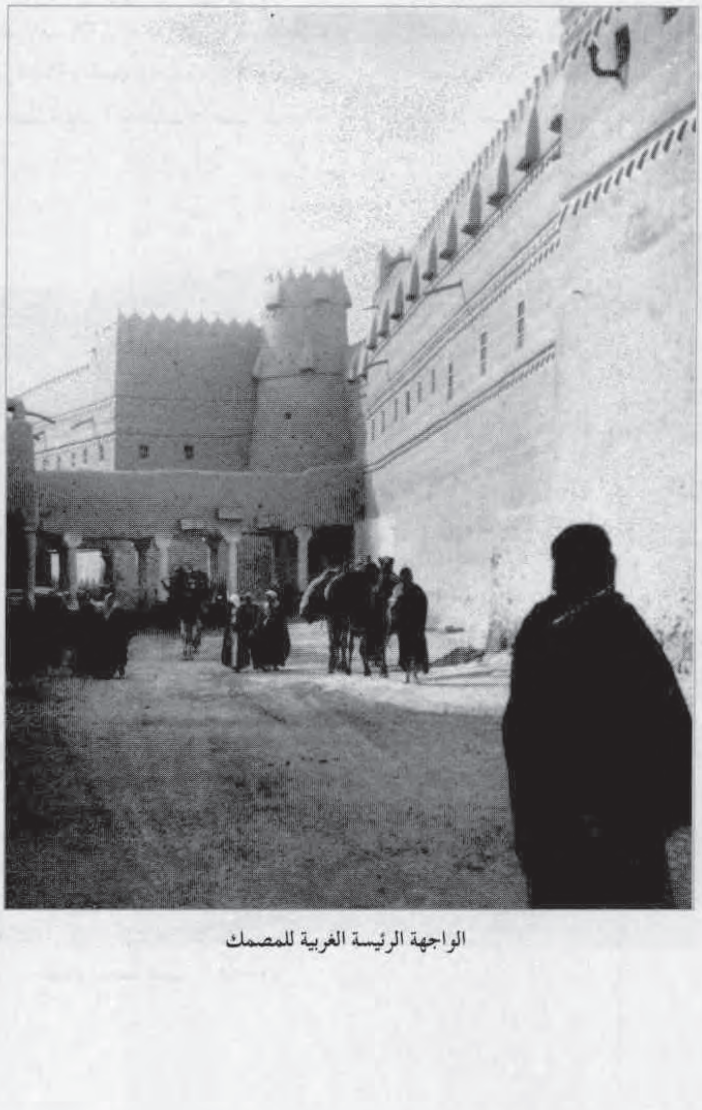
وبعد أن اطمأن على والده، يرحمهما الله، زار قريباته من كبريات النساء، وقد كان للملك عبدالعزيز - يرحمه الله - «أوقات معينة من النهار يزور فيها والده، ولابد له أيضًا في كل يوم من ساعة معينة من النهار يزور فيها عماته، وبعض شقيقاته، والقرابة القريبة منه».

وكان ختام وصف هذه الرحلة ببيت من الشعر عن صلة الرحم:

دعني أصل رحمي إن كنت قاطعها
لابد للرحم في الدنيا من الصلةِ

كان الملك عبدالعزيز شديد التأدب مع والده، حريصًا على صلة الرحم

المكان الذي لم تكن تجسر قبيلة مؤلفة من الألوف من الرجال أن تقطن فيه أصبح يسير فيه رجل أو رجلان أو أكثر مع عائلتهم ومواشيهم في أمن وأمان



الواجهة الرئيسة الغربية للمصمك

المملكة العربية السعودية:
صور من الماضي

بدر الحاج   مراجعة: حسين حسن حسين

في مقدمة الطبعة الثانية من هذا الكتاب يذكر معدّه بدر الحاج أنه أعاد النظر في الطبعة الأولى التي صدرت في لندن عام ١٩٨٩م، فأضاف بعض الصور في الطبعة الثانية لم تكن في الطبعة الأولى. وتاريخ الصور المتضمنة في الكتاب يعود إلى الفترة الممتدة من مطلع الستينيات من القرن الماضي إلى أواخر الثلاثينيات من القرن الحالي.

ويذكر معدّ الكتاب أن الرحّالة الذين زاروا الجزيرة العربية - من أمثال الإسباني دومنغو باديا ليبلتش (علي بيه العباسي) والسويسري جون لويس بوكهارت وغيرهما - قبل اكتشاف التصوير الشمسي في فرنسا في أغسطس/آب ١٨٣٩م قد نشروا مخططات محفورة لمكة والمدينة وجدة وينبع، وكانت تسبق عملية نشر اللوحات الأصلية للرحّالة مرحلة يقوم فيها رسامون محترفون بوضع اللمسات الفنية التي يرونها مناسبة على هذه المخططات، وكان تخطيط اللوحة على المعدن، والمعدن يجعل اللوحات المطبوعة تختلف في



المعلاة (محمد صادق ١٨٨١م)

بعض الأحيان عن الرسم الأصلي الذي أخذت عنه، أما الصور الشمسية فإنها سجل بصري دقيق لما رآه الرحالة. وبدأ اهتمام بدر الحاج بالصور الفوتوغرافية عن المنطقة بعد الاطلاع على مجموعة فؤاد دباس، ثم اطلاعه بعد ذلك، على محفوظات في جامعات بريطانيا، إضافة إلى مجموعة مصورة خاصة، وكتب عربية نشرت في أواخر القرن الماضي.

وهذا ما دفعه إلى البحث مركزًا على مجموعات مصورة يحتفظ بها مركز الشرق الأوسط في معهد سانت أنطوني في أكسفورد، ثم قاده البحث إلى محفوظات المتحف الحربي البريطاني، والجمعية الجغرافية الملكية البريطانية. ومجموعة جير ترود بيل التي تحتفظ بها جامعة نيوكاسل آبن تاين، ومجموعة خاصة بالميجر جيرالد دو غوراي، ومجموعة صور نادرة للواء محمد صادق يحتفظ بها الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني (قطر)، ومجموعة صور عن المنطقة الغربية التقطها القسم السينمائي والفوتوغرافي التابع للقوات الفرنسية عام ١٩١٨م، يحتفظ بها عادل بن عبدالمحسن المنديل.

ويقول المؤلف: إنه بدأ البحث برحلة الحج الأولى التي قام بها المصور اللواء محمد صادق إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة عام ١٨٦١م، مع أن هناك صورًا لمدينة (جدة) لمصور محترف مجهول يبدو أنها ترجع إلى عام ١٨٥٥م، وهي موجودة ضمن محفوظات مركز الدراسات الإنسانية في مدينة أوستن التابع لجامعة تكساس الأمريكية، كما أن هناك صورًا مختلفة التقطها أوربيون في الخمسينيات من القرن الماضي، إضافة إلى صور التقطها مصورون محترفون لمدينة جدة من أمثال المصور فيوريللو الذي نشط في التقاط صور في مصر وسورية في أواخر القرن الماضي.

أما الصعوبة التي وجدها في الكتاب - كما يقول - فهي وفرة الصور، وتركيزها على المدن الرئيسة.

ويأتي الفصل الأول بعنوان «العرب وتطور التصوير الفوتوغرافي»، ويبدأ فيه بتوضيح أن تاريخ التصوير الشمسي يرتبط بالعرب، وأن العالم العربي الحسن بن الهيثم الذي عاش في القرن العاشر الميلادي وصف



المملكة العربية السعودية
صور من الماضي
١٨٦١ - ١٩٣٩م
بدر الحاج
لندن: فوليو المحدودة، ط٢، ١٩٩٧م، ١٤٥ص.



منظر عام لمدينة مكة (هروخرونيه ١٨٨٥م)

استعمال الخدع التصويرية لتوليد خيالات «الكاميرا المظلمة» في مخطوطة كتاب «الضوء» الموجود في مكتبة الهند -INDIA OF-FICE LIBRARAY في لندن. وكانت الكاميرا المظلمة CAMERA OBSCURA المقدمة الأولى للعدسة التصويرية.

وبحلول القرن الخامس عشر الميلادي أصبحت الكاميرا المظلمة معروفة على نطاق واسع، وشرح جيوفاني غاتيستا ديلابورتا في عام ١٥٥٨م بتفصيل كيف يمكن استعمالها للمساعدة في الرسم؟ ثم أصبحت متداولة في مطلع القرن التاسع عشر.

وكان فرانسو أراغو قد كشف في أغسطس/آب ١٨٣٩م أمام الأكاديمية الفرنسية أن جاك ماند داغير نجح في تثبيت ظل الكاميرا المظلمة على لوح نحاسي مغطى بالفضة، ثم انتشر اكتشاف داغير في أوربا، وكانت أول صورة فوتوغرافية في العالم العربي تلك التي التقطها المصور الفرنسي فريدريك غوبيل فيسكه في الإسكندرية في نوفمبر/تشرين الثاني ١٨٣٩م.

ومن سلبيات أسلوب داغير التكلفة الباهظة، وعدم إمكان تظهير أكثر من صورة واحدة.

وسجل الفنان الإنجليزي فوكس تالبوت في عام ١٨٤١م براءة اختراع طريقة كالو تايب CALOTYPE، ومكنت هذه الطريقة من طبع عدد غير محدود من الصور، ومع نهايات الأربعينيات من القرن الماضي حلت طريقة كالوتايب محل طريقة داغيروتايب.

وخلال العقد ١٨٥٠ - ١٨٦٠م التقط عدد من المصورين الأوربيين صوراً في مصر والأراضي المقدسة.

وأدى ازدياد مطالب السوق السياحية من اللقطات التذكارية للمعالم المحلية إلى وجود بعض المصورين المقيمين في المنطقة العربية، وذاع صيت عدد منهم، أمثال أرنو، والإخوة ليكيجيان، وسباح، وزنكاكي في مصر، وبونفيس، ودوماس، وصابونجي في بيروت.

وحظي بعض المصورين برعاية الحكام، فعمل الأشقاء الأرمن الثلاثة هوفسب، وفكين، وكيفورك تحت اسم «عبدالله إخوان» لدى السلطان عبدالعزيز، ثم السلطان عبدالحميد الثاني الذي أرسلهم لتصوير أنحاء الإمبراطورية العثمانية بهدف تسجيل إنجازاته.

وكان استخدام «ألواح الجيلاتين الجافة» مرحلة جديدة من مراحل تطور التصوير الفوتوغرافي.

الصور الأولى في الحجاز

والفصل الثاني بعنوان «الصور الأولى في الحجاز.. المصورون العرب»، ويشير فيه معد الكتاب إلى أن معظم مناطق شبه الجزيرة العربية كانت مجهولة للمصورين الأجانب في النصف الثاني من القرن الماضي باستثناء بعض الصور لمدن جدة وعدن ومسقط التي التقطها مصورون كانوا في طريقهم إلى الهند.

والتقط المهندس الميرالاي أركان حرب محمد صادق بك أول الصور الشمسية لمنطقة الحجاز في الفترة من ١٨٦١م إلى ١٨٩٥م.

وكان صادق قد قام بسفرته الأولى عام ١٨٦١م بهدف إجراء مسح عسكري للمنطقة الممتدة بين الوجه والمدينة، فنشر نتائج رحلته في مقالات في «الجريدة العسكرية» المصرية عام ١٨٧٧م، وأعيد طبعها في كتيب بعنوان «نبذة في استكشاف طريق الأرض



السوق الرئيسة في المدينة المنورة (كورتلمون ١٩٠٨م)



الحجازية من الوجه وينبع البحر إلى المدينة النبوية، وبيان خريطتها العسكرية».

وسرد محمد صادق تفاصيل رحلته من ميناء الوجه إلى المدينة المنورة، وقدم وصفًا للمدينة المنورة ولدخول المحمل إليها، كما وضع خريطة للحرم النبوي الشريف، وعد نفسه أول من التقط صورًا فوتوغرافية في المدينة المنورة.

مشعل المحمل

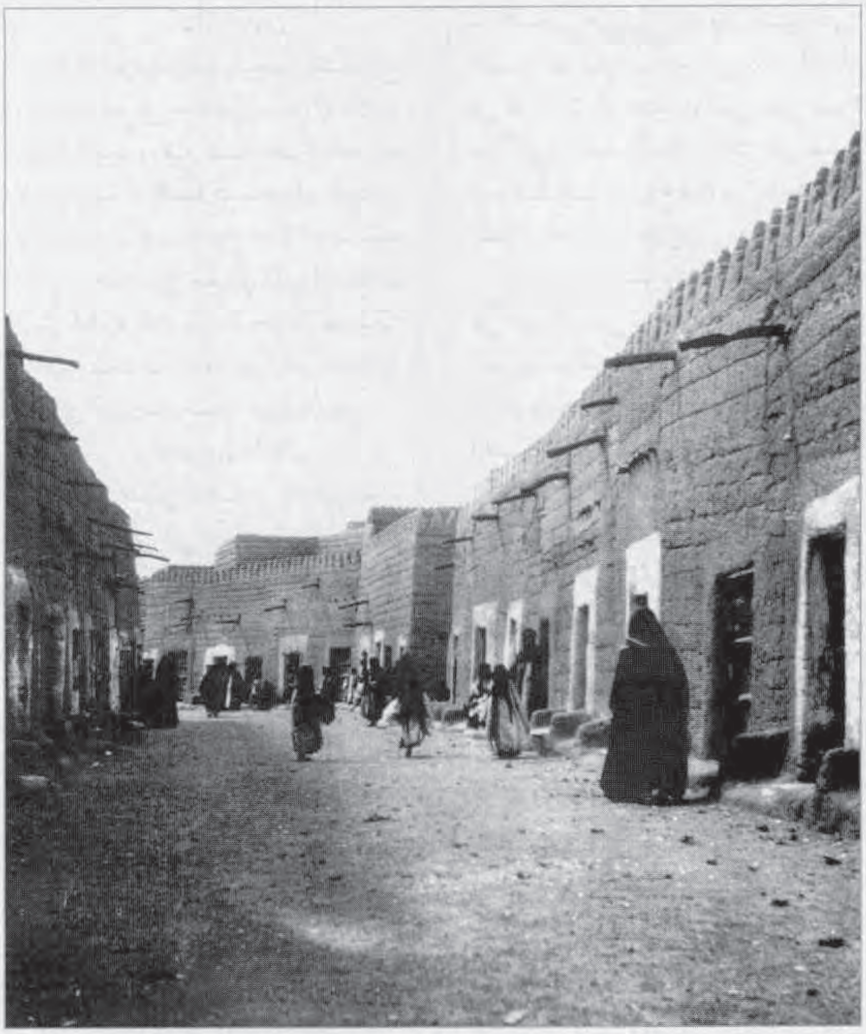
أما الرحلة الثانية للواء محمد صادق فكانت في سبتمبر/أيلول ١٨٨٠م، برفقه المحمل المصري، ووصف هده الرحلة في كتابه «مشعل المحمل في سفر الحج برًا»، وطبع في القاهرة في عام ١٨٨٠م.

وقد وصف فيه طرق الحج ومناسكه، كما ذكر شيئًا من تاريخ كسوة الكعبة والمحمل. وأشار في كتابه إلى أنه التقط صورًا للمسجد المكي والكعبة على الرغم من كثرة الازدحام، وقابل في رحلته المصور على بيه الذي كان ضمن بعثة عسكرية عثمانية ويحتمل أن يكون هو صاحب الصور التي ضمها كتاب د.ج. هوغارث «اختراق شبه الجزيرة العربية» THE PENTERATION OF ARABIA.

كانت كوكب الحج رحلة الحج الثالثة لمحمد صادق برفقة المحمل المصري عام ١٨٨٤م، ونشر تفاصيلها في كتابه «كوكب الحج في سفر المحمل بحرًا وسيره برًا»، وفيه وصف لوصول المحمل إلى ميناء جدة، ووصف للمدينة نفسها، وذكر معلومات عن طبيعة المناطق التي مر بها المحمل، ووصف وصول المحمل إلى المدينة والاحتفالات التي رافقته، ثم قدم وصفًا لميناء الوجه.

دليل الحج

والكتاب الأخير الذي وضع فيه محمد صادق خلاصة جولاته الحجازية عنوانه «دليل الحاج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج»، ويتضمن معلومات عن رحلاته الثلاث للحج، ووصفًا لبلدة ينبع، وضمت كتب محمد صادق معلومات قيمة عن الوضع الاجتماعي والعمراني في الحجاز، واستعملت صوره في كثير من الكتب المنشورة خلال النصف الأخير من القرن الماضي، وفي مطلع القرن الحالي.



شارع في حائل (بيل ١٩١٦م)

المصور سباح

هذا المصور الذي يعتقد أن أصله عربي التقط صورًا للأزياء في منطقة الحجاز، وأنشأ أستوديو للتصوير في حي بيرا في إسطنبول عام ١٨٥٧م. وكان يطبع على الصور «رسم الضيا العجيب فالحبيب منه لا يغيب». وكان باسكال سباح عضوًا في الجمعية الفرنسية للتصوير، ونال الميدالية الفضية في المعرض العالمي للتصوير عام ١٨٧٨م. وضمن الفنان حمدي بيه كتاب «الأزياء الشعبية التركية عام ١٨٧٣م» بعض صور سباح، ومن بينها صور لأزياء منطقة الحجاز، مع أنه لا توجد معلومات عن زيارته للحجاز، مما يرجح أن الصور التقطت في الأستوديو.

أقام مصورون أجانب في المنطقة العربية عندما ازداد الطلب على صور تذكارية للمعالم المحلية

مرآة الحرمين

قام اللواء إبراهيم رفعت باشا بأربع رحلات حج إلى مكة المكرمة، وزار خلالها المدينة المنورة، ووضع كتابه «مرآة الحرمين» وضمنه صوراً التقطها بنفسه، وقد رافقه في رحلة الحج الأخيرة عام ١٩٠٨م صديقه المصور محمد علي سعودي الذي قام بالتقاط صور كثيرة خلال تلك الرحلة، كما عرف إبراهيم رفعت باشا مصوراً آخر هو خليل القازاني الذي صور مسجد عروة بالمدينة.

المصورون الأجانب

يحمل الفصل الثالث من الكتاب عنوان «الصور الأولى في الحجاز: المصورون الأجانب»، ويبدأ بالإشارة إلى أن المستشرق الهولندي كريستيان سنوك هروخرونيه (١٨٥٧ - ١٩٣٦م) من أبرز الذين وثقوا مكة بالصور بعد المصور محمد صادق، وصوره في مجلدين منفصلين في «ليدن» بهولندا بعنوان «أطلس مكة المصور» عام ١٨٨٨م، و«صور من مكة» عام ١٨٨٩م.

ويذكر معد الكتاب شيئًا من سيرة هيروخرونية، مبينًا أنه حصل عام ١٨٨٤م على إجازة الجامعة للذهاب في جولة دراسية إلى شبه الجزيرة العربية، ولا يعرف شيء عمن قام بتمويل رحلته. وقد وصل جدة في الثامن من أغسطس/آب ١٨٨٤م، ونزل ضيفًا على القنصل الهولندي، ثم غادر إلى مكة المكرمة في فبراير/ شباط ١٨٨٥م، التي أمضى فيها ستة أشهر، واعتنق الإسلام، وأطلق على نفسه اسم عبدالغفار، وتزوج فتاة من جاوة، ولم يستطع زيارة المدينة المنورة.

وذكر دي ستالو نائب القنصل الفرنسي في مقالة له في مجلة الوقت LE TEMPS الباريسية أن غرض هروخرونيه من زيارة مكة هو التوسط لمصلحة الألمان بهدف تأمين الحصول على حجر تيماء الذي عثرت عليه التنقيبات الأثرية، وعندما ترجمت المقالة إلى التركية والعربية أثارت حفيظة الأتراك، واقتيد هروخرونيه إلى مقر الحاكم التركي في مكة المكرمة، وأنذر بضرورة مغادرة المدينة خلال بضع ساعات، وقد غادرها بالفعل إلى جدة في حراسة جنديين، ومنها إلى هولندا.

وهو يذكر في مجلديه أن جلّ الصور التي نشرها التقطها طبيب من مكة، ولم يحدد هويته، وإن كانت بعض الصور في مجموعة «صور من مكة» في الجمعية الجغرافية الملكية في لندن أضيفت إليها عبارة «فوتوغرافيت السيد عبدالغفار - طبيب مكة».

وهذا الطبيب أشار إليه محمد صادق في كتابه «دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج».

وقد اشتهر من المصورين الهنود مصور يدعى ميرزا، الذي ضمت صوره مجموعة فؤاد دبّاس الخاصة، ومحفوظات المتحف الحربي البريطاني، وكتاب الرحالة وايفل «الحج الحديث إلى مكة».

جيرفيه - كورتلمون

يشير بدر الحاج إلى ما شهده التصوير الفوتوغرافي من تطور بعد عام ١٨٨٨م، إذ أنتجت كوداك آلة جديدة تستخدم فيلمًا ورقيًا ملفوفًا أتاح للمصور التقاط مجموعة متتالية من الصور من دون الحاجة إلى إعادة تجهيز آلة التصوير، وتم إنتاج أوراق مصنوعة من «كلورايد الجيلاتين» لاستخدامه بدلاً من مادة «الألبومن»، وازدهرت الصحافة المصورة في أوربا بعد ظهور الطباعة المصورة.

وتضمن كتاب جول جيرفيه - كورتلمون «رحلتي إلى مكة» ثلاثا وأربعين صورة، وطبع في باريس عام ١٨٩٦م.

ودخل كورتلمون مكة حاجًا، والتقط صوراً كثيرة، من بينها صور للمدينة، وذكر في كتابه بعض الظروف التي أحاطت برحلته إلى الحجاز، وكان قد أبلغ الحاكم الفرنسي بالجزائر عن عزمه على القيام بهذه الرحلة،



بداية شارع الثميري، ويبدو البرج المجاور لبوابة الثميري الى اليمين (شكسبير ١٩١٤م)



فوجد منه التشجيع، كما كلفته وزارة التعليم العام بكتابة تقرير عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في الحجاز، وعدت رحلته علمية، وحصل على جواز سفر باسم عبدالله بن بشير بوصفه طبيبًا جزائريًا، وحفظ آيات قرآنية، وتزود ببعض الأدوية، وارتدى اللباس العربي، واستقبله عبدالرحمن دليل قنصلية فرنسا في جدة، وتجول برفقته في اليوم التالي في المدينة، والتقط صوراً لأبنيتها وشوارعها، ثم توجه إلى مكة المكرمة، والتقط صوراً للحرم الشريف بشكل سري. وكان يعدّ نفسه أول فرنسي يدخل مكة بعد سبع وخمسين سنة على دخول الرحالة الفرنسي ليون روش.

والتقط جيرفيه - كورتلمون صوراً لقبر الرحالة الفرنسي شارل هوبير في جدة الذي لقي مصرعه فيها في ٢٤ يوليو/تموز ١٨٨٤م، ولم يستطع جيرفيه - كورتلمون زيارة المدينة المنورة لمرض مرافقه ودليله الحاج عقلي.

خط سكة حديد الحجاز

أعلن السلطان عبدالحميد الثاني في عام ١٩٠٠م بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لتوليه العرش إقامة مشروع خط سكة حديد يربط دمشق بالمدينة ومكة. وبمناسبة تدشين خط سكة الحديد قام جيرفيه - كورتلمون





قصر أمير الجوف (بتلر ١٩٠٨م)

برحلة ثانية إلى الحجاز، التقط فيها صوراً للمحطات وللاحتفالات وللمدينة المنورة، ونشر سلسلة مقالات حول رحلته في مجلة L'ILLUSTRATION الباريسية، كما أن المصور الأرمني حلاد جيان التقط صوراً عن مراحل تشييد الخط، إضافة إلى صور عن المدينة المنورة.

المصورون الأتراك

من المصورين الأتراك الذين نشطوا في الجزيرة العربية علي بيه، واليوزباشي محمد علي، والمصور سليمان زهدي، كما أن عسكريين أتراكًا لهم أعمال مصورة لم يكشف عنها بعد.

الصور الأولى في نجد

خصص معد الكتاب الفصل الرابع عن الصور الأولى في نجد، وهو يقدم في بدايته الصراعات الدولية في الخليج العربي، والأساليب التي كانت تمارسها الدول الكبرى للنفاذ إلى المنطقة، وظهرت الصور الأولى للرياض بعد الرحلة التي قام بها النقيب جيرارد ليشمان في عام ١٩١٢م بهدف مقابلة الملك عبدالعزيز، يرحمه الله، وإجراء مسح جغرافي للقصيم والرياض لصالح الجمعية الجغرافية الملكية في لندن والمكتب الحربي البريطاني.

صور النقيب شكسبير

قابل النقيب شكسبير الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - في عام ١٩٠٩م في الكويت، والتقط له بعض الصور، ثم التقط له صوراً

عدّ اللواء محمد صادق نفسه أول من التقط صوراً للمدينة المنورة، وكان كورتلمون أول فرنسي يدخل مكة المكرمة بعد الرحالة روش

أخرى في لقاء آخر بالقرب من ثاج في عام ١٩١١م، والتقط صوراً للرياض، ولاستعدادات جيش الملك عبدالعزيز قبل إحدى المعارك، وطاف أغلب مدن نجد، والتقط فيها صوراً كثيرة، وذكر أن عدم وجود المياه عاق كثيراً تظهير أفلامه.

وعاد شكسبير مرة أخرى إلى شبه الجزيرة العربية، ولقي حتفه في معركة جراب عام ١٩١٥م.

الصور الأولى للمناطق الشمالية

هذا هو عنوان الفصل الخامس من الكتاب، وفيه إشارة إلى أن أول بعثة عسكرية وصلت إلى منطقة الجوف كانت عام ١٩٠٨م، وكانت تتألف من ضابطين هما ستيفن سيجور بتلر وليستر إيلمر اللذان تنكرا في لباس عربي، وانتحلا صفة تاجري إبل من كردستان، والتقطا صوراً عديدة في المنطقة.

بيل في حائل

أرادت الباحثة الأثرية جيرترود بيل رسم خرائط للمنطقة، ودراسة الآثار القديمة، وإرسال نتائجها إلى المكتب الحربي البريطاني، والجمعية الجغرافية الملكية في لندن، وذلك على الرغم من تحذير الحكومة البريطانية لها، وقد جمعت من

مجموعة فيلبي من أضخم المجموعات المصورة عن المملكة، والصور الأولى للرياض كانت للنقيب ليشمان

رحلتها إلى حائل معلومات عن القبائل التي تقطن فيها، وعن حياة النساء في المنطقة، وعن الوضع السياسي فيها.

مجموعة فيلبي المصورة

خصص الفصل السابع من الكتاب لمجموعة فيلبي التي تعدّ من أضخم المجموعات المصورة عن المملكة، وتغطي فترة زمنية تمتد من ١٩١٧م إلى ١٩٥٧م، ويحتفظ بها مركز الشرق الأوسط في معهد سانت أنطوني في أكسفورد، ويوجد قسم منها في الجمعية الجغرافية الملكية في لندن، وتشمل هذه المجموعة عدداً من القرى الصغيرة والأودية والجبال والصحارى.

ووصف فيلبي الرياض في أول قدومه إليها، وذكر أن عدد سكانها يراوح بين ١٢ إلى ١٥ ألف نسمة، وأن فيها أبنية رئيسة ثلاثة هي: القلعة، والمسجد، وقصر ابن سعود. والتقط صوراً لأهم معالم المدينة.

وزار فيلبي الطائف وجدة، والتقط فيهما مجموعة من الصور. وعاد فيلبي إلى الرياض مرة ثانية، واستكشف أقاليم نجد الجنوبية، ثم اتجه شمالاً نحو القصيم التي أمضى فيها ثلاثة أسابيع، وكانت حصيلة الرحلتين أكثر من ستمئة صورة فوتوغرافية. والتقط فيلبي صورة للملك عبدالعزيز وكوكس في أثناء المباحثات التي جرت بينهما.

وقام فيلبي برحلتين إلى المنطقة الشمالية من شبه الجزيرة العربية بهدف دراسة الوضع السياسي وإجراء مسح جغرافي للمنطقة، والتقط بعض الصور في المنطقة.

وعقب إشهار إسلامه زار فيلبي مكة المكرمة أكثر من مرة، والتقط صوراً للمدينة، وكذلك التقط صوراً لمدينة الطائف والمدينة المنورة ومنى.

وقام فيلبي برحلة استكشاف إلى الربع الخالي عام ١٩٣٢م، قطع خلالها ألفا وثمانمئة



منظر عام للطائف (فيلبي ١٩٣٥م)



ميل في تسعين يومًا، والتقط الكثير من الصور، ووضع خريطة تفصيلية للمنطقة التي مر بها. وقام برحلة إلى جنوب المملكة طوال تسعة أشهر، وعاد منها بمجموعة من الصور الفوتوغرافية النادرة.

ويضم الأرشيف المصور للجمعية الجغرافية الملكية في لندن لقطات نادرة لمدينتي جيزان ونجران.

المصورون الهواة

أفرد معد الكتاب الفصل السابع لأعمال المصورين الهواة، مبينًا أن بدء العمل في خط سكة حديد الحجاز يسّر الوصول إلى منطقة الحجاز، وأصبح الحصول على آلات التصوير البسيطة سهلة. وأهم المجموعات المصورة تلك التي التقطها قسم التصوير الفوتوغرافي والسينمائي التابع للجيش الفرنسي في الحجاز عام ١٩١٨م، ومجموعة توماس إدوارد لورانس المعروف بـ «لورانس العرب» التي يحتفظ بها المتحف الحربي البريطاني، ومجموعة لمصور مصري مجهول نحو عام ١٩١٢م، ومن المصورين الهواة الآخرين ج. ب ماكي، وف. ج. كلامو، والكولونيل مانسيل، والطبيب المصري س.م. حسين، وأعمال هؤلاء من محفوظات الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية.

وسجل همفري بومان زيارة الوفد السعودي برئاسة الأمير فيصل بن عبدالعزيز - يرحمه الله - إلى بريطانيا ممثلاً والده الملك عبدالعزيز، يرحمه الله، ولهذا المصور صور عن الحجاز، ويحتفظ مركز الشرق الأوسط بملف عن تلك الصور.

ومن المصورين الهواة نورمان مايرز الذي التقط مجموعة صور عن جدة، وأندرو رايان وشغل منصب وزير بريطاني مفوض في المملكة بين عامي ١٩٣٠م و١٩٣٦م، والتقط صوراً في جدة والطائف والرياض، وكان جيرالد دوغواري مندوبًا سياسيًا للحكومة البريطانية لدى المملكة، وزار الرياض ثلاث مرات، والتقط خلالها مجموعة من الصور، كما زار عسيرًا وأبها وجيزان. أما جورج راندل فكان يشغل منصب رئيس الدائرة الشرقية في وزارة الخارجية البريطانية خلال الفترة من (١٩٣٠ - ١٩٣٨م)، وقام مع زوجته جيرالدين بجولة من العقير على ساحل الخليج إلى جدة عبر الرياض، التقط خلالها صوراً للمناطق التي مر بها.

وقد أقاما في قصر البديعة، والتقيا الملك عبدالعزيز بحضور بعض الأمراء، وتجولا في مدينة الرياض، والتقطا مجموعة من الصور لمبانيها وأسواقها.



بوابة في الهفوف (شيزمان ١٩٢٣م)



منظر عام لأبها (فيلبي ١٩٣٦م)

العلاقات السعودية - البريطانية

خالد بن ثنيان آل سعود   مراجعة: دلال بنت مخلد الحربي

يضم هذا الكتاب في ثناياه عرضاً للعلاقات السعودية - البريطانية بمواقفها المختلفة وتطوراتها في فترة محددة من الزمن من عام ١٣٤١هـ/١٩٢٢م إلى عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م، أي من توقيع معاهدة المحمرة وملحق العقير إلى الإعلان عن قيام المملكة العربية السعودية، عندما أفرزت الحرب العالمية الأولى أفول الدولة العثمانية، والانتداب البريطاني على أقاليم تشترك بحدود مع سلطنة نجد.



سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز (الملك فيصل) في زيارته لبريطانيا عام ١٩٢٦م

وكانت بريطانيا قد تدخلت لتسوية مشكلة الحدود بين سلطنة نجد وملحقاتها والعراق، وما تبع ذلك من مؤتمرات ومعاهدات ترمي إلى تثبيت حدود سلطنة نجد مع جيرانها، وعلى الأخص العراق والأردن.

هذه الدبلوماسية الحذرة والنبهة من جانب عبدالعزيز التي وعت أساليب البريطانيين، ووظفت الأحداث التي مرت بها مراحل نشوء دولته لمصلحتها، وخدمة لتكوينها، يجعلنا المؤلف نعيش معها، ونشارك في نسج حوادثها برغبة واهتمام في ٢٦٩ صفحة من القطع المتوسط في كتاب اعتمد فيه المؤلف على الوثائق البريطانية خاصة وثائق وزارة الخارجية، وعدد من المصادر والمراجع العربية والأجنبية، ولهذا جاء هذا الكتاب متفهماً لطبيعة الموضوع ولمادته العلمية، فأحسن عرضها وتحليلها بهدوء واتزان، بأسلوب محايد، ومنهجية واضحة، ليسد ثغرة كانت تنقص الدراسات التي سبقته في هذا المضمار، وجاء توزيع الكتاب على أربعة فصول كما يلي:

الفصل الأول - خلفية تاريخية

يحتوي هذا الفصل على مسح تاريخي لجانبين: أولهما يتصل بالدولة القائم عليها عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، والآخر يتصل بعلاقته مع بريطانيا، فتحدث عن نظم الدولة في كل من نجد والحجاز، موضحاً أن النظام السياسي الذي كان قائماً في نجد لم يتشكل بالمفهوم الحديث للحكومة نظراً لطبيعة نجد واتساعها، غير أن هذا الوضع تبدل بعد ضم الحجاز؛ لأن المؤسسات السياسية في الحجاز كانت متطورة مقارنة بنظيراتها في نجد؛ ولذلك فإن ضم الحجاز حدد نظام الدولة بشكل واضح، وأكدّ أسساً من أهمها: «أن الدولة ملكية إسلامية استشارية، ومستقلة في قراراتها الداخلية والخارجية».

أما عن علاقة الأمير عبدالعزيز ببريطانيا فقد ألقى المؤلف الضوء على المصالح البريطانية في شبه الجزيرة العربية موضحاً أن هذه المصالح تركزت مع مطلع القرن العشرين على الخليج العربي لكونه أحد المعابر الرئيسة إلى الهند الذي نأت فيه وزارة الخارجية البريطانية عن التورط في داخل شبه الجزيرة؛ لأنها «كانت جزءاً من الإمبراطورية



العثمانية»، ولأنها كانت «ملتزمة الاحتفاظ بالوحدة الإقليمية العثمانية»؛ ولذلك فقد أخفقت جهود عبدالعزيز منذ عام ١٩٠٣م إلى عام ١٩٠٧م في سحب البريطانيين إلى معسكره، وقامت تلك الاتصالات على الجهود الفردية غير المباشرة من حكومة الهند وموظفيها في الخليج الذين انحنوا نحو الرغبة في إقامة صلات مع الأمير عبدالعزيز، غير أن السياسة البريطانية قطعت هذه الرغبة متمسكة بتعليمات وزارة الخارجية مشددة على حكومة الهند في الحفاظ على مصالحها في المنطقة الساحلية وتحذير أشد بعدم التعامل مع داخل شبه الجزيرة، أو التورط في شؤون عبدالعزيز.

ومنذ عام ١٩١١م حتى مطلع عام ١٩١٣م دخلت العلاقات البريطانية السعودية مرحلة جديدة، واتخذت طابعًا مباشرًا، ولو بصفة غير رسمية، في عقد جلسات مع الكابتن وليم شكسبير WILLIAM SHAKE-SPEAR الوكيل الأساسي في الكويت، وفي منتصف مايو/أيار عام ١٩١٣م نجح عبدالعزيز في إقصاء العثمانيين من الأحساء مستشرفًا منطقة الخليج العربي، وقد أدى ذلك إلى مناشدة السير برسي كوكس PERCY COX المقيم البريطاني في الخليج حكومته بضرورة إقامة علاقات مع عبدالعزيز؛ لأنه: «يسيطر على الساحل ويمثل خطرًا على مصالحنا في الخليج حتى إذا لم نرغب في التدخل في سياسة وسط شبه الجزيرة العربية فعلينا أن نزيل هذا الخطر، وأن نحافظ على أنفسنا».

وأثرت الضغوط المشتركة لكل من حكومة الهند ووزارة الهند في موقف وزارة الخارجية التي تخلت عن سياستها السابقة، وكان التنفيذ الفعلي في ديسمبر/كانون الأول ١٩١٣م عندما توجه الكابتن شكسبير، والميجر تريفور TREVOR الوكيل السياسي في البحرين إلى مقابلة عبدالعزيز الذي طلب منهما اعترافًا بريطانيًا بضمه الأحساء في مقابل وضعه حدًا للقرصنة، والحفاظ على أمن مياه الخليج، وأن يسهل للمواطنين البريطانيين دخول أقاليمه. غير أن بريطانيا لم تؤيد مطالبه، فبادر عبدالعزيز إلى عقد اتفاق مع العثمانيين في ١٥ مايو/ أيار عام ١٩١٤م.

وتابع المؤلف تبدل موقف السياسة البريطانية من الأمير عبدالعزيز نتيجة اندلاع الحرب العالمية الأولى، ودخول الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا في المعسكر المعادي لبريطانيا، واستهدف تورط بريطانيا في شؤون شبه الجزيرة في هذه المرحلة حماية مصالحها وتعطيل الخطة العثمانية، وتطلب ذلك التعامل مع عبدالعزيز رسميًا في اتفاقية دارين أو العقير التي أبرمت بين كوكس ممثلاً عن الحكومة البريطانية وعبدالعزيز في ديسمبر/كانون الأول عام ١٩١٥م وصادقت عليها حكومة الهند في ١٨ يوليو/تموز عام ١٩١٦م.

ودعمت اتفاقية دارين موقف الأمير عبدالعزيز من الكويت والحجاز وحائل، ومنحته اعترافًا بريطانيًا بإقليمه واستقلاله، وبالنسبة إلى بريطانيا جاءت اتفاقية دارين اعترافًا بأهمية عبدالعزيز، وتغييرًا لموقفها المتجاهل نحو نجد.

وحملت بقية سنوات الحرب العالمية الأولى بوادر توتر العلاقات بين عبدالعزيز وبريطانيا بسبب دعم الأخيرة للشريف حسين ابن علي؛ لأن هذا كان: «مطلوبًا بينما لم يكن الأمير عبدالعزيز كذلك»، وزاد هذا التوتر مع قرار لجنة الشرق الأوسط في يناير/كانون الثاني عام ١٩١٨م القاضي بإعطائه مساعدة قليلة جدًا، وفي الوقت نفسه تشجيعه علي القيام بعمليات حاسمة ضد ابن رشيد، وتصاعدت حدة التوتر بين الطرفين مع تدهور العلاقات بين عبدالعزيز والحسين بن علي بسبب النزاع الحدودي بين نجد والحجاز حول الخرمة، غير أن انتصارات عبدالعزيز على الملك حسين في تربة في ٢٧ مايو/أيار عام ١٩١٩م فرضت على بريطانيا أن تكيّف سياستها لتتمشّى مع ضرورة الميل إلى التفاهم مع الأمير عبدالعزيز الذي توالت انتصاراته بخضوع عسير والمخلاف السليماني في عام ١٩٢٠م، وفي نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٢١م سقطت حائل في يده، ومع بداية عام ١٩٢٢م امتد نفوذه إلى الجوف وتيماء



العلاقات السعودية البريطانية
(١٣٤١ - ١٣٥١ هـ / ١٩٢٢ - ١٩٣٢م)
دراسة وثائقية
خالد بن ثنيان آل سعود
الرياض: ١٤١٨هـ. ٢٦٩ص.

حملت بقية سنوات الحرب العالمية الأولى بوادر توتر العلاقات بين عبد العزيز وبريطانيا بسبب دعم الأخيرة للشريف حسين بن علي

وخيبر ووادي السرحان، واكتملت الحلقة بإعلانه في عام ١٩٢٢م تأسيس سلطنة نجد وملحقاتها حيث برز بصفته أقوى حاكم في شبه الجزيرة غير منازع.

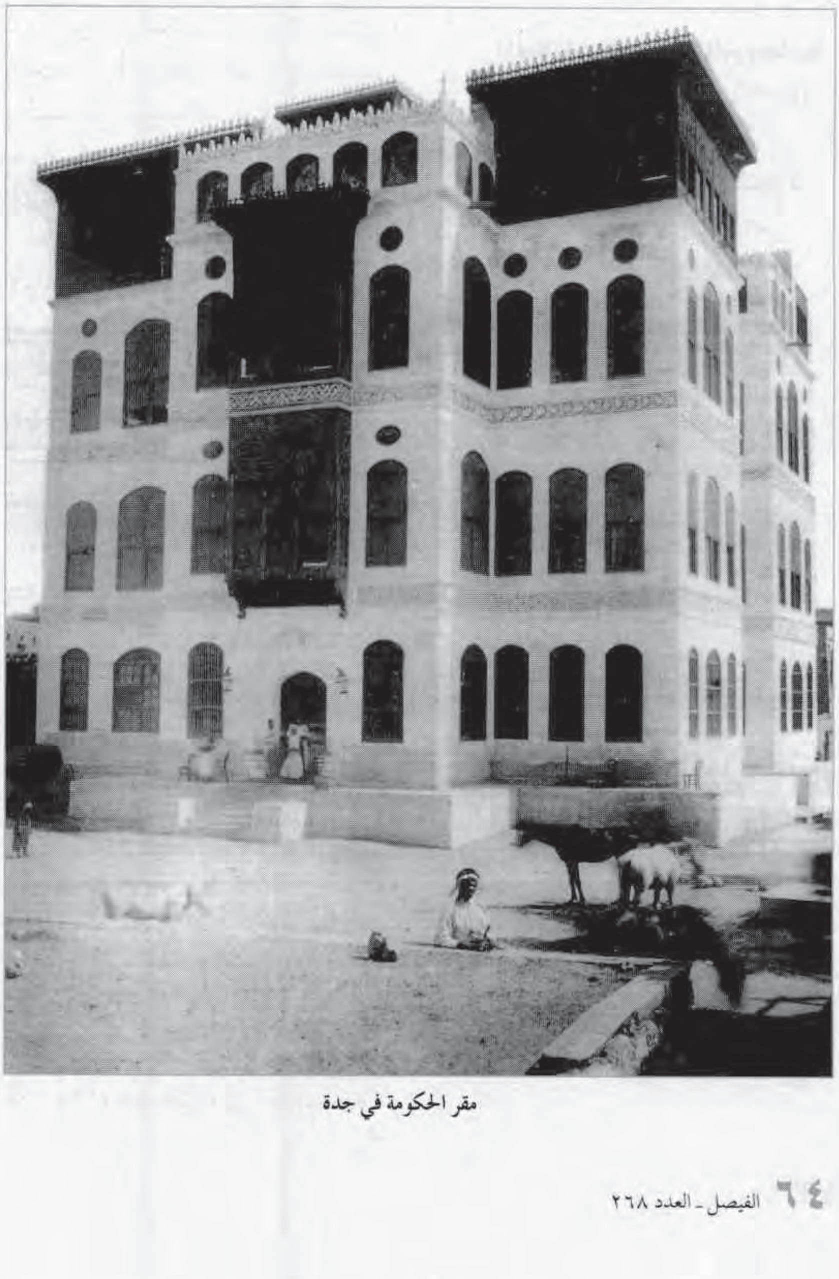
الفصل الثاني: تطور العلاقات البريطانية السعودية (١٩٢٢/١٩٢٧م)

تعد هذه المرحلة مرحلة الاتفاقيات والمؤتمرات التي حددت الشكل النهائي لدولة الأمير عبدالعزيز، وأرست طبيعة علاقته الإقليمية مع جيرانه، والدولية مع بريطانيا، ومرد ذلك النجاح الباهر الذي حققه الأمير عبدالعزيز في توسعات دولته. ومما لاشك فيه أن ضم حائل التي كانت بمنزلة الحاجز بين منطقة الأمير عبدالعزيز، والمناطق الواقعة تحت الانتداب البريطاني له أثره في هذا التحول في العلاقة بينه وبين بريطانيا. فالأخيرة رأت ضرورة تسوية مشكلة الحدود غير المحدودة بين سلطنة نجد ومملكة العراق حماية للأخيرة، ونجحت في إبرام معاهدة المحمرة في ٥ مايو/أيار عام ١٩٢٢م مع كل من مندوبي العراق ونجد، وشكلت هذه المعاهدة الأساس في تحديد الحدود على مسافات شاسعة في صحراء شبه الجزيرة العربية كمفهوم أوروبي غريب على العقلية العربية، وفي ٢ ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٢٢م أضيف ملحقا العقير إلى معاهدة المحمرة اللذان بموجبهما تأسست منطقة محايدة بين نجد والعراق، وتمّ الاتفاق على تحديد الحدود بين الكويت ونجد.

وقد دعمت معاهدتا المحمرة والعقير موقف الأمير عبدالعزيز داخل شبه الجزيرة، وعلى الرغم من تسوية المسائل المتعلقة بشرق شبه الجزيرة دون مشقة نسبيًا فقد ظلت العلاقات السعودية - الهاشمية متوترة، وعلى هذا الصعيد أعطى المؤلف معلومات ضافية ودقيقة عن تدهور هذه العلاقة بدءًا بالمحاولات الجادة التي بذلتها بريطانيا عن طريق مؤتمر الكويت (١٧ ديسمبر/كانون الأول ١٩٢٣م - أوائل مارس/أذار ١٩٢٤م) لحل القضايا الحدودية المعلقة بين نجد والحجاز كافة إضافة إلى العراق والأردن، وما استتبعه من إخفاق للمؤتمر كان السبب المباشر فيه هو الملك حسين، وذلك أعطى بريطانيا شعورًا بخيبة الأمل من الهاشميين، وانتهاء بهجوم الأمير عبدالعزيز على الحجاز حيث ضم مدنه الرئيسة بكل يسر وسهولة في يده. ففي ٥ سبتمبر/أيلول عام ١٩٢٤م ضم الطائف تلاها مكة المكرمة في ١٨ أكتوبر/ تشرين الأول عام ١٩٢٤م، ثم المدينة المنورة في ٥ ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٢٥م. وفي ٢٥ ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩٢٥م غادر الملك علي بن الحسين جدة، ودخلها الأمير عبدالعزيز في اليوم التالي.

وأوضح المؤلف، في ثنايا هذه الأحداث المتسارعة، التطورات التي عصفت بالملك حسين وما آل إليه وضعه، والتطورات التي لحقت بوضع خليفته الملك علي، كما ألقى الضوء على التطورات التي صاحبت هذا الضم والتي كان من أهمها أنه في ٨ ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٢٥م أبلغ عددًا من أعيان وعلماء الحجاز الأمير عبدالعزيز: «برغبتهم في مبايعته كملك للحجاز، ووفقا لذلك تم قراءة يمين المبايعة في ١١ ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٢٥م، وبدءًا من ذلك التاريخ أصبح الأمير عبدالعزيز سلطان نجد وملك الحجاز».

ومن جانب آخر، وعلى صعيد موضوع الكتاب الرئيس أفرد المؤلف القضايا ذات الصلة بالعلاقات السعودية البريطانية في زخم الأحداث السابقة، وهي ضم العقبة ومعان



مقر الحكومة في جدة

لإمـارة شرق الأردن، حيـث تتـبع المؤلف جوانب هذا الموضـوع وصـولاً إلى حـقيـقـة الضم القسري الذي أعلنه ليوبولد إيمري -LE OPOLD AMERY وزير المستعمرات البريطاني في ٦ يوليو/تموز عام ١٩٢٥م، وبيّن المؤلف أن هذا الضم لم يؤثر في سياسة الحياد التي انتهجتها بريطانيا بين الأمير عبدالعزيز وخصومه في الحجاز، وأنها (أي بريطانيا) عندما أيقنت من نصر الأمير عبدالعزيز خلال حصاره جدة مالت إلى مناقشة الحدود غير المحددة بين إقليم الأمير عبدالعزيز وأقاليم الانتداب البريطاني (العراق والأردن)، التي لم تحل في مؤتمر الكويت. فأوفدت السير جلبرت كلايتون GILBERT CLAYTON الذي نجح في إبرام اتفاقية بحرة في أول نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٢٥م التي نظمت المسائل القبلية والغارات المضادة بين نجد والعراق، كما نجح كلايتون في إبرام اتفاقية في ٢ نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٢٥م التي حددت الحدود الشمالية الغربية بين إمارة شرق الأردن ونجد، والمسائل المرتبطة بها.

ويعطي المؤلف رأيه حول هاتين الاتفاقتين بالقول: «وفي رأيي، فإن الأمير عبدالعزيز قد أحرز انتصاراً عظيماً في إبرام اتفاقيتي بحرة وجدّة، حيث حددت الاتفاقيتان الحدود بين كل من نجد وشرق الأردن والعراق، وأكدت البلدان الثلاثة على ضرورة وضع حد للغارات القبلية، ومعاقبة المجرمين، بالإضافة إلى ذلك فقد رسمت الحدود بين نجد وبين شرق الأردن بطريقة أعطت الأمير عبدالعزيز امتلاك وادي السرحان كميزة إستراتيجية».

الفصل الثالث: اتفاقية جدة وقنوات العلاقات البريطانية ـ السعودية

كان لضم الحجاز أكبر الأثر في تغير موقع دولة الملك عبدالعزيز ومكانته بسبب المكانة الدينية التي يتمتع بها الحجاز في قلوب المسلمين، علاوة على ما كان يمتاز به الحجاز من علاقات دبلوماسية مع الدولة الأوروبية والإسلامية، وأعطى هذا الوضع صيغة جديدة للعلاقات البريطانية ـ السعودية، فقد أصبح تحديد توقيت الاعتراف الرسمي بالملك عبدالعزيز وكيفيته يشكل أحد الموضوعات الرئيسة داخل الحكومة البريطانية، وواجهت وزارة الخارجية البريطانية اعتراضات وزارة الهند: «فجاءت موافقتها على الاعتراف بعبد العزيز ملكًا علي الحجاز بمفهومه الديني ـ حيث اعترفت في ٢٥ فبراير/ شباط عام ١٩٢٦م بأن عبدالعزيز ملك الحجاز وسلطان نجد وتوابعها، وقررت بريطانيا جعل هذا الاعتراف رسمياً».

وحظي هذا الاعتراف بامتنان الملك عبدالعزيز الذي اقترح أن «يزور ابنه فيصل بريطانيا، وباقي الدول الأوربية التي اعترفت به»، ومن جانب آخر كان الملك عبدالعزيز قد طلب من كلايتون في أثناء لقائه السابق تعديل اتفاقية دارين مما يتضح معه المكانة الجديدة التي تبوأها، ويشير المؤلف إلى أن زيارة فيصل هيأت الفرصة لبريطانيا لإبداء مشاعرها الحميمة للملك عبدالعزيز عن طريق تعديل الاتفاقية التي بدأت مباحثاتها المبدئية في نوفمبر/تشرين الثاني عام ١٩٢٦م مفوضاً بها س.ر. جوردانS.R. JORDAN نائب القنصل البريطاني في جدة، ويساعده جورج



الملك عبدالله بن الحسين



وليم شكسبير

ضمّ الملك عبد العزيز الأحساء كان نقطة تحول في علاقات بريطانيا بالدولة الناشئة

أنطونيوس GEORGE ANTONIUS مدير التربية المساعد في إدارة انتداب فلسطين، وكانت المفاوضات تسير ببطء؛ لأن جوردان لم تكن له خبرة في شؤون الشرق الأوسط كسلفه كلايتون، وفي ١٨ فبراير/ شباط عام ١٩٢٧م عين كلايتون ليحل محل جوردان كمفاوض رئيس، وبقي الأخير مساعداً له، وسار كلايتون بالمفاوضات ـ بموافقة حكومته ـ إلى أبعد مدى للتغلب على اعتراضات الملك عبدالعزيز مما جعل عبء المفاوضات النهائية أمرًا يسيرًا، ووقع الطرفان على اتفاقية جدة في ٢٠ مايو/أيار عام ١٩٢٧م لتكون سارية المفعول مدة سبع سنوات، وفي نهاية تلك المدة تكون قابلة للتجديد.

وقد اعترفت اتفاقية جدة باستقلال الملك عبدالعزيز الكامل والمطلق، وألغت اتفاقية دارين، وفي المقابل تعهد الملك عبدالعزيز باحترام الاتفاقيات البريطانية مع شيوخ الساحل المهادن، وتسهيل الحج لرعايا البريطانيين، وقمع تجارة الرقيق. وحسب رأي المؤلف فإن اتفاقية جدة إجمالاً كانت: «متمشية إلى حد كبير مع الحقائق السائدة في شبه الجزيرة العربية». كما كانت: «وثيقة رسمية عامة لتنظيم العلاقات بين الملك عبدالعزيز والحكومة البريطانية».

ويستعرض المؤلف عقب حديثه عن اتفاقية جدة التطورات التي أعقبت توقيع هذه الاتفاقية توتر الحدود العراقية ـ السعودية التي تعكس عدة قضايا منها التنافس بين الهاشميين والسعوديين، ومعارضة القوى العربية الإسلامية للانتداب، والخلافات الداخلية بين الإخوان والملك عبدالعزيز التي استفحلت منذ عام ١٩٢٦م، وكان للقضية الأخيرة شأنها الكبير التي من دون شك كانت لها انعكاساتها على وضع الملك عبدالعزيز ومركزه داخل دولته، وعلى علاقته مع بريطانيا لذلك نلاحظ أن المؤلف عالج هذا الموضوع كلوحة متكاملة في الفصل الرابع للأسباب السابقة علاوة على التتابع الزمني للأحداث.

ومن جانب آخر تحدث المؤلف عن قنوات الاتصال بين بريطانيا والملك عبدالعزيز مشيرًا إلى أن بريطانيا رأت إعادة النظر في هذه القنوات بسبب الأحداث المتتالية في شبه الجزيرة العربية خاصة تلك التي وقعت على الحدود العراقية ـ النجدية في عامي ١٩٢٧م و ١٩٢٨م من جانب، ووضع الملك عبدالعزيز ومركزه نفسه من جانب آخر، وكانت أبرز التطورات العامة بصدد هذا ما تمَّ في عام ١٩٣٠م عندما شكلت لجنة فرعية للشرق الأوسط منبثقة من لجنة الدفاع الأمبريالية التي تهتم بمسائل الشرق الأوسط، وفي عام ١٩٣٣م أنهيت مسؤولية وزارة المستعمرات عن الشؤون العربية، وتولت وزارة الهند الشؤون السياسية والداخلية لبلدان الخليج باستثناء كل ما له علاقة بالملك عبدالعزيز؛ إذ أصبح من اختصاص وزارة الخارجية.

وأما على مستوى دولة الملك عبدالعزيز فكان الملك عبدالعزيز قد طلب من بريطانيا في عام ١٩٢٨م أن تتم الاتصالات عن طريق جدة، وفي عام ١٩٢٩م اقترح التمثيل الدبلوماسي على مستوى السفراء، ويشير المؤلف إلى العقبات التي واجهت هذا الأمر، والتي انتهت بإقامة علاقات دبلوماسية كاملة في ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩٢٩م، كما تم تعيين القائم بالأعمال البريطاني حتى تعيين سفير، وكان السير أندرو رايان SIR AN-DREW RYAN الذي قدم أوراق اعتماده إلى الملك عبدالعزيز في مايو/ أيار ١٩٣٠م، وكان الشيخ حافظ وهبة نظيره في لندن.

وفي ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٣٠م قام الملك عبدالعزيز بإعادة تنظيم وزارة الخارجية حيث عين الأمير فيصل بن عبدالعزيز وزيرًا للخارجية مع احتفاظه بمنصبه كنائب للملك في الحجاز.

الفصل الرابع: تأسيس المملكة العربية السعودية

تحدث المؤلف في هذا الفصل عن تمرد الإخوان متتبعًا أسبابه وظواهره التي بدأت بشكل فعلي منذ مراحل ضم الحجاز وصولاً إلى إعلان الإخوان العصيان والخروج كلية على طاعة الملك عبدالعزيز في عام ١٩٢٩م مهددين بذلك حكمه، ومعرضين مناطق الانتداب البريطاني لخطر خروجهم خاصة العراق. وقد أوضح المؤلف الجهود الجبارة، والحكمة الكبيرة التي أبداها الملك عبدالعزيز لمواجهة هذا الخطر المنبثق من صميم دولته، ومن أدلة ذلك المؤتمر الشهير الذي عقده في الرياض في ٥ نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٢٨م والذي كشف خطابه فيه بوضوح عن جوانب في شخصية الملك عبدالعزيز منها قول المؤلف: «إن الموضوعات التي عالجها ـ أي الملك عبدالعزيز ـ في خطابه أبرزت شجاعته وثقته في إرادته القوية وخشوعه أمام الله، ونفاذ بصيرته العميق».

وكان لهذه الأحداث انعكاساتها على العلاقات السعودية ـ البريطانية التي أصابها الفتور، وكان عدم نجاح المؤتمر الذي عقد في حيفا في أغسطس/ آب عام ١٩٢٨م الخاص بسكة حديد الحجاز عاملاً مساهمًا في زيادة هذا الفتور، غير أن تعيين كلايتون في مارس/



أذار ١٩٢٩م مندوبًا سـاميًا في العراق أعطى شعوراً بأمل تحسين هذه العلاقات: «لكن وفاته في شهر سبتمبر/ أيلول بعد ستة أشهر فقط من تولي منصبه هددت علاقات بريطانيا بالملك عبدالعزيز».

وأما عن الإخوان فقد وقعت معركة السبلة في ٣٠ مارس ١٩٢٩م التي كانت نتائجها حاسمة لمصلحة عبدالعزيز.

ومهد القضاء على تمرد الإخوان للطرفين (الملك عبدالعزيز وبريطانيا) السبيل إلى تنقية الأجواء بين الملك فيصل بن الحسين ملك العراق والملك عبدالعزيز، حيث توصل الطرفان إلى اتفاق وقع في ١٠ مارس/ آذار عام ١٩٣١م، ويشير المؤلف إلى أن هذا الاتفاق قاد إلى: «تلقي المسؤولين البريطانيين في شرق الأردن تعليمات ببذل أقصى الجهد لاستمالة الملك عبدالعزيز»، وفي أبريل/ نيسان عام ١٩٣٣م اعترف الملك عبدالعزيز والأمير عبدالله بن الحسين بعضهما ببعض.

وأوضح المؤلف في هذا الفصل طبيعة العلاقات البريطانية ـ السعودية في ضوء العلاقات البريطانية ـ الإيطالية، وكان من الطبيعي أن يشير المؤلف إلى هذه القضية نتيجة للمشروعات الإيطالية في البحر الأحمر، ولموقف بريطانيا من هذه المشروعات إذ قامت إستراتيجياتها على: «منع أي دولة من فرض سيطرتها على الجزر الواقعة في هذا الممر المائي» وكان للجهود المشتركة من الطرفين (بريطانيا والملك عبدالعزيز) أكبر الأثر في الحد من هذه المشروعات.

ويصل بنا المؤلف بعد ذلك إلى الحدث المهم الذي ختم به فصله ثم نهاية كتابه، وهو إعلان المملكة العربية السعودية كمسمى للدولة الحديثة التي أسسها الملك عبدالعزيز، وكان هذا الإعلان في ٢٢ سبتمبر/ أيلول عام ١٩٣٢م، وأعقب هذا الإعلان تركيز الملك عبدالعزيز على الانضمام إلى عصبة الأمم كما يشير المؤلف.

اتفاقية دارين كانت اعترافًا بأهمية الملك عبدالعزيز، وتغييرًا لموقف بريطانيا منه



منظر جوي لمدينة جدة

القوة الثالثة

علي بن محمد النجعي   مراجعة: قسم التحرير

يتكون هذا الكتاب من ثمانية فصول، وملحق لنماذج مختارة من برقيات الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - لأمراء المراكز، وبعض المسؤولين، إضافة إلى بعض الخرائط والصور التي لها علاقة بموضوعات الكتاب.



الملك عبد العزيز يقرأ برقية تهنئة سلمها له السيد فلويد أوليجر بمناسبة اكتشاف البترول بكميات تجارية (رأس تنورة مايو ١٩٣٩م)

يقول مؤلفه علي بن محمد النجعي: «إن الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز كانت تعيش ظروف مواصلات واتصالات جغرافية واجتماعية صعبة للغاية.. وأمام هذا الوضع الراهن، وفي وجه كل التحديات الطبيعية والاجتماعية الصعبة يأتي التلغراف أو اللاسلكي ليكون هو الحل الأمثل لتجاوز كل هذه الظروف الزمانية والمكانية، وليصبح «القوة الثالثة» التي استطاع بها الملك عبدالعزيز ربط شرق البلاد بغربها، وشمالها بجنوبها، وبسرعة تفوق أحيانًا حتى قفزات الخيال».

وإذا كان التلغراف القوة الثالثة، فإن القوتين الأولى والثانية اللتين قصدهما المؤلف، هما قوة الإيمان بالله، وعزم الرجال، والقوة الاقتصادية المتمثلة في البترول الذي دفع البلاد إلى مدارج الرقي والازدهار.

ويشير المؤلف في مقدمته إلى أنه ما عرف شيئًا عن نشأة الاتصالات اللاسلكية بالمملكة العربية السعودية إلا حين بدأ قراءة كتب بعض الغربيين أمثال ديفيد هاوارث، ونورمان والبول، وجورج لبسكي؛ لأن الكتب العربية لم تشر إلى هذا الموضوع إلا عرضًا.

وأضاف المؤلف إلى الطبعة الثانية من الكتاب مقالة للدكتور غازي القصيبي نشرت في المجلة العربية تناول فيها كتابه هذا، مبينًا أهمية المواصلات، حتى إنه يقول: «كنت دائمًا، ولا أزال من المؤمنين بأن الوحدة تعني يسر المواصلات بأنواعها، ومن هنا، كنت، ولا أزال، أعدّ فتح طريق جديدة بين دولتين أهم من توقيع اتفاقية جديدة بين هاتين الدولتين، وأعدّ فتح خط طيران جديد أبلغ أثرًا من فتح سفارة جديدة».

ومن هذا المدخل، ينفذ القصيبي إلى موضوعه، مبينًا ما قام به الملك عبدالعزيز من تأمين الطرق والاهتمام بالمواصلات لتكون في مقدمة أولوياته، فجاء اللقاء التاريخي الحاسم بين الملك عبدالعزيز وجهاز اللاسلكي.

الفصل الأول من الكتاب بعنوان «عودة التاريخ»، ويبدؤه المؤلف بذكر التحولات الكبيرة في حياة الأمم، مشيرًا إلى أن الإسلام جعل الجزيرة العربية مركز إشعاع ديني وحضاري تمجده الأمم، وتشرئب إليه قلوب المؤمنين في كل مكان؛ إلا أنها، وبعد انتقال الخلافة الإسلامية من المدينة المنورة إلى بلاد الشام، ثم إلى بغداد، ثم إلى القاهرة، أصبحت غريبة منسية مثلما كانت قبل الإسلام، وكان أهم تحول تشهده الجزيرة بعد ذلك هو فتح الملك عبدالعزيز الرياض في عام ١٣١٩هـ/١٩٠٢م، وإن كانت قد شهدت تحولاً كبيرًا مع قيام الدولة السعودية الأولى، وما كان بين الإمام محمد بن سعود، والشيخ محمد بن عبدالوهاب من عهد وميثاق على نصرة دين الله، ورفع راية التوحيد.

وجاء الفصل الثاني بعنوان «قوى التبديل»، وهو يذكر هنا شيئًا مما ذكره في



المقدمة، فيشير إلى أن الملك عبدالعزيز، ومن معه من الرجال كانوا القوة الرئيسة الأولى، بعد الله، التي أخرجت شبه الجزيرة العربية من ظلمات الماضي إلى نور المستقبل، وأن البترول هو القوة الثانية لكونه هبة السماء إلى الملك عبدالعزيز، حيث امتدت يد الإصلاح إلى كل شيء في البلاد.

ويورد المؤلف مقتطفات من فيلم تسجيلي بعنوان «عبدالعزيز آل سعود أو ملحمة الصحراء» للمخرج أرماند ريدل ARMAND RIDEL، وتعليق المؤرخ الفرنسي آلان ديكو ALAN DECAUX، لتوضيح «كيف ينظر الآخرون إلى الملك عبدالعزيز بصفته القوة الأولى الرئيسة في تحريك شبه الجزيرة العربية؟ وكيف أن البترول القوة الثانية ـ كان العامل الأساسي للتغلب على مشكلات الفقر والجوع في جزيرة العرب؟».

وتناول هذا الفيلم جوانب من شخصية الملك عبدالعزيز منذ ولادته إلى دخوله الرياض، واكتشاف البترول.

ويصف ما قام به الملك عبدالعزيز بالقول: «إن قصة هذا الارتقاء الخارق للعادة الذي لا مثيل له في التاريخ، تصور لنا مشاهد واقعية كأنها أخذت من ملحمة شعرية»؛ كما أن الفيلم تناول الدرعية، وتاريخها، وآثارها، والدولة السعودية في دوريها الأول والثاني.

وأفرد المؤلف الفصل الثالث لموضوع الكتاب الرئيس «اللاسلكي»، وقد وضع تحت عنوان الفصل الآية الكريمة: وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ. سبأ:٥٣.

ويوضح أن القوة الثالثة إذا كانت تعني الإعلام أو المعلومات بشكل عام إلا أن الحديث سينصب على دور المبرقات أو الاتصالات اللاسلكية في توطيد عرا الأمن والاستقرار في ربوع المملكة العربية السعودية.

وقد قدم المؤلف لمحات موجزة عن بدايات اللاسلكي بشكل عام، منوهًا بأن نابليون أقام محطة سيمافور، وكانت تستخدم نظام الإعلام الإشاري، وهو نظام مستمد من لعبة بسيطة كان يمارسها الأطفال، إذ كانوا يستخدمون أذرعًا وألواحًا خشبية في نقل رسائل بينهم، فاكتشف ذلك جندي فرنسي، فكانت أساسًا لهذا الاختراع.

«وقد استخدم الإنسان أنواعًا من وسائل الاتصالات البدائية المعروفة مثل حمام الزاجل، وأضواء المنارات، ومآذن المساجد، وطلقات المدافع، والعيارات النارية في الهواء. وظل الاتصال الآني والبعيد عبر المسافة والزمن حلمًا يداعب خيال الإنسان منذ فجر التاريخ حتى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، حيث بدأت تباشير التلغراف الكهربائي، تظهر للعيان».

وكان أول خط للتلغراف في العالم ذلك الذي كان بين مقر المرصد وقسم علوم الطبيعة بجامعة جوتنجن الألمانية عام ١٨٣٣م، وقد أقامه كل من كوس G.F. CAUSS وفبر WILHELM WEBER، واخترع صمويل مورس آلة التلغراف التي تستخدم التيار الكهربائي عبر الأسلاك في عام ١٨٣٧م، وأرسل أول إشارة تلغرافية عام ١٨٣٧م، ولم يكن مورس عالمًا، إنما كان رسامًا، وقد أسس أكاديمية الرسم الأهلية في مدينة نيويورك. ومنحه مجلس الشيوخ الأمريكي مبلغ ثلاثين ألف دولار، ومن ثم تمكن من إنشاء أول خط تلغرافي تجاري بين واشنطن العاصمة وبلتمور.

ووضع مورس شيفرة استخدم فيها إشارتين هما النقطة (.) والشرطة (-) بتركيبات مختلفة، مستمدًا منها رموزًا للحروف الأبجدية.

وكان التلغراف سلكيًا إلى أن توصل المخترع الإيطالي جوجليلمو ماركوني عام ١٨٩٥م إلى اكتشاف طريقة لإرسال الرسائل لمسافات بعيدة من خلال الموجات اللاسلكية بدلاً من التيار الكهربائي، أما أول خط تلغراف عرفته الجزيرة العربية فكان ذلك الذي أنشئ في عهد السلطان عبدالحميد الثاني، واستخدمت فيه أعمدة لحمل أسلاك هذا الخط بمحاذاة سكة



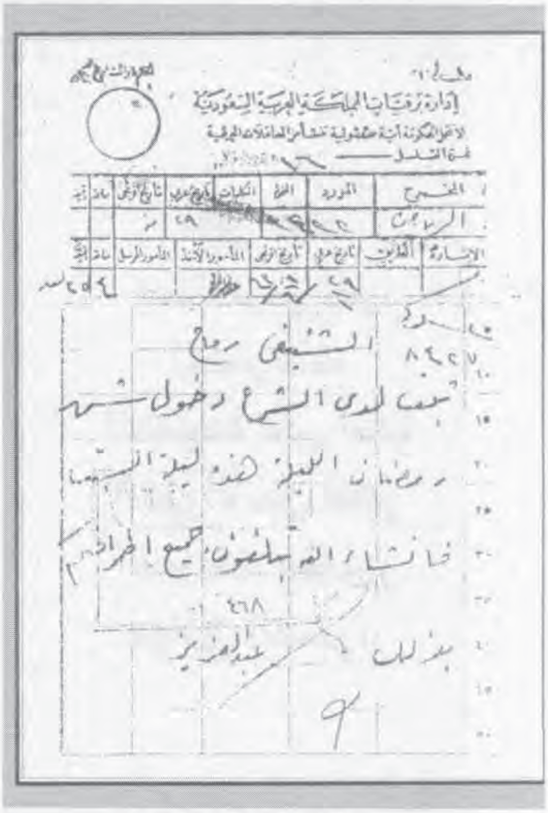
القوة الثالثة
دراسة تاريخية عن دور اللاسلكي في عهد الملك عبد العزيز
علي بن محمد النجعي
الرياض: ط ٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ٢٥٣ ص.

نظر الملك عبدالعزيز إلى المخترعات الجديدة على أنها الحل الأمثل لقهر المسافات وتجاوز عوائق الصحراء

الحديد من تركيا إلى المدينة المنورة بمسافة طولها ١٣٠٠كم. وفي أثناء الحرب العالمية الأولى قررت الحكومة العثمانية إقامة مركزين لاسلكيين: الأول في المدينة المنورة، والثاني بمدينة جدة، فكان ذلك بداية دخول التلغراف اللاسلكي شبه الجزيرة العربية. وظلت هاتان المحطتان تعملان إلى العهد السعودي، فحلت أجهزة ماركوني الإنجليزية محل أجهزة تلفونكن الألمانية.

والفصل الرابع بعنوان «الشنطة الملكية»، ويقصد بها الوحدات اللاسلكية المتحركة سواء تلك التي كانت مع الملك عبدالعزيز، أوتلك التي كان يستخدمها كبار المسؤولين في الدولة. ويبدأ هذا الفصل بالإشارة إلى أن نجداً لم تشهد أي نوع من أنواع الاتصالات والمواصلات الحديثة قبل دخول الملك عبدالعزيز الحجاز في سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م، بل إن البريد كان يحمل على ظهور الجمال.

وقد نظر الملك عبدالعزيز إلى المخترعات الجديدة على أنها الحل الأمثل لقهر المسافات المتباعدة، وتجاوز عوائق الصحراء، وزحف الرمال الرهيبة، فأقام شبكة من المحطات اللاسلكية وضعها في أماكن إستراتيجية ومتعددة، وتم ربطها جميعًا بالوحدة اللاسلكية المتحركة مع جلالة الملك (الشنطة الملكية).



نموذج من برقيات الملك عبد العزيز

وقد أنكر بعض الإخوان على الملك عبدالعزيز تسامحه مع الثقافة الجديدة في الحجاز، وقبوله الآلات والمخترعات الحديثة، إلا أن التحديات الداخلية والخارجية لم تضعف من قوته، يرحمه الله، فكان عليه أن يتخذ إستراتيجية حربية جديدة تعتمد هذه المرة على الدبلوماسية بدلاً من المجابهة أو القوة المباشرة، وعلى الإدارة المركزية لشؤون البلاد بدلاً من قيادة المعارك في ميادين القتال، وقد كان لابد من آلية صحيحة ومناسبة لتنفيذ هذه الإستراتيجية الجديدة. وكان اعتماده كبيراً على الاتصال اللاسلكي لسرعة نقل الأخبار إليه من المناطق المختلفة في البلاد.

ويورد المؤلف تقريراً لجريدة «صوت الحجاز» عن الاتصالات اللاسلكية في البلاد حتى عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م يبيّن الخطوات الأولى التي بدأها الملك عبدالعزيز لتطوير الاتصالات اللاسلكية في المملكة العربية السعودية.

وقد قام بتحليل هذه التقريرات لاستخلاص بعض الحقائق التاريخية عن تاريخ الاتصالات اللاسلكية في الجزيرة العربية.

ويشير إلى ما أورده فلبي عن الأجهزة اللاسلكية المتنقلة، ووازن بين ما قاله، وما جاء في «صوت الحجاز»، لينتهي إلى أن الوحدات اللاسلكية المتحركة، والمراكز الثابتة التي وضعت في أماكن متفرقة ومتعددة حققت هدف الملك عبدالعزيز في الاتصال المباشر والمستمر مع رجالات دولته في طول البلاد وعرضها.

وتناول الفصل الخامس «ورطة فلبي»، وتتلخص في المشكلات الفنية التي صادفت إقامة شبكة اتصالات لاسلكية عن طريق شركة ماركوني، وقد كان فلبي القائم بالاتصال معها بتكليف من جلالة الملك، يرحمه الله، وقد بدأ هذا المشروع يعمل بسلاسة ويسر بعد ذلك، وبقي إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية محور الاتصالات الرسمية في المملكة العربية السعودية. وحلت بذلك أجهزة ماركوني الإنجليزية محل أجهزة تلفونكن الألمانية، وقد بقيت أكثر من ربع قرن عصب الاتصالات اللاسلكية في البلاد. كما تم تدريب بعض السعوديين للعمل عليها.

ويحمل الفصل السادس عنوان «وللتاريخ حكاية»، وهو هنا يذكر بعض الأسباب أو العوامل التي كان لها أثر كبير في إنسان تلك الفترة مما جعله يتشدد في عدم قبول بعض مستجدات العصر، ومما عدده في هذا الشأن عدم التأهيل العلمي والنفسي والاجتماعي لاستيعاب الاختراعات الحديثة لعزلته عن تأثير المد الحضاري والتقني، الذي أدى به إلى رفض ما يأتي من الآخر، والتردد في قبول الأشياء الجديدة، وللتدليل على أن هذا الأمر شيء عام يشير إلى أن إمبراطور فرنسا ووزراءه قد فزعوا من الساعة التي أهداها الخليفة هارون الرشيد إليه، كما عوقب في الغرب من قال بدوران الأرض، ويروي بعد ذلك بعض المفارقات التي شاهدها غيره مثل السيد أحمد عبيد أحد الرجال الذين عملوا في جهاز اللاسلكي، أو الشيخ حافظ وهبة وغيرهما عن حالة الانبهار التي كانت تُستقبل بها الاختراعات الحديثة. وقد كان الملك عبدالعزيز يستخدم مع الرافضين الاختراعات الحديثة أسلوب الحوار الهادئ والإقناع، متخذاً الزمن عاملاً أساسيًا في تغيير نظرة الناس إلى هذه الآلات والمخترعات الحديثة.

وخصص المؤلف الفصل السابع لمسألة «الأتيال»، وكلمة أتيال استخدام لفظي جاء من تَلي، وقد كان يقصد به التعبير عن وسائل الاتصالات الحديثة، وخاصة التليفون والتلغراف أو اللاسلكي.. وفي

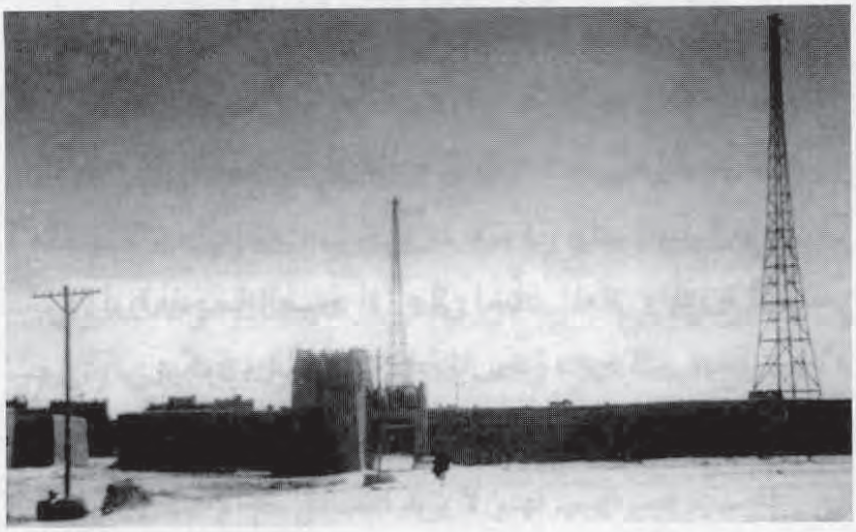
المملكة المتحدة تستخدم اليوم عبارة تلي TELLY في لغة التخاطب العامة على أنها نوع من الاختصار لكلمة تلفزيون -TELE VISION.

ويورد المؤلف ما جاء في كتاب الشيخ محمد المانع «توحيد المملكة العربية السعودية» عن اشتداد معارضة فئة من الإخوان للآلات والمخترعات، مما حدا بالملك عبدالعزيز إلى عقد مؤتمر في قصر جلالته في الخامس والعشرين من رجب سنة ١٣٤٥هـ جمع فيه العلماء، ورؤساء القبائل، والأمراء، وقادة الجيش، وقد حضر هذا المؤتمر زعماء الإخوان ما عدا سلطان بن أبجاد.

وانتهى المؤتمر بفتوى من العلماء ذكروا فيها أنهم لم يجدوا في القرآن الكريم أو السنة النبوية المطهرة، أو قول أحد العلماء، ولا من أخبار العارفين دليلاً بتحريم الأتيال، وأن من يقول بالتحريم يفتري على الله الكذب، وأنهم يبرؤون إلى الله من ذلك. ومع ذلك، توالت خطابات الاحتجاج إلى الملك عبدالعزيز، فأحالها إلى العلماء الذين أصدروا فتوى تاريخية جاءت في صورة خطاب موجه إلى هذه الفئة من الإخوان.

وبعد ذلك يوضح المؤلف مراحل تطور شبكة الاتصالات اللاسلكية بالمملكة، وقد سبق ذكر شيء من المرحلتين الأولى والثانية. أما المرحلة الثالثة فتبدأ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة، فقد زيد عدد المحطات من ٢٢ محطة إلى نحو ١٢٥ محطة لاسلكية، وأعقبها تأسيس أول نظام إذاعي متكامل مع نهاية عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م، حيث افتتحت إذاعة المملكة العربية السعودية اللاسلكية في مكة المكرمة.

أما الفصل الثامن فعنوانه «مصدر القوة»، ويبدأ بكلمات للشيخ حافظ وهبة، والشيخ محمد المانع، والأستاذ خير الدين الزركلي، والدكتور عبدالمجيد داغستاني مستقاة من كتبهم، ثم يذكر شيئًا من تاريخ الدولة السعودية في أدوارها



صورة لمحطة لاسلكي الرياض

الثلاثة، وما قامت به وسائل الاتصالات الحديثة في عهد الملك عبدالعزيز، يرحمه الله، واستخدامه لها في الاتصال بالعالم الخارجي، وفي دفع سياسته الخارجية، وفي الرد على بعض الفئات المغرضة، وفي إخماد الفتن الداخلية، مثل فتنة ابن رفادة، وحركة الأدارسة.

وكان لخطأ اللاسلكي دور في القضاء على حركة الأدارسة إذا لم يتسلم أمير السرية أمر الملك عبدالعزيز بعدم الدخول في حرب مع الإدريسي، لوجود تأثيرات جوية منعت وصول البرقية.

كما استخدم الملك عبدالعزيز اللاسلكي في مجال الصلح، وحل مشكلات الحدود، وفي رعاية شؤون المواطنين، وتحقيق الأمن في ربوع البلاد.

ويختم المؤلف كتابه بذكر بعض سمات التلغراف التي يلخصها في بساطة اللغة، والاختصار والتشفير والسرعة، ويعقبه بإيراد حديث مع الشيخ محمد سعيد عالم أحد مؤسسي الاتصالات اللاسلكية في عهد الملك عبدالعزيز يسوغ فيه اهتمام الملك عبدالعزيز باللاسلكي في ذلك الزمن بأنه كان لحرصه على الاطلاع بنفسه على أخبار كل المناطق والقرى في المملكة العربية السعودية، ولاتخاذ القرارات اللازمة بشأنها بسرعة، وفي الوقت المناسب.

كان اللاسلكي محور إستراتيجيته الجديدة التي تعتمد على الدبلوماسية بدلاً من القوة المباشرة، وعلى الإدارة المركزية بدلاً من قيادة المعارك في ميادين القتال

المؤلفات النادرة عن المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية

عدد من الباحثين مراجعة: قسم التحرير

استهلالة هذا الكتاب بتقديم من مكتبة الملك عبدالعزيز العامة توضح ما تقوم به من دور لاستجلاء معالم تاريخ الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - والمملكة العربية السعودية خلال ما كتب من مؤلفات، وأوائل مطبوعات.

وقد نظمت المكتبة معرضًا لتلك المؤلفات، كما أنها تشارك في التظاهرات الثقافية التي تقام في دول العالم المختلفة، تحقيقًا لهذا الهدف، وتأمل المكتبة أن يكون هذا «الإصدار الخاص بالمؤلفات النادرة المنتخبة من مقتنيات المعرض، والتي تمثل محاور تاريخية (تاريخ المملكة العربية السعودية والملك عبدالعزيز، يرحمه الله)، وحضارية (كتب الوصف والرحلات المؤرخة لهذه البلاد)، ودعوية إنسانية (الكتب الحاصرة للدعوة السلفية ونشأتها وتطورها وآثارها).

أما المقدمة التي كتبها المؤلفون فتشير إلى المنهج الموضوعي في اختيار الكتب التي احتواها الإصدار، ويقوم على انتخاب مجموعة كتب تمثل النواحي التاريخية، والحضارية، والدعوية، والإنسانية، في ما يخص المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية.

القسم الأول من الكتاب: بقلم فهد بن عبدالله السماري وعنوانه: «كتب تاريخ المملكة العربية السعودية والملك عبدالعزيز»، وفيه عرض لأهم المؤلفات عن ذلك التاريخ، وهناك مصادر كثيرة عنه، لما لهذه البلاد من مكانة في نفوس العرب والمسلمين وغيرهم، ولما تحمله للملك عبدالعزيز من تقدير واحترام في الميدان المحلي والعالمي لإنجازاته العظيمة في سبيل تأسيس هذا الكيان الحضاري. ويشمل هذا القسم التدوين التاريخي للدولة السعودية والجزيرة العربية من حيث الجغرافية التاريخية، والتراجم والأنساب، والتاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ويشمل التدوين التاريخي شخصية الملك عبدالعزيز وحياته وسياسته وأعماله الكثيرة.

وكان التدوين التاريخي في الفترة السابقة لقيام الدولة السعودية ضعيفًا لفقر المنطقة، وانعدام الاستقرار فيها وتأخرها، «واتجه التدوين التاريخي في تلك الفترة المبكرة إلى التركيز على منطقة نجد، وذلك لأنها شهدت انطلاقة تأسيس الدولة السعودية وامتدادها بعد ذلك إلى مناطق أخرى داخل الجزيرة العربية.

ويعود التدوين التاريخي لمنطقة نجد والدولة السعودية إلى أوائل القرن الحادي عشر الهجري، ولعل تاريخ أحمد بن محمد البسام (ت ١٠٤٠هـ) يعد من أوائل المؤلفات المخطوطات عن تاريخ نجد في القرن الحادي عشر الهجري، ويليه تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور (ت ١١٢٥هـ) الذي يضم تدوينًا لبعض أحداث تاريخ نجد في الفترة من ٩٤٥هـ إلى ١١٢٥هـ.

ومن المصادر التاريخية المبكرة تاريخ محمد بن ربيعة العوسجي (ت ١١٥٨هـ)، وتاريخ محمد بن يوسف الذي يركز على منطقة الوشم، وتاريخ عبدالله بن عضيب (ت ١١٦٠هـ)، وتاريخ محمد بن عباد (ت ١١٧٥هـ)، وتتشابه هذه المؤلفات في منهجها وأسلوبها وفي تركيزها على حوادث منطقة نجد، وفي صغر حجمها، وقلة معلوماتها التاريخية.

وزاد الاهتمام بالتدوين التاريخي بعد ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومن أبرز المؤلفات تاريخ الشيخ حسين بن أبي بكر بن غنام (ت ١٢٢٥هـ) الذي يعد المصدر الأول لتاريخ الدعوة السلفية في وسط الجزيرة العربية، ودَوَّنَ ابن غنام تاريخه في جزأين: الأول باسم: «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام»، والثاني باسم: «كتاب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية».

ويذكر السماري أن من سمات التدوين التاريخي في نجد في الفترة المبكرة التركيز على الأنساب، وتاريخ الأسر، مثل تاريخ حمد بن محمد بن لعبون (ت ١٢٥٥هـ).

من المؤلفات التاريخية الأخرى تاريخ محمد بن عمر الفاخري (ت ١٢٧٧هـ)، وتاريخ عثمان بن عبدالله بن بشر (ت ١٢٩٠هـ) «عنوان المجد في تاريخ نجد»، ويتميز تاريخ ابن بشر من غيره من المؤلفات الأخرى بإيراد سوابق تاريخية حدثت قبل الفترة التي يغطيها، وهو ما يجعله يعد أول موسوعة تاريخية محلية تضمنت أسماء القبائل والعشائر والأعلام والأماكن الجغرافية في منطقة نجد.

ومن المؤلفات اللاحقة لتاريخ ابن بشر تاريخ مطلق بن صالح بن مطلق (ت ١٣٣٢هـ) «شذى الند في تاريخ نجد»، وللشيخ إبراهيم بن محمد بن ضويان (ت ١٣٥٣هـ) كراس صغير فيه اختصار لبعض الحوادث التاريخية والوفيات والغزوات، وتاريخ عبدالرحمن بن محمد بن ناصر (ت ١٣٩٠هـ) «عنوان السعد والمجد فيما استظرف من أخبار الحجاز ونجد»، وأملى ضاري بن



فهيد الرشيد (ت ١٣٣١هـ) على الأديب اللبناني وديع البستاني نبذة تاريخية تضمنت تاريخ الدول السعودية والملك عبدالعزيز، وتاريخ أسرة آل رشيد في نجد.

وشجع قادة الدولة السعودية على التدوين التاريخي، ومن ذلك ما ألّفه الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى (ت ١٣٤٣هـ) بعنوان «عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أواخر القرن الثالث وأول الرابع عشر» استجابة لرغبة الملك عبدالعزيز.

ومن المصادر التي جاء ذكرها في الكتاب مؤلفات سليمان بن صالح الدخيل، وكتاب الشيخ محمد بن عبدالله بن عبدالمحسن آل عبدالقادر «تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد»، وكتاب حسين بن محمد نصيف «ماضي الحجاز وحاضره»، وتاريخ مقبل بن عبدالعزيز الذكير، وكتاب الأمير سعود بن هذلول «تاريخ ملوك آل سعود»، و«تاريخ الشيخ إبراهيم بن عبيد بن عبدالمحسن آل عبيد «تذكرة أولي النهي والعرفان بأيام الله الواحد الديان وذكر حوادث الأزمان».

ويشير السماري إلى أن التدوين التاريخي لم يقتصر على المؤرخين المحليين، وإنما تعداه إلى المؤرخين والمهتمين من خارج المنطقة، وذكر منهم أمين الريحاني، ومحمد عمر رفيع، وأحمد علي، والصحفي السوري محمد سلاح، كما نشرت الحكومة السعودية إصدارًا خاصًا لشرح بعض المسائل السياسية.

ومن المؤلفات التي تتناول مسائل محددة في تاريخ المملكة كتاب «الوهابيون والحجاز» لمحمد رشيد رضا.

ووضع بعض من عملوا مع الملك عبدالعزيز مؤلفات تاريخية مثل كتاب «جزيرة العرب في القرن العشرين» و«خمسون عامًا في جزيرة العرب»، وهما لحافظ وهبة، ووضع

كان التدوين التاريخي في الفترة السابقة لقيام الدولة السعودية ضعيفًا لفقر المنطقة وانعدام الاستقرار فيها

فؤاد حمزة عدة مؤلفات منها: «قلب جزيرة العرب»، و«البلاد العربية السعودية». ولخير الدين الزركلي كتاب «شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز».

ومن أبرز الغربيين الذين وضعوا كتبًا عن تاريخ المملكة جون فيلبي، وديكسون، وكارل ألفونسو نالينو، وريتشارد سانجر، وجيرالد دي جوري.

الملك عبدالعزيز

وقد عبر كثيرون عن إعجابهم بالملك عبدالعزيز بوضع كتب تتناول تاريخه وشخصيته، ومن هذه الكتب: ما دونه هارولد أرمسترونج HAROLD ARMSTRONG في عام ١٩٢٤م بعنوان: LORD OF ARABIA: IBN SAUD, AN INTIMATE STUDY OF A KING، ولأمين الريحاني كتاب IBN SA'OUD، ونشر كينيث ويليامز في عام ١٩٣٣م كتاب:-IBN SAUD: THE PU RITAN KING OF ARABIA، ومن المؤلفات العربية «سيد الجزيرة العربية» لمؤلفه عمر أبو النصر، و«ابن سعود» لمصطفى الحفناوي، و«لمحة من سيرة الملك عبدالعزيز» لمحيي الدين رضا، و«الملك عبدالعزيز آل سعود والمملكة العربية السعودية» لعبدالله حسين، و«العادل: صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود بطولته سر عظمته» للسيد عبدالحميد الخطيب، وبعد وفاة الملك عبدالعزيز ظهرت مؤلفات عن شخصيته وجهوده مثل كتاب: «إنسان الجزيرة: عرض جديد لسيرة الملك عبدالعزيز آل سعود» لإبراهيم عبده، ووضع فيلبي عددًا من الكتب أهمها: ARABIAN JUBILEE، ولبنوا ميشان BENOISH-MECHIN كتاب باللغة الفرنسية، تناول فيه حياة الملك عبدالعزيز وتاريخ الدولة السعودية.

كتب الرحلات والحرمين الشريفين

والقسم الخاص بكتب الرحلات والحرمين الشريفين بقلم عبدالله بن إبراهيم العسكر، يشير فيه إلى أن المتتبع لما كتبه الرحالة المسلمون والغربيون عن الجزيرة العربية في عمومها والمملكة العربية السعودية في خصوصها يجد كمًا هائلاً من المعلومات الثرية، والملاحظات الجيدة، والتحليل العميق.

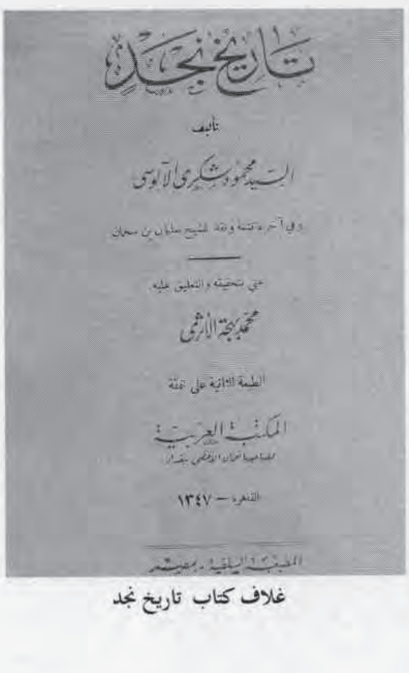
وهو يقول: إن «ما كتب عن الجزيرة العربية، وخاصة الأماكن المقدسة فيها، نتيجة



المؤلفات النادرة عن المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية
(نماذج مختارة)

فهد بن عبدالله السماري
عبدالله بن إبراهيم العسكر
عبداللطيف بن محمد الحميد

الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤١٦هـ، ٢٠٦ ص.



غلاف كتاب تاريخ نجد

لتلك الرحلات، أو ما صدر من كتب دينية متعلقة بالحرمين الشريفين، أو المدينتين المقدستين يعتبر أكثر مما كتب عن أي جزء آخر على وجه الأرض».

وتناول هذا القسم كتابات الرحالة العرب والمسلمين، وما وصفه الرحالة الغربيون، وكذلك الكتب والمؤلفات التي تتحدث عن الحرمين الشريفين، مع عرض نماذج مختارة من المؤلفات النادرة.

الرحالة العرب والمسلمون:

يعد الرحالة اليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ) صاحب «كتاب البلدان» أول رحالة مسلم قام بتسجيل ملاحظات شخصية عن البلاد التي زارها ، وقد قدم وصفًا لمكة المكرمة، والمدينة المنورة. وزار ناصر خسرو (٣٩٤ - ٤٨١هـ) مناطق متعددة من الجزيرة العربية، وتحدث بإسهاب عن مكة والمدينة. وزار ابن جبير (٥٤٠ - ٦٤١هـ) عدداً من المدن والبلدان في الجزيرة العربية، تلاه ابن بطوطة (٧٠٣ - ٧٧٩هـ).



غلاف كتاب PILGRIMAGE TO MECCA

وسجل محمد بهجة البيطار (١٣١١ - ١٣٩٦هـ) رحلته إلى الجزيرة العربية في كتاب أسماه «الرحلة النجدية الحجازية»، وليوسف ياسين مؤلف بعنوان «الرحلة الملكية»، ومن أهم الرحلات رحلة أمين الريحاني (١٢٩٣ - ١٣٥٩هـ)، ورحلة الصحفي المصري محمد شفيق مصطفى (١٢٣٨ - ١٣٢٠هـ)، وطبعت في كتاب بعنوان: «في قلب نجد والحجاز»، وسجل أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة انطباعاته في كتاب «مشاهداتي في جزيرة العرب».

الرحالة الأجانب

بدأت رحلات الرحالة الغربيين إلى جزيرة العرب من نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وانتهت في النصف الأول من هذا القرن، ومنهم من وصل إلى الديار المقدسة، وكانت لهم أهداف متباينة.

ومن الرحالة الذين كتبوا عن الجزيرة العربية لودفيكو دي فارثيما وتسمى باسم الحاج يونس، والبريطاني جورج بيتس، والدانماركي كرستين نيبور، وهو أول من أطلق اسم عبدالوهاب على الدعوة السلفية وصاحبها، ورينو مساعد القنصل البريطاني في البصرة، ووصل إلى الدرعية عام ١٧٩٩م، ودومينجو باديا لبيش الذي تظاهر بالإسلام، وتسمى علي بك العباسي، وكان يعمل لصالح نابليون، وشارك شريف مكة في غسل الكعبة، وجيوفاني فيناتي الذي اعتنق الإسلام، وانخرط في الجيش الألباني.

ومن الرحالة الذين يأتي ذكرهم: جوهان لودفيج بوكهارت، وتوماس كيث، وجورج سادلير، وموريس تاميزيه، وجورج أوجستيس والين، وريتشارد برنون، ووليم جيفورد بلجريف، وكارلو جرماني، ولويس بلي، وتشارلز مونتاج داوني.

أما أول عائلة غربية تزور الجزيرة العربية فهي عائلة بلنت، وضمت ويلفرد وزوجته آن.

ومن أكثر النصارى معرفة بمكة والحجاز الرحالة الهولندي كريستيان سنوك هورخرونيه، ومن الذين استقروا في شمال الجزيرة العربية التشيكي إلويس موزل الذي استقر وتجول مع قبيلة الرولة مدة ثماني سنوات، ومن الرحالة السياسيين وليم آرفن شكسبير، أما هاري سانت جون فلبي فأشهر إسلامه، وتسمى باسم الحاج عبدالله فلبي، ومكث في المملكة العربية السعودية مدة تزيد على أربعين سنة.

كتب الحرمين الشريفين

يأتي الرحالة الحجاج من المغرب العربي والأندلس في مقدمة الذين كتبوا عن الحرمين الشريفين. ورصد الشيخ حمد الجاسر نحو سبعين اسمًا من القرن الثالث الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري، وكلهم من الأندلس والمغرب قدموا إلى الحجاز لأجل الحج والزيارة، وتركوا تآليف، بعضها مطبوع، والآخر مخطوط.

ومن الرحالة الحجاج زكريا بن خطاب التطيلي في القرن الثالث الهجري، والعلامة محمد ابن عبدالله بن يحيى في القرن الرابع الهجري، وفي القرن الخامس عبدالوهاب بن محمد القرطبي، وفي القرن السادس محمد بن عبدالله العربي، وفي القرن السابع الهجري محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن الرشيد.

وفي القرن الثامن الرحالة ابن بطوطة، ثم أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي في القرن التاسع، والشيخ محمد بن عبدالقادر الجزيري المصري الحنبلي في القرن العاشر، أما القرن الحادي عشر فشهد عدداً من الرحالة الحجاج منهم: أبو سالم عبدالله بن محمد العياشي الفاسي، صاحب «الرحلة العباسية»، والشيخ أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي صاحب «الرحلة الناصرية»، والشيخ عبدالغني بن إسماعيل النابلسي الدمشقي.

ومن أبرز رحلات القرن الثاني الهجري رحلتا محمد بن عبدالسلام بن عبدالله الناصري الدرعي (ابن عبدالسلام)، وفيهما تسجيل واسع لعلماء عصره. أما في القرن الثالث عشر الهجري، فنجد رحلة محمد بن الطيب بن كيران الفاسي (ابن كيران)، واسم رحلته «الرحلة الفاسية الممزوجة بالمناسك الملكية».

أما أهم مؤلفات الرحالة الحجاج في القرن الرابع عشر الهجري فمنها «دليل الحاج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج» لمحمد صادق، و«مشعل الحج»، و«التحفة اليمنية في الأخبار الحجازية» لمحمد اليمني بن علي العنابي الجزائري، وطبع في القاهرة في ١٣١١هـ، و«الرحلة الوهبية إلى الأقطار الحجازية» لأحمد علي الشاذلي، و«مرآة الحرمين» لإبراهيم رفعت باشا، و«الرحلة الحجازية» لمحمد لبيب البتنوني، و«تذكار الحجاز» لعبد العزيز صبري، و«الارتسامات اللطاف في خواطر الحاج إلى أقدس مطاف» للأمير شكيب أرسلان، و«رحلة الحجاز» لإبراهيم المازني.



كتب الدعوة السلفية وبواكير الطباعة

ويتضمن القسم الخاص عن مؤلفات الدعوة السلفية وبواكير الطباعة الذي وضعه عبداللطيف بن محمد الحميد ثلاثة محاور يجمعها موضوع الدعوة السلفية. ويتناول المحور الأول المؤلفات عن دعوة الشيخ محمد ابن عبدالوهاب، وتنوع الإنتاج الفكري والعلمي ليشمل موضوعات في العقيدة والحديث والفقه والسيرة والأدب. ومن أهم المؤلفات في ميدان علوم السلف الصالح تلك التي وضعها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كما أنه وضع مؤلفات في بيان حقيقة الدعوة وأصولها ومنهجها، كما كتب في هذا الميدان تلاميذه، ويمكن تبويب تلك المؤلفات في أربعة أقسام هي: كتب المجموعات، والكتب المفردة، وكتب الشروح، والرسائل الجامعية العليا.

ومن كتب المجموعات: «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية»، و«مجموعة الدرر السنية في الأجوبة النجدية»، و«مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»، و«مجموعة التوحيد النجدية»، و«مجموعة الحديث النجدية»، و«المجموعة العلمية السعودية».

أما الكتب المفردة، فقد شهد عهد الملك عبدالعزيز نشر مجموعة كبيرة من الكتب المخطوطة لعلماء السلف الأوائل، فنشرت عشرات الكتب من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن قدامة، وابن رجب، والبهوتي، أسهم في تحقيقها علماء المملكة ومصر والشام، وساهم في تمويلها عدد من المحسنين، أمثال محمد سرور الصبان، وعبدالظاهر أبي السمح، ومحمد صالح نصيف، وعبداله السويل، وفوزان السابق، وعبدالرحمن بن حسن القصيبي وغيرهم.

أما كتب الشروح فتضم منها المكتبات السعودية نماذج متعددة، مثل: «شرح الطحاوي في العقيدة السلفية» لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت ٣٢١)، و«منار السبيل في شرح الدليل على مذهب الإمام أحمد بن حنبل» لمؤلفه إبراهيم بن محمد سالم بن ضويان، و«التحفة المهدية شرح التدمرية»، و«الإلمام بشرح عمدة الأحكام».

أما الرسائل الجامعية التي اهتمت بالدعوة السلفية، فقد تعرضت تلك الرسائل لفكر الدعوة، وحياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتاريخه، وكذلك الآثار التي ترتبت على الدعوة وانتشارها.

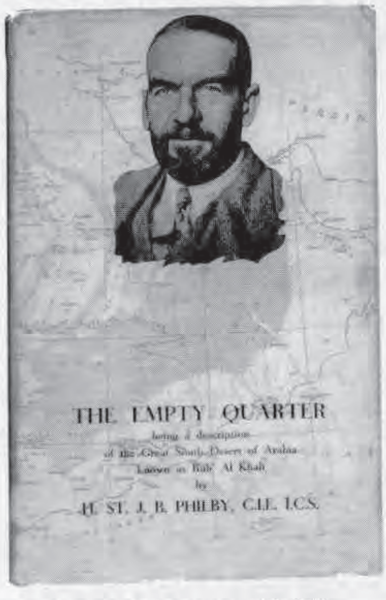
وفي الميدان الثالث قام علماء الدعوة بكتابة الردود على المناوئين للدعوة وخصومها، ومن هذه الردود ما هو مخطوط، ومنها ما هو مطبوع.

ويدور المحور الثاني حول كتب التراث والدعوة التي نشرت على نفقة الملك عبدالعزيز إذ قاد - يرحمه الله - إلى جانب معارك توحيد البلاد سياسيا وعسكريًا، معركة نشر الفكر والثقافة، ونشر كتب مختارة من التراث الإسلامي، ومن مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وعلماء الدعوة. وقد تتبع خير الدين الزركلي، وعبدالعزيز الرفاعي جهود الملك عبدالعزيز في هذا الميدان، ويبلغ عدد الكتب التي موّل الملك عبدالعزيز طباعتها وتوزيعها نحو مئة عنوان تقريبًا. وتوزعت هذه العناوين بين كتب التفسير والفقه وأصوله والحديث والتوحيد والعقيدة والتاريخ والردود.

أما المحور الثالث عن بواكير الطباعة، ففيه لمحة عن تاريخ دخول الطباعة إلى الجزيرة العربية، ثم نماذج من المطبعات في الهند، التي طبعت فيها الكتب السلفية مثل مطبعة ديرسات، والمطبعة المصطفوية في بومباي، والمطبع الأنصاري في دهلي، والمطبع المجتبائي في دهلي، ومطبع القرآن والسنة في أمرتسر مع ذكر لأهم الكتب التي طبعت في كل منها.

ويعقب ذلك ذكر لما قامت به بعض دور النشر في مصر من دور في خدمة تراث السلف، ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مع ذكر الجهود البارزة للشيخ رشيد رضا، ومطبعة المنار، إضافة إلى قائمة بأهم المؤلفات التي نشرتها المنار.

ويشير الحميد في نهاية هذا القسم إلى أن هناك كتبًا دوّنها رحالة ومستشرقون عن الدعوة السلفية أمثال سادلير وبوكهارت وداوتي، و«كانت الانطباعات التي خرج بها غالبية الرحالة وسواهم من بقية المسلمين هو مسألة محاربتهم تقديس الأولياء، والتبرك بالأضرحة، وتشددهم ضد البدع السائدة في ذلك العصر».



غلاف كتاب THE EMPTY QUARTER

عبر كثيرون من العرب والأجانب عن إعجابهم بالملك عبدالعزيز بوضع كتب تتناول تاريخه وشخصيته



غلاف كتاب NORTHERN NAJD

مكتبة الملك عبدالعزيز الخاصة

فهد بن عبدالله السماري   مراجعة: قسم التحرير

ينبه المؤلف فهد بن عبدالله السماري في مقدمة هذا الكتاب إلى أهمية تركيز البحث والدراسة على تاريخ الملك عبدالعزيز والمملكة العربية السعودية، وهو - هنا - يتناول مكتبة الملك عبدالعزيز الخاصة لكونها تكشف عن علاقته - يرحمه الله - الراسخة بالعلم، وجهوده العظيمة من أجل نشره وتشجيعه.

قام المؤلف باستعراض ما تضمه هذه المكتبة من كتب، وتصنيفها من الناحية الموضوعية بهدف دراستها دراسة عامة، مكتفيًا باختيار نماذج من هذه الكتب، ثم قسم إصداره ثلاثة أقسام موضوعية: الأول يتعلق بموضوع رعاية الملك عبدالعزيز للعلم والمعرفة من خلال جهوده الملموسة في طباعة الكتب على نفقته الخاصة، وتشجيعه المتواصل للمطابع داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. بينما يتناول القسم الثاني دراسة لنماذج من الإهداءات والتوقيعات الشخصية التي سجّلها عدد من الكتّاب العرب والمسلمين، وفي القسم الثالث استعراض لنماذج من نوادر الكتب، وأوائل المطبوعات الموجودة في مكتبة جلالته الخاصة.

الدولة السعودية ونشر الدعوة الإسلامية

ويفتتح المؤلف حديثه عن المؤلفات التي طبعت على نفقة الملك عبدالعزيز بأبيات للشاعر أحمد عبيد من دمشق، مطلعها:

أعدت للعرب مجدًا عزّ شاهقه
وقمت تنشر من علم وعرفان

ثم يذكر ارتباط الدولة السعودية منذ دورها الأول بنشر الدعوة الإسلامية، إذ تبنى الإمام محمد بن سعود دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية الرامية إلى تصحيح العقيدة وتخليصها مما شابها من بدع وخرافات.

وقام الملك عبدالعزيز بتأسيس الدولة السعودية، وتوحيد أجزائها على الأسس نفسها، ومع انشغاله بالجوانب السياسية والعسكرية إلا أنه قاد حركة إحياء التراث، ورعاية العلم والعلماء، متبعًا نهج السلف في اهتمامه وحرصه على التفقه في شتى صنوف المعرفة، ونشر المعرفة الدينية الصحيحة، وطبع عدد من المصادر الإسلامية المعروفة على نفقته مع ما كان من ضعف الإمكانات المادية في تلك الفترة المبكرة من تأسيس الدولة.

ويحصي المؤلف سمات الكتب التي طبعت على نفقة الملك عبدالعزيز، ويحددها في: التركيز على كتب أعلام السلف مثل ابن حنبل، وابن قدامة، وابن تيمية، وابن القيم وغيرهم، وتنوع موضوعاتها فشملت العقيدة، والتفسير، والفقه، واللغة العربية، وآدابها والتاريخ الإسلامي، والجغرافية والأنساب وغيرها، ونشر كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتلامذته. وتعددت المطابع التي قامت بطباعة هذه الكتب، إذ طبعت في القاهرة، والهند، ودمشق، ومكة المكرمة، ويذكر السماري أسماء بعض الكتب، وأسماء المطابع التي طبعتها.

وتشير مقالة «الملك عبدالعزيز والكتاب» المنشورة في هذا العدد إلى عدد كبير من الكتب التي طبعت على نفقة الملك عبدالعزيز، يرحمه الله.

أما الجزء الخاص عن المؤلفات المهداة، إلى الملك عبدالعزيز، فقد بدأه المؤلف بأبيات الشاعر الفلسطيني سليم أبو الإقبال اليعقوبي، ومنها قوله:

إن عبدالعزيز يجتذب العر
ب إليه بعدله المعهود

إهداءات مطبوعة ومخطوطة

وقد دون العلماء والمفكرون العرب والمسلمون الذين أهدوا كتبهم إلى الملك عبدالعزيز إعجابهم به وبإنجازاته، و«الإهداءات الموجهة للملك عبدالعزيز، والتي سطرها المؤلفون على صفحات مؤلفاتهم وأغلفتها التي هي نتاج عقولهم وتجاربهم، تعد من أمثل الشهادات العربية والإسلامية لمؤسس المملكة العربية السعودية، وباني الدولة العربية الحديثة القائمة على المنهج الإسلامي الواضح، وللدولة السعودية بحكم ريادتها في الجوانب الدينية


مقدمة تحفة الأحوذي
شرح
جامع الترمذي
تأليف
الفقيه الكبير المحدث الشهير الأستاذ الإمام
أبي العلي محمد عبدالرحمن المباركفوري
المتوفى سنة ١٣٥٣هـ
طبعت على نفقة

غلاف كتاب مقدمة تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي

والسياسية والحضارية».

وبتنوع جنسيات مؤلفي الكتب المهداة للملك عبدالعزيز، ومنهم عرب مهاجرون إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وأمريكا اللاتينية. وبعض هذه الإهداءات مطبوع، وبعضها الآخر خطي، ومن الإهداءات المطبوعة ما هو مختصر جداً، كأن يتضمن اسم الملك وصورة فوتوغرافية له كما في كتاب إمام شافعي أبو شنب «في بيت الله الحرام» المطبوع في القاهرة في عام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م. أما أحمد شيخ خميس في كتابه «أماني الشباب» فقد عبر عن تقديره لبطولات جلالته، وإنجازاته العظيمة بكلمة مختصرة مع صورة لجلالته. أما د. محمد عبدالله ماضي فضمن كتابه «الدولة السعودية» تحية إلى جلالته بمناسبة زيارته التاريخية لمصر، ووصف فؤاد شاكر جلالته في كتابه «أدب القرآن» بحارس الشريعة الإسلامية، ومحيي السنة المحمدية. أما الإهداء الخاص من أحمد عبدالغفور عطار إلى الملك عبدالعزيز في كتاب «محمد بن عبدالوهاب» فقد جاء فيه: «إنك قد أعدت للإسلام عزته، وللدين مجده، وللشعب العربي عظمته، وجعلت كلمة الله هي العليا».

ومثل هذه العبارات المعبرة عن تقدير أصحابها لجلالته نجدها في كتب



غلاف كتاب بدر التمام في شرح ديوان أبي تمام

أخرى مثل: «أدب الربيع» لجميلة العلايلي، و«رجالات العرب» ليوسف غانم، و«الجمهورية السورية» لعبدالرحمن الرواس، و«تاريخ الخط العربي وآدابه» لمحمد بن طاهر بن عبدالقادر الكردي، و«الخبير: دليل التجارة والصناعة في الشرق الأدنى» لمؤلفه ط. فارس نصر، وقد أفرد ثلاث صفحات للإهداء الذي كتبه لجلالة الملك عبدالعزيز، وفي كتابه الآخر «انقذوا فلسطين العربية» قدم المؤلف نفسه شكره لجلالته على مواقفه المشرفة تجاه قضية فلسطين. وضمن الشاعر الفلسطيني عبدالعزيز التميمي ديوانه «أروع الأناشيد الوطنية» قصيدة كان قد ألقاها بمناسبة زيارة الملك عبدالعزيز لمصر، وأهدى مؤلف كتاب «اللغة والتجدد» عبدالقادر الكرماني أبياتًا شعرية إلى الملك عبدالعزيز، وخصص الشاعر ليان سليمان أبو خاطر مقدمة كتابه «الدر المكنون في منظومات أبو ليون» للتعبير عن إعجابه بشخصية الملك عبدالعزيز.

أما الإهداء الذي جاء في كتاب «إندونيسيا الثائرة» الذي أصدره المركز العام لجمعيات استقلال إندونيسيا بالقاهرة بمناسبة مرور عام على استقلال إندونيسيا فبين دعمه المتواصل - يرحمه الله - للمسلمين في كل مكان، وأهدت الجامعة الأمريكية بالقاهرة كتاب «نظام التربية في أميركا» لجلالته بمناسبة زيارته لمصر، وسطر محيي الدين رضا إهداءً في كتابه «في الحجاز» يعبر فيه عن تقديره للملك عبدالعزيز، وما حققه من أمن في الحجاز يفاخر به العرب والمسلمون. وبمناسبة مرور خمسين عامًا على توليه - يرحمه الله - الحكم أعد عبدالحميد الخطيب كتيبًا موجزًا أهداه للملك عبدالعزيز.

أما الإهداءات الخطية فقد سطرها المؤلفون في المناسبات المختلفة، وفي كتب في شتى التخصصات والفنون. وتعددت الصفات التي وصف بها الملك عبدالعزيز في هذه الإهداءات،



مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة

فهد عبدالله السماري

الرياض: إصدارات دارة الملك عبدالعزيز للوثائق والمخطوطات والبحوث والدراسات، مطابع الحياة، ٢٦٥ ص.

الإهداءات الموجهة للملك عبدالعزيز من أمثل الشهادات العربية والإسلامية لمؤسس المملكة ولدولته التي صارت لها ريادتها في الجوانب الدينية والسياسية والحضارية

فهو ناصر الدين، ومؤيد المبادئ الإسلامية، وحام لها، وجاء مثل هذا الإهداء في الكتب ذات الصبغة الدينية مثل كتاب «نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم» لمحمد الخضر حسين»، و«الحداد على امرأة الحداد» أورد الخطأ والكفر والبدع التي حواها كتاب «امرأتنا في الشريعة والمجتمع» لمحمد الصالح بن مراد، و«رسالة الشرك ومظاهره» لمبارك محمد الميلي، و «إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات» لمحمود محمد خطاب السبكي، و«محة في التشريع المقارن» لفخر الدين أسعد الصاحب، و«الزواج في الإسلام وما يثار حوله من شبهات خاطئة» لأسعد لطفي حسن، و«مقدمة تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي» لأبي العلي محمد عبدالرحمن المباركفوري، و«التجديد في طرق الخطابة والوعظ الديني» لأحمد علي ملوك، و«الدراري المضية: شرح الدرر البهية» لمحمد بن علي الشوكاني.

كما عبر عدد من الأدباء والكتاب العرب عن تقديرهم لجلالة الملك عبدالعزيز، يرحمه الله، بإهدائه مؤلفاتهم التي زينوها بأوصاف مختلفة لجلالته، فوصفه ملحم إبراهيم الأسود بقبلة أنظار العرب، وسيد العروبة، وحامي حماها، وذلك في كتابه «بدر التمام في شرح ديوان أبي التمام»، ووصفه مؤلف كتاب «الصحة والقوة في تربية الجسم والنفس» بشير رأفت شريف بأنه «أبعد عن المسلمين الشرك وعبادة الأحجار والأضرحة»، وفي كتاب «الزراعة الحديثة بالمملكة العربية السعودية» للخبير الزراعي المصري حسين محمد بدوي تقديم الأمين العام لجامعة الدول العربية آنذاك عبدالرحمن عزام باشا، ومن كتب الأدب والثقافة المهداة إلى الملك عبدالعزيز «الجراح» لجورج غريب، و«يليان في الأندلس» لأحمد عبدالمنعم عبدالسلام، و«لا هوادة» لعمرفاخوري، و«حواء الخالدة» لمحمود تيمور.

من أدباء المهجر

أما الكتب المهداة من أدباء المهجر في الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا والبرازيل وغيرها فكثيرة جداً، ومن أغرب الإهداءات ـ كما يقول المؤلف ـ كتاب «الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية» للأمير شكيب أرسلان، الذي أهداه إلى الملك عبد العزيز الكاتب الجزائري المهاجر إلى فرنسا الشيخ محمد صالح بن ضيف الله العربي الهلالي الجزائري، وكان قد وجده عند وراق أرمني بباريس في عام ١٣٦١هـ.

ومن المؤلفات الأخرى المهداة من أدباء المهجر، «الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف» لشكيب أرسلان، و«الفجر الدامي أو تاريخ الحرب العالمية الثانية» من داود الضاهر، وهو مصري هاجر إلى البرازيل، و«على ضفتي نهر الأردن» لنجيب قسطنطين حداد، و«خيالات» لرياض معلوف، وهما لبنانيان هاجرا إلى البرازيل.

أما «لبناننا الجميل» فأهداه مؤلفه بطرس دهمان، وهو لبناني هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية إلى الملك عبدالعزيز، وأهدت أرملة الشاعر اللبناني محبوب الخوري الشرتوني وابنتاه كتاب «ديوان محبوب الخوري الشرتوني» إلى الملك عبدالعزيز، وذلك بعد وفاة الشاعر في المكسيك.

وشاركت المؤسسات العلمية، والجمعيات الخيرية في إهداء الكتب إلى الملك عبدالعزيز. فالمجمع العلمي العربي بدمشق أهداه ـ يرحمه الله ـ إصداره الخاص «المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري»، وقد وقعه رئيس المجمع محمد كرد علي.

وأهدى معهد الدراسات العربية في نيويورك لجلالته المذكرة التعريفية بأنشطته وميزانيته الصادرة في عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م، وأهدته الجمعية الخيرية الإسلامية بيان أعمالها في الفترة من أول جمادى الأولى ١٣٥٦هـ إلى ٢٠ جمادى الأولى ١٣٥٨هـ، كما أهدته الجمعيات المحلية تقاريرها السنوية، مثل جمعية الإسعاف.

التاريخ والسياسة

ومن المؤلفات المهداة فيما يتعلق بالتاريخ والسياسة كتاب «ري سامراء في عهد الخلافة العباسية» لأحمد سوسة، و«مختصر التاريخ العام من بدء الخلافة الآدمية إلى عصر سيد الأنام» لمحمد إبراهيم لطفي المصري، و«قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور» لمحمد جميل بيهم، و«السياسة المالية السليمة في عهد الوزارة الهاشمية الثانية» لرؤوف البحراني، و«١٠٠ يوم فوق الأنقاض» لمحمد علي العريان، و«الوحدة العربية» لفهمي صدقي المعري ومحمد نسيب عويدات، و«الخطر الذي يهدد العالم والحرب الثالثة» لتوفيق حسين، و«واجب النائب» لمنير الشريف، و«الشيوعية عدوة العرب والإسلام» لحسين فهمي الخزرجي، و«من هو؟» لمحمد شكري العزاوي، و«ذكرى الأمير شكيب أرسلان» لمحمد علي الطاهر، و«الفنون الصناعية: فن التسوية آلات إنشاء الماكينات» لعاطف أديب المالح، و«اللباب في الإشباب» لشوكت موفق الشطي، و«الدرة البهية في منافع الأبدان الإنسانية» لابن البيطار.

وتحتوي مجموعة الملك عبدالعزيز



غلاف كتاب حواء الخالدة



الخاصة على مؤلفات تتضمن إهداءات موجهة إلى شخصيات أو مؤسسات أخرى، مثل إهداء السفير الأمريكي في جدة ويليام أدي كتاب «روزفلت» لمؤلفه فؤاد صروف إلى الأمير سعود بن عبدالعزيز.

كما اشتملت بعض المؤلفات على إهداءات عامة مثل كتاب «مرآتي» لحسن فهمي الموجه إلى مكتبة من المكتبات العامة بالرياض، أو كتاب «وظائف أعضاء النبات» لمحمد جميل عبدالحافظ المهدى لدائرة التعليم العالي بالحكومة السعودية.

مؤلفات نادرة

وأفرد المؤلف صفحات للمؤلفات النادرة الموجودة في مكتبة الملك عبدالعزيز التي تتميز بالتنوع في الموضوعات. ومن تلك المؤلفات التي ذكرها: «كليلة ودمنة» لابن المقفع، وأخبار الدول وآثار الأول في التاريخ» لأحمد بن يوسف بن أحمد القرماني، و«منهاج العابدين إلى الجنة» لأبي حامد الغزالي، و«صحيح البخاري» وهو طبعة حجرية في عدة أجزاء، و«ديوان الأديب الأريب إمام الفصاحة والبلاغة أبي تمام حبيب بن أوس الطائي»، و«الروضة الندية شرح الدرر البهية» لصديق بن حسن بن علي الحسيني القنوجي، و«جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» لنعمان خير الدين بن السيد محمود أفندي، و«محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر» لعلاء الدين علي دده السكتواري البسنوي، و«المواكب العلية في توضيح الكواكب الدرية في الضوابط العلمية» لعبد الهادي نجا الأبياري، و«الإتقان في علوم القرآن» لجلال الدين السيوطي»، و«سنن الدارقطني» للإمام الحافظ علي بن عمر الدارقطني، و«البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر» لمحمود فهمي المهندس، و«تقطير الأنام في تعبير المنام» لعبد الغني النابلسي، و«التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» لسليمان ابن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، و«مختصر الباري بترجمة صحيح البخاري» و«القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد» لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، و«العقد الفريد» لشهاب الدين أحمد بن عبد ربه الأندلسي، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» للمبارك بن محمد بن محمد بن الأثير الجزري، و«زاد المعاد في هدي خير العباد» لشمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن القيم، و«مجموعة فتاوى شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية»، و«الفتاوى الحديثة» لأحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمي، و«مبارق الأزهار في شرح مشارق الأنوار» لرضي الدين الحسن بن محمد ابن الحسن الصغاني، و«الرحلة الحجازية» لمحمد لبيب البنتوني، و«تاريخ نجد» لمحمد شكري الآلوسي، و«مختصر المقنع في فقه الإمام أحمد ابن حنبل» لشرف الدين أبي النجا، و«تاريخ نجد الحديث وملحقاته» لأمين الريحاني، و«في قلب نجد والحجاز» لمحمد شفيق أفندي مصطفى، و«وحي الصحراء: صفحة من الأدب العصري في الحجاز» لمحمد سعيد عبدالمقصود وعبدالله عمر بلخير، و«السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة» لشكيب أرسلان، و«علم تقويم البلدان» لعبدالله الطاهر الساسي، و«سؤدد الإسلام باتباع سيد الأنام» لأحمد الإمام الرفاعي العنداني، و«تقرير البعثة الأمريكية الزراعية التي أوفدت إلى المملكة العربية السعودية»، و«المعلومات العسكرية» لمحسن الطيب، و«تحية للحبيب صلى الله عليه وسلم» للسيد عبدالحميد الخطيب، و«الدين والحج على المذاهب الأربعة» للحاج عباس كرارة، و«من وحي البعثات السعودية» لصالح جمال حريري.

وبعد هذا العرض وضع المؤلف فهرسًا لمكتبة الملك عبدالعزيز الخاصة تضمن عناوين الكتب حسب الموضوع العام.



غلاف كتاب واجب النائب

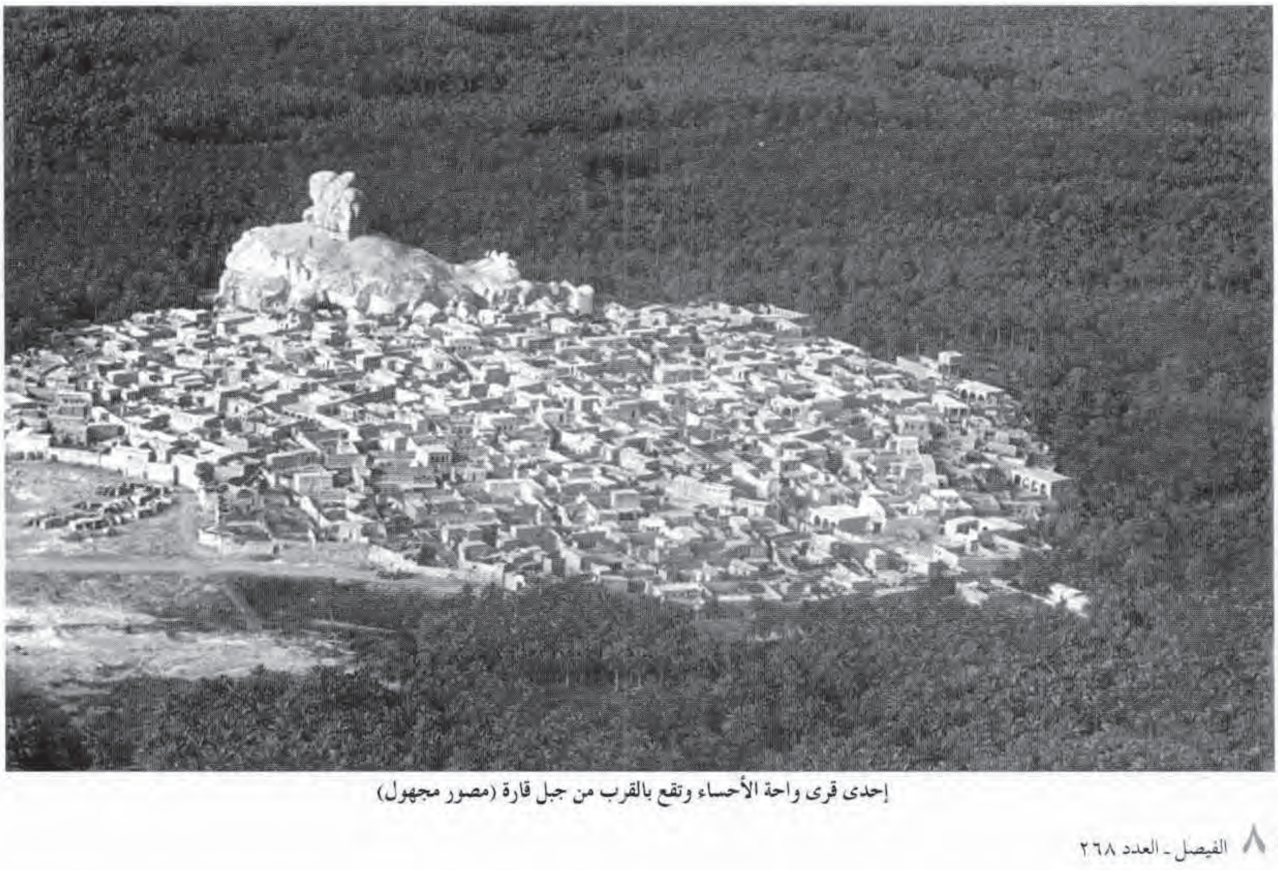
تضم مكتبة الملك عبدالعزيز مؤلفات نادرة في موضوعات شتى لمؤلفين من مختلف البلدان والعصور

المملكة العربية السعودية في عيون أوائل المصورين

وليام فيسي وجيليان غرانت مراجعة: قسم التحرير

يغطي هذا الكتاب الفترة الممتدة من منتصف السبعينيات من القرن الثالث عشر الهجري إلى بداية الثمانينيات من القرن الرابع عشر الهجري (مطلع الستينيات من القرن التاسع عشر إلى نهاية الخمسينيات من هذا القرن)، وهو يعكس أوجه الحياة في تلك الفترة في مناطق المملكة من خلال الصور التي التقطها مجموعة من أوائل المصورين الرحالة، من أمثال محمد صادق، وميرزا وأولاده، وسنوك هورغرونيه، وإبراهيم رفعت باشا، وكليمو، وهالاجيان، وغيرترود بيل، ووليام شكسبير، وتي. أي. لورانس، وهاري سان جون فيلبي، ودو غوري، ورينديل، وثيسيغر، وباتيجيلي، وستاينيكي، وغيرهم من مصوري أرامكو.

الفصل الأول عن «التصوير الفوتوغرافي والمملكة العربية السعودية في سنوات نشأتها عام (١٢٧٧هـ/ ١٨٦١م - ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م)، وكتبه وليام فيسي الذي يشير إلى أن أول صور فوتوغرافية للمملكة العربية السعودية التقطها اللواء المصري محمد صادق في عام ١٢٧٧هـ/١٨٦١م للمسجد النبوي في المدينة المنورة، وبعد سنوات قام بتصوير المسجد الحرام، والمشاعر المقدسة، وذلك في عام ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م، ومع أن هناك



إحدى قرى واحة الأحساء وتقع بالقرب من جبل قارة (مصور مجهول)



مصـورين مسلمين في الحـجاز في تلك الفـــتـــرة، إلا أنـه لم يُعلم شـيء عن أعمالهم حتى الآن.

وقد جذبت منطقة الشرق الأوسط عـددًا من أوائل المصـوريـن الأوربيين، وكانت مصـر وفلسطين وسورية محط اهتـمامهم لما فـيها من آثار، ولما لها من أهمية إستراتيجية لبريطانيا وأوربا، كما جذبت إسطنبول المصورين، ولكن جاء الانتشار الواسع للتصوير الفوتوغرافي في هذه المنطقة في أواخر خمسينيات القرن الميلادي الماضي؛ وأصبح هناك مصـورون مقيـمون، بعد أن راج سوق الصور فـي أوساط السياح، والموظفين، ورجال الجيش التابعين للقوى الأوربية، وأنشـئت الأسـتـوديـوهات للتـصـوير التـــجـاري في الـقـــاهرة، ودمـــشق، والقـدس، وبيـروت، وإسـطنبـول، وفي بور سعيـد بعد افتتاح قناة السويس عام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م.

وعـبـر بعض الرحـالة إلى الجـزيرة العـربيـة، والمناطق المقـدسـة، وكـان أبرزهم ريتشـارد بيرتون الذي زار مكة المكرمـة فـي عـام ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م، وزار تشارلز ديديه الـوجه وينبع وجدة والطـائف عـــام ١٢٧١هـ/١٨٥٤م، وغـامــر بعـضـهـم ووصل إلـى المناطق النـائيـــة عـلى الرغم من صــعـــوبة المواصـلات وخطورة السـفـر في ظل ضـعـف السلطة المركـزية، ومن هؤلاء والين، وبالغريف، وغـوارماني، وبيلي، وداوتي، وبـلنت وزوجـتـــه، وهـوبر والبارون فون نولدا.

وأول مصور أوربي في الحجاز كان كـريستيـان سنوك هوروغـرونيـه الذي تسمى بعبد الغفار بعد اعتناقه الإسلام، وكـان عالمًا في الدراسـات الإسـلاميـة، فصور مناسك الحج، وجوانب من حياة مدينة مكة المكرمة.

وتبعه مصورون سجلوا جوانب من حياة المدن الحـجازية. أما نجد فكانت المرة الأولى التي التقطت فيها صورة في عـام ١٣٣١هـ/١٩١٢م، ولم تلتـقط صـور للأجـزاء الجنوبيـة مـن المملكة إلاَّ



المملكة العربية السعودية فى عيون أوائل المصورين

وليام فيسي وجيليان غرانت

الرياض: مؤسسة التراث، ط٢، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ١٢٨ص



منظر عام للمدينة المنورة (ميرزا وأولاده نحو عام ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م)

مع بداية الأربعينيات من القرن الرابع عشر الهجري.

ويقدم فيسي خلفية تاريخية عن أوضاع البلاد قبل الملك عبدالعزيز وما كان فيها من اضطراب الأمن، وغياب السلطة المركزية، حتى استرد الملك عبدالعزيز الرياض، وبدأ في تأسيس الدولة على مبادئ راسخة مستمدة من الإسلام.

ويشير إلى أن افتتاح سكة حديد الحجاز في عام ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م سهل وصول المصورين إلى الأجزاء الشمالية من شبه الجزيرة العربية، ومن هؤلاء فوردار، وبتلار، وآيلمار، وعالما الآثار الفرنسيان جاوسين وسافيناك، وعالم الطبيعة البريطاني دوغلاس كاروثيرز، وعالم الإنسانيات النمساوي ألويس موسيل، والرحالة البريطانية غيرترود بيل التي قامت برحلة إلى حائل.

ومع إرهاصات الحرب العالمية الأولى ازداد العمل الاستخباري في المنطقة من جانبي بريطانيا وألمانيا، كما أن الحرص على إقامة علاقات مع الأمير عبدالعزيز آل سعود دفع بعض الأوربيين إلى الوصول إلى نجد، ومن هؤلاء الدانماركي باركلي رونكيار والبريطانيون جيرارد ليشمان ووليام شكسبير وهاري سان جون فيلبي، وكان أهم ما واجهه هؤلاء عدم إقبال الناس على التصوير، ونظرات الشك التي كانوا ينظرون بها إليهم، إضافة إلى المشكلات الفنية التي واجهتهم لبدائية آلات التصوير في ذلك الوقت.

وبعد أن ضم الملك عبدالعزيز الحجاز وتحسنت المواصلات والاتصالات إلى حد ما بعد اختراع السيارة، والاتصال اللاسلكي، أصبح الاتصال بين الرياض والمناطق الأخرى أكثر سهولة.

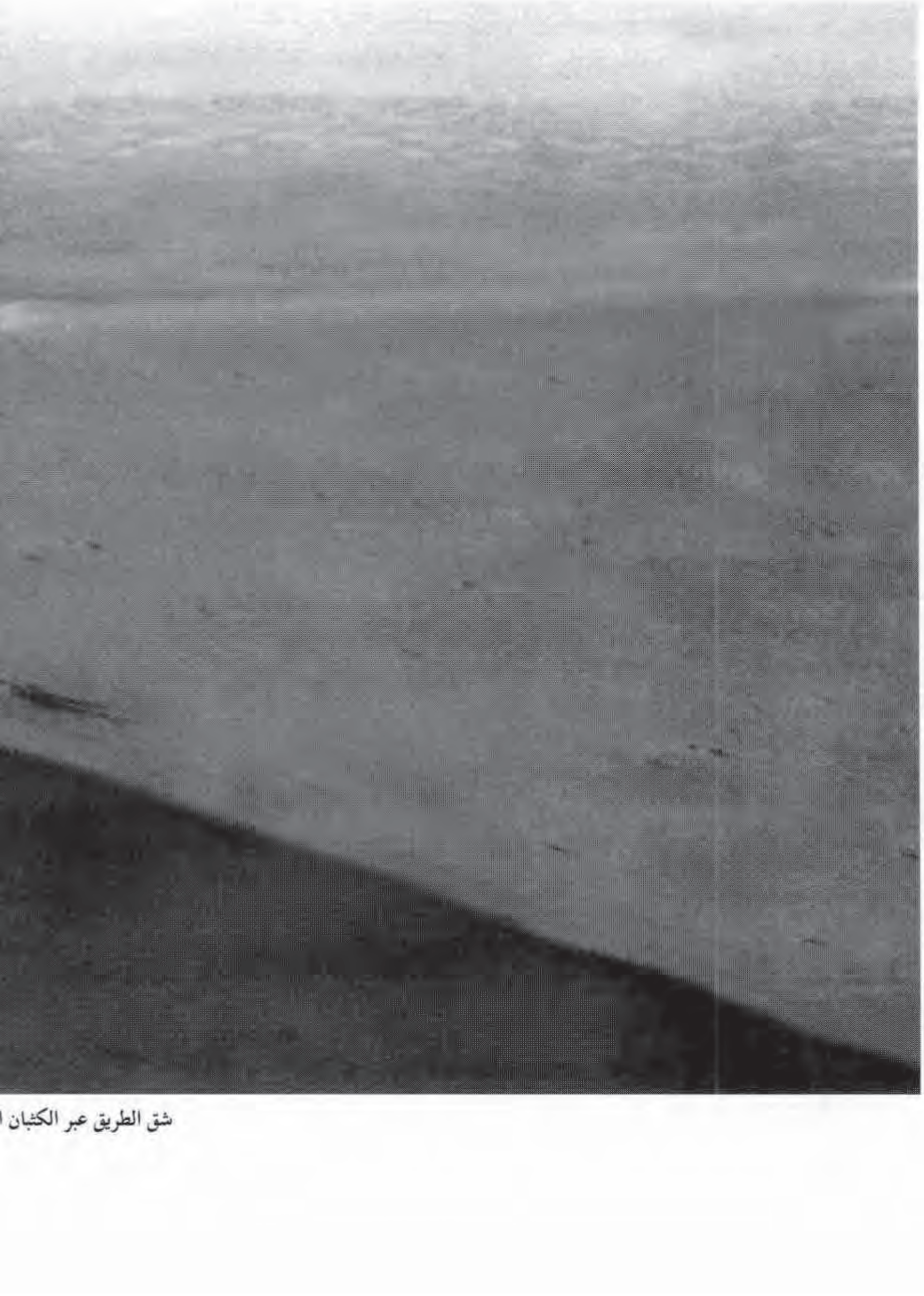
ومن أبرز الذين صوروا مدينة الرياض أمين الريحاني، ومحمد ليبولد فايس (محمد أسد)، وكارل رسوان الذي عاش مع قبيلة الروله بين عامي (١٣٣١ - ١٣٣٣)؛ وجيرالد دي غوري، وأندرو ريان، وريدار بولارد، وجورج ريندل، وهارولد ديكسون.

وقام مصورو أرامكو بالتقاط صور للمنطقة الشرقية، والمناطق الأخرى ومن أبرزهم ماكس ستاينيكي، وفلويد أوليغار، وجوماونتين، وإيلو بايتجيلي، وتي. إف. والترز.

وكان للصور أثر كبير في تغيير تصور الغربيين عن مناطق المملكة العربية السعودية التي كانوا يعتقدون أنها جميعها مأهولة بقبائل البدو الرحل، فأوضحت تلك الصور تنوع أنماط الحياة والعمارة في المملكة.

وهذا التوثيق المصور حظيت به الرياض بدرجة أكبر لمكانتها السياسية، بينما تندر الصور الموجودة عن بعض المناطق.

والفصل الثاني بعنوان «قرن من التصوير خلال قرن من التغير» كتبته جيليان غرانت، وهي تقدم نبذة عن تطور التصوير الفوتوغرافي، وتشير إلى ما قام به اللواء محمد صادق من تصوير طرق الحج ومناسكه في عامي



شق الطريق عبر الكثبان ا



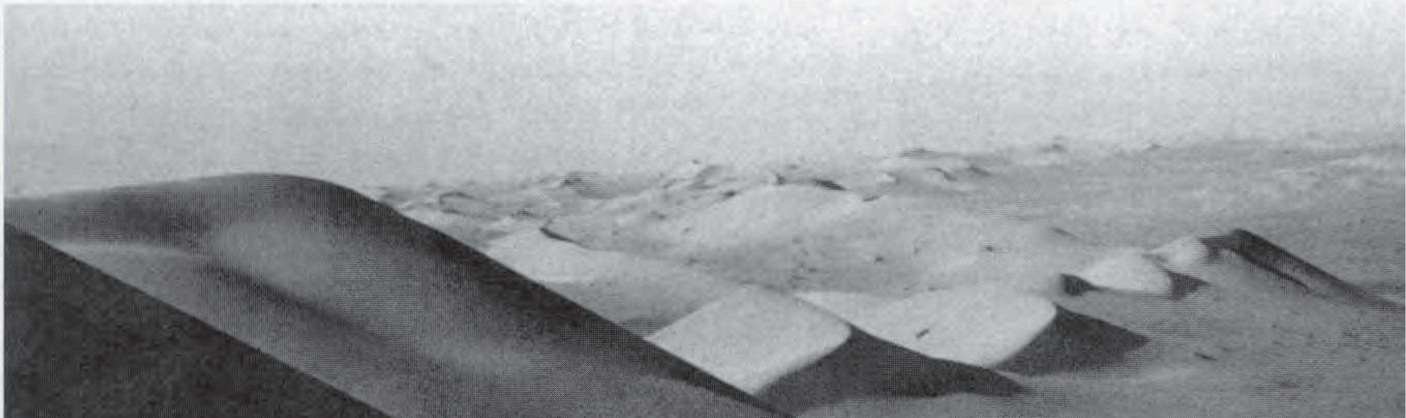


السوق في الوجه (غوزليت ١٣٣٥هـ/١٩١٦-١٩١٧م)

١٢٧٣هـ/ ١٨٦١م و ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م، مستنتجة أنه لم يكن يرمي إلى أغراض دنيوية، وإنما أراد تأليف سجل ديني توثيقي عن أحد أركان الإسلام.

وتزامن اختراع التصوير الفوتوغرافي مع مرحلة الاستشكاف والاستعمار الأوربي، وتزايد اهتمام أوربا بالشرق الإسلامي.

أما الرحالة الذين قاموا برحلات في الحجاز في بداية القرن الثالث عشر فكان عددهم قليلاً، ومن بين هؤلاء المستشرق الألماني سيتزين، ويوهان بوكهارت، وليون روش، وريتشارد



لي إلى الجنوب من قرية الفاو (ثيسيغر ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م)

بيرتون، ونشر كريستيان سنوك هورغرونيه ملفين مصورين ضم الأول مناظر لمكة المكرمة وصوراً لوجهاء المنطقة وكبار الحجيج، «نسب فيه اثنتين من الصور إلى محمد صادق والبقية إلى نفسه وإلى عربي آخر لم يذكر له اسماً قام هورغرونيه بتعليمه التصوير الفوتوغرافي. أما الملف الثاني فأغلب الظن أنه من أعمال المصور العربي المجهول الهوية».

ومع أنه لم يكن هناك مصور تجاري مقيم في الحجاز إلا أن فيوريللو الذي اتخذ من الإسكندرية منطلقًا له قام بتصوير مدينة جدة.

ومع ظهور الآلات الأصغر حجمًا، وازدياد المعالجات الفنية للصور بساطة انتشرت الصحافة المصورة، ومن روادها جول غيرفي وكورتليمون الذي التقط صوراً في مكة المكرمة والمدينة المنورة ضمها كتابه «رحلتي إلى مكة MON VOYAGE a' La MECQUE. والتقط إبراهيم رفعت باشا صوراً لمكة والمدينة المنورة، وقام ميرزا وأولاده في إنتاج نسخ مصورة جيدة لمواقع مناسك الحج لبيعها كتذكارات عن الحج.

ودعا السلطان عبدالحميد عام ١٩٠٨م كورتليمون لتصوير افتتاح خط سكة حديد الحجاز الممتد من دمشق إلى المدينة المنورة. وسجل هذه المناسبة مصورون مسيحيون من بينهم الأرمني هالاجيان.

ومن المصورين الرحالة الذين وصلوا إلى الأجزاء الداخلية لشبه الجزيرة العربية غيرترود بيل التي عبرت صحراء النفود، ووصلت إلى حائل، وشكسبير.

وجندت بريطانيا ضباط مخابرات مثل تي أي لورانس، وهاري سان جون فيلبي في أثناء الحرب العالمية الأولى للعمل في شبه الجزيرة العربية.

وتوغل بعض الرحالة في شبه الجزيرة العربية مثل روزيتا فوربز، وبيرترام توماس، وولفريد ثيسيغر.

وتذكر جيليان غرانت في هذا الفصل أنواع آلات التصوير المستخدمة في كل مرحلة من المراحل التي تناولتها.

وبعد هذا العرض يعطي الكتاب صورة عن مناطق المملكة المختلفة مع شيء من تاريخها، وبعض الصور التي تؤرخ لفترات مهمة من هذا التاريخ.



قلعة شدا في أبها (ثيسيغر ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م)



يوم وملك

عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر مراجعة: **قسم التحرير**

يضم هذا الكتاب مجموعة مقالات كتبها المؤلف بمناسبة حلول اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية في بعض السنوات، وهي ـ كما يقول ـ «لا تحتاج إلى مقدمة فكل مقالة منها تصلح مقدمة للحديث عن هذا الملك الفريد [عبدالعزيز]. وعن هذا اليوم المشهود».

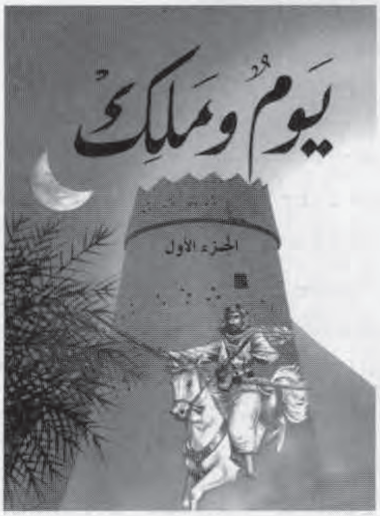
ويضم الكتاب ـ كذلك ـ بابًا لمراسلات الملك عبدالعزيز، وهي ـ كما يقول مؤلفه عبدالعزيز الخويطر ـ «وثائق ناطقة صادقة، فيما تحكيه، وفي ما تصوره من صور ترسم واقع الأمور في تلك الفترة.. والوثائق مصادر ثرة للدراسة من جوانب عديدة، منها ما هو بالغ الأهمية لقوة الوطنية، وربط الحاضر بالماضي، ومعرفة الثمن الغالي الذي أنفق على تكوين هذا الكيان.. ومنها ما هو متخصص في الجوانب المختلفة، ومنها ما هو مهم لمن أراد التمعن في الديباجة، ويقارن واحدة بأخرى، ويستشف ما قد لا يستشفه إلا المثقف».

وقد تضمنت مقدمة الطبعة الأولى تصويرًا لما قام به الملك عبدالعزيز من جهد خارق لاسترداد ملك آبائه، وبناء هذا الكيان على أسس قويمة، مما ينبئ عما تمتع به ـ يرحمه الله ـ من صفات وخصال فريدة.

عوامل النجاح

والمقالة الأولى في هذا الكتاب تحمل عنوان الكتاب نفسه «يوم وملك» ونشرت في صحيفة البلاد في عام ١٣٩٤هـ، ويبدأ فيها الخويطر بالإشارة إلى الظروف الاقتصادية والسياسية الصعبة التي واجهت الملك عبدالعزيز، وهو يخطو أولى خطواته نحو بناء دولته، ثم يذكر ما رآه من عوامل النجاح الذي حققه، وهي صحة تقويمه الرجال، ورجحان العقل عنده على العاطفة، والحنان المتناهي للصديق، والوفاء في كل الأحوال، والتخلق بالخلق الصادق، وشجاعته الباهرة، وقد أعطاه الله مع جسارة الفؤاد بسطة الجسم وقوته، ثم تقديره الطاقة البشرية الثمينة، ومعرفته قيمة الجندي المدرَّب، المُجرَّب، كما كان فيه كره للقتل، وميل إلى تفادي سفك الدماء ما أمكن، ومن صفاته ـ يرحمه الله ـ الذكاء الحاد، والنشاط، والكرم المتعدي الحدود، والوفاء، فكل هذه العوامل ساعدته ـ يرحمه الله ـ على نجاحه في قصده.

وتحت عنوان «الملك عبدالعزيز وجهوده» جاءت المقالة المنشورة في صحيفة البلاد في ٢٧ رمضان عام ١٣٩٦هـ، وفيها يتناول المؤلف المزايا التي ساعدت الملك عبدالعزيز ـ بتوفيق الله ـ على الوصول إلى الهدف، ومن تلك المزايا التي أوردها، الثقة بالنفس، وثقابة الذهن، وصفاء البصيرة، بما مكنه من سبر غور المجتمع في الجزيرة، ودرس حالتها إضافة إلى ما اكتسبه من التجارب التي مر بها، أو مر بها ذووه وغيرهم، وشروعه في تكوين جيش ـ كان وسيلته لخوض المعارك، وقد قرن سببه بالله وأخلص له العمل، كما كان يقظًا لما حوله من سلطات، فأثبت أنه كان مخططًا بارعًا له نظراته المستقبلية، ثم ختم الخويطر تلك المزايا بقوله: «وعبدالعزيز القائد الشجاع، المقدام، أثبت أمام رؤساء العشائر أنه حاكم كفيّ، وأمام رؤساء الدول وحكامها، أنه السياسي البارع، وأثبت لشعبه أنه الملك الذي يستحق حب شعبه».



يوم وملك
عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر
الرياض: مطبعة سفير، ط٣، ١٤١٨هـ، ٣٠٧ص.



صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز

وفي مقالة بعنوان «الملك عبدالعزيز، رحمه الله» منشورة في جريدة عكاظ عام ١٤٠٤هـ، ذكر ميزات كان لها الأثر في نجاح الملك عبدالعزيز في المهمة التي أخذ نفسه بها، بعد أن قدم لمحة عن الوقت العصيب الذي جاء فيه، حيث التطاحن والفرقة والأطماع المستمرة، مع ضعف الإمكانات المادية التي قد تصل إلى حد العدم، ومع ذلك «أتى بما لم يأت به من عندهم إمكانات مادية أكثر من إمكاناته من معاصريه، وأنجز أكثر من غيره، ممن كانت أسباب النجاح السهلة ميسرة لهم».

أما قواعد المجد التي تمسك بها فكانت من أسباب نجاحه - كما يذكر المؤلف - فهي الكرم، والوفاء، والعفو، والتسامح، والحزم، والصدق. ومن دلائل حنكته الحربية حرصه على حقن الدماء، والسير في تنفيذ خطته بأناة وتؤدة، وعدم التأثر بالهزيمة، وإحاطة تحركاته بالسرية، «فلا يدري أحيانًا أقرب الناس إليه عن هدفه»، ومعرفته الرجال وتقديره لمكانتهم، فكان يحسن اختيار قواده، وكان همه تثبيت الأمن، مما جعله يهتم بأصغر الأمور التي تؤثر في رعيته، فاعتمد الشريعة الإسلامية إطارًا لحكمه، مما أراحه من التخبط في الأنظمة المحدثة، فاهتم بأمور التعليم، والمواصلات، والزراعة، والصحة، وغيرها من الشؤون الداخلية، مع اهتمامه بالعلاقات الخارجية للمملكة حتى تبوأت مكانة كبيرة بين دول العالم.

وبالعنوان السابق نفسه «الملك عبدالعزيز، رحمه الله» أعد المؤلف مقالة بمناسبة انعقاد مؤتمر الملك عبدالعزيز الذي نظمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٦هـ.

ويستهل موضوعه بتأكيد أن الهدف الذي سعى إليه الملك عبدالعزيز في مقتبل العمر كان واضحًا، وهو توحيد المملكة في الإطار الذي كونه آباؤه من قبل «أما الوسيلة فحكمتها حالته في المراحل التي مرَّ بها في كفاحه، قوة وضعفًا، وأما المنهاج فتوقف على نوع العدو الذي أراد أن يأخذ حقه منه، أو يدفع شره عنه».

وتوافرت للملك عبدالعزيز مجموعة من ميزات بعضها فطري، وبعضها مكتسب من التجارب التي مر بها، كما كانت معرفته واسعة بحياة الصحراء، بكل ما فيها من عادات، وتقاليد وأعراف، ومنازعات.

وكان هناك قسمان واضحان في ذهنه: قسم الكفاح، وقسم البناء، ولكل منهما طبيعته ووسيلته. «وكان دائما - رحمه الله - يتمثل بهذه الجملة: الحزم أبا العزم أبا الظفرات، الترك أبا الفرك أبا الحسرات».

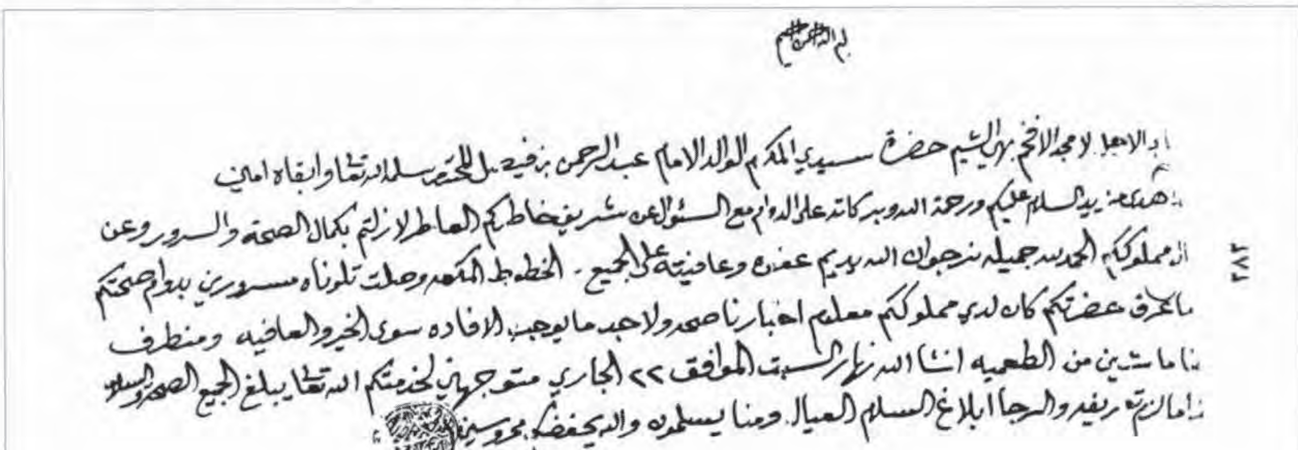
وكانت استعداداته في المعارك متوافقة مع الغرض، ومع ما لديه من عدة وعتاد، وكان توقيتها حسب ما تقتضيه الظروف، وفي كل الأحوال كان جلده وصبره مضرب الأمثال.

ومكنه ذكاؤه من دراسة خصومه، ومعرفة رجاله، وحسم معاركه بأقل الخسارة، كما كان مبدؤه العفو عند المقدرة.

ومن عوامل نجاحه إخفاء تحركاته واعتماده على عنصر المفاجأة، واللجوء إلى التعمية، والتفكير في كل جوانب ما يواجهه من مشكلات، وهيأته التجارب ليكون مستعدًا لمراوغات القوى العالمية. كما كانت المرونة من صفات خطته في توحيد المملكة.

وكان أهم ما يحرص عليه حقوق الناس وفق ما يوحيه الشرع والدين، وحماية الرعية من أي أذى.

وكان - يرحمه الله - يكره النفاق والكذب، وكثير من القصص يدل على كرمه، وحرصه على الاتصاف بالأوصاف الحميدة.



بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأجل الأمجد الأفخم ... حضرة سيدي المكرم الوالد الإمام عبدالرحمن بن فيصل المحترم سلمه الله تعالى وأبقاه آمين

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن شريف خاطركم العاطر لا زلتم بكمال الصحة والسرور وعن

... الحمد لله جميله نرجوا الله يديم عفوه وعافيته على الجميع - الخط ... المكرم وصلت تلوناه مسرورين بدوام صحتكم

... كان لدى مملوككم معلوم أخبارنا ... ما يوجب الإفادة سوى الخير والعافية ...

... من الطعميه إن شاء الله ... السبت الموافق ٢٢ الجاري متوجهين لخدمتكم الله تعالى يبلغ الجميع الصحة والسلامة

... والرجا إبلاغ السلام العيال ومنا يسلمون والله يحفظكم محروسين

٢٠ رمضان ١٣٤٢

رسالة من الملك عبد العزيز إلى والده الإمام عبد الرحمن

وكان مع إمساكه بالأمور كلها في يده منظمًا وقته، قاسيًا على نفسه في ألاَّ يؤخر أمرًا يستطيع إكماله في يومه، مستعينًا برجال أكفاء يستشيرهم في أمور الإدارة، وبدأ يتخلى عن بعض أمور الإدارة لغيره بعد أن توافر عدد من المتعلمين أو المجربين، ولبعض من شب من أنجاله، وأصبح في سن يمكنه من حمل العبء مع والده.

واستطاع أن يقود السفينة خلال الحرب العالمية الثانية إلى بر الأمان، ودارت بعدها عجلة الإصلاح سريعة، فرأى ثمارها قبل وفاته، يرحمه الله.

وفي مقالة منشورة في صحيفة في عام ١٤١٠هـ بعنوان «اليوم الوطني والقفزات» حديث عن عبقرية الملك عبدالعزيز التي كانت تبرز في كل ناحية من نواحي حياته، ثم ينظر الكاتب إلى الإنجازات التي تمت حتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، فيشير إلى أهمها، وهو الأمن الذي ظلل المملكة، وأتاح لها أن تحقق إنجازات كبيرة على المستوى الاقتصادي، مشيرًا إلى ما تنعم به من خدمات ومرافق وطاقات بشرية.

وبعنوان «اليوم الوطني مرصد للتقدم» كانت مقالته المنشورة في صحيفة عكاظ في عام ١٤١٠هـ، ويبدأ بذكر أهمية اليوم الوطني في حياة الأمم، ثم يحصي كل ما تم من إنجاز في التعليم، والصناعة، والعمران، والصحة، ليوجز بأن «الرخاء الذي تعيشه المملكة اليوم - والحمد لله - يدل على ما وصلنا إليه، ومقياسه توفر المسكن، وتوفر الملبس، وتوفر الغذاء، مما يجد معه الوافد إلى بلادنا امتيازًا تختص به المملكة في مناطقها، على تباعدها».

وعن «جهد الملك عبدالعزيز وجهاده» كانت مقالته المنشورة في صحيفة الجزيرة في عام ١٤١٠هـ، وفيها يشير إلى ما لليوم الوطني من معان تستحق الوقوف عندها، لتدبر «الخطوات التي اتخذها الملك عبدالعزيز بجرأة وشجاعة مع فئة هي صفوة الرجال آمنت بما أقدمت عليه من أخطار، فبذلت أرواحها في مغامرة فريدة في التاريخ».

ومع صعوبة العقبات كان الإصرار على بلوغ الهدف العظيم، وسار أبناؤه على نهجه، ورفعوا



عبد العزيز التويجري

البناء بإضافة لبنات تتناسب مع السير الحضاري للعالم.

«الملك عبدالعزيز» عنوان المقالة المنشورة في صحيفة الجزيرة في ٤ من شهر ربيع الأول عام ١٤١١هـ ويستهلها بتوضيح أن المؤرخ يجد في شخصية الملك عبدالعزيز الفذة مادة لا تنفد، ويستعرض جوانب من الصعوبات التي واجهها في زمانه حتى استطاع أن يوحد المملكة بتوفيق من الله. ويوجز بعد ذلك الإنجازات التي تمت في هذا الزمن بتوجيه من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز في مجالات الحياة المختلفة ليخلص إلى أن المملكة كانت «دولة محدودة الموارد في أول نشأتها تسير في شظف في حدود إمكاناتها، ففتح الله لها أبواب الرزق، فأحسنت التصرف، وبدأت البناء، فأشادته عاليًا».

ونشر الكاتب مقالة بعنوان «تراث وإرث نعتز به» في المجلة العربية في شهر ربيع الأول عام ١٤١١هـ كما ضمنها الجزء الأول من كتابه «إطلالة على التراث» الصادر في عام ١٤١٤هـ وفيها يؤكد الاستعداد الفطري الذي مكن الملك عبدالعزيز لتحقيق أعمال باهرة تعدّت حدود بلاده إلى البلاد الأخرى.

«وبجانب هذا كانت أعماله تتطابق مع ما سار عليه الحكام الناجحون، وما قاله الحكماء العارفون، وحثوا عليه، في ازدهار الحكم والملك».



عبد العزيز الخويطر

أتى الملك عبدالعزيز بما لم يأت به من عندهم إمكانات مادية أكثر من إمكاناته، وأنجز أكثر ممن كانت أسباب النجاح ميسرة لهم

«اليوم الوطني بزوغ فجر» مقالة يرجع تاريخها إلى عام ١٤١٣هـ، وفيها استعراض لما حققته المملكة في المجالات المختلفة مع التركيز على مسيرة التعليم بها، مما كان له الأثر في ارتفاع مستوى الوعي في المجتمع، بعد أن انتشر التعليم في القرى القريبة والبعيدة.

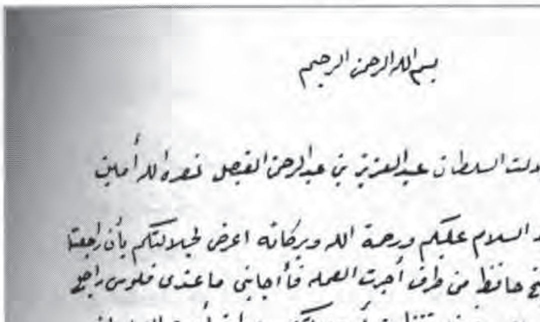
«اليوم الوطني راية رفعت» وهي مقالة لم يشر المؤلف إلى مكان نشرها أو تاريخها، وفيه مواصلة لما كان من حديث عن التعليم مع إيراد بعض الإحصاءات التي تؤكد الخطوات الواسعة التي يسير بها هذا القطاع الحيوي.

وبعنوان «الملك عبدالعزيز لم يذره ربه فرداً» جاءت المقالة المنشورة في مجلة الحرس الوطني في شهر ربيع الآخر عام ١٤١٤هـ، يوضح فيها جوانب من عبقرية الملك عبدالعزيز، وإصراره على تنفيذ أهدافه بثبات. وبعد أن انتهى من الكفاح العسكري انتقل إلى ميدان الإصلاح، ووضع الأسس لحكم مدني متكامل الجوانب، كان الأمن أهم ركائزه، وشمل اهتمامه التعليم، والجيش، والشرطة، والخدمات، والمرافق المختلفة، والعلاقات الخارجية، ومختلف جوانب الحياة، مما مكن المملكة من أن تكون دولة عصرية وطيدة الأركان.

وفي مقالة منشورة في صحيفة الجزيرة بتاريخ ١٥ من شهر ربيع الآخر عام ١٤١٢هـ عنوانها «اليوم الوطني صدى كفاح» تناولٌ لما كانت تعيشه البلاد من انعدام الأمن، وتدهور الأحوال الاقتصادية، وتدني مستوى التعليم، حتى استطاع الملك عبدالعزيز في زمن قصير أن يوحد المملكة، ويسير بها في مدارج الرقي الحضاري، مما يجعل اليوم الوطني مستحقًا لوقفة تأمل، ولحظات تدبر وتبصر، وفوق ذلك كله لحظة شكر وحمد لله الواحد الأحد.

وعلى المنوال نفسه جاءت المقالات الأخرى التي ضمها الكتاب وعناوينها: «اليوم الوطني وذكرى بهجة» ونشرت في مجلة اليمامة في ٢٨ من شهر ربيع الآخر عام ١٤١٦هـ، و«الملك عبدالعزيز رمز الوطن الحبيب» المنشورة في جريدة «الأنباء» في عام ١٤١٦هـ، و«اليوم الوطني إشعاع وضياء» ونشرت في مجلة الحرس الوطني في عام ١٤١٦هـ، و«الملك عبدالعزيز فريد بين الرجال» ونشرتها المجلة العربية في عددها الصادر في جمادى الأولى عام ١٤١٧هـ، وهي توازن بين ما كان قبل الملك عبدالعزيز، وما تحقق في عهده، وعهود أبنائه من بعده، من إنجازات حضارية أصبحت ملء السمع والبصر.

أما مقالة «لسراة الليل هتف الصباح» المنشورة في صحيفة الجزيرة في ٦ جمادى الآخرة عام ١٤١٨هـ فتتناول كتاب الشيخ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري الذي عنوانه «لسراة الليل هتف الصباح الملك عبدالعزيز: دراسة وثائقية»، مشيراً إلى أن المؤلف وفق في أن جعل الوثائق تنطق بلسان الصدق، وأحسن العرض، ومن جوانب هذا الإحسان ترتيب الوثائق زمنيًا، وتماثل المواضيع داخلها، والاهتمام بتصوير الوثائق، وعدم مصادرة حرية القارئ في التفكير في النص، والتدخل حين يستدعي الأمر ذلك، و«هو لم يحكم على الأمور بما يخدش أهلها، أبان الظرف، وأبان الحدث، ورسم الإطار دون انفعال، أو تقليل لقوة الظروف التي حكمت التصرفات في ذلك الزمن».


بسم الله الرحمن الرحيم
حضرة السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل نصره الله آمين
بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اعرض لجلالتكم بأن راجعت
الشيخ حافظ من طرف أجرة العملة فأجابني ما عندي فلوس راجع
الامام ونحنا منتظرين أمر جلالتكم من طرف أجرة العملة لمن
نراجع عليه لأنه بكره إذا ما عطينا الأجرة العملة ما تشتغل
عبدكم
عبدالعزيز زكي

رسالة إلى الملك عبد العزيز من عبد العزيز زكي

وأجاب الخويطر عن أسئلة وجهتها إليه جريدة الرياض بمناسبة اليوم الوطني، ونشرت في ٢٨ من شهر ربيع الآخر عام ١٤١٨هـ، وتمحورت حول تجربة الشورى، وذكرى اليوم الوطني، والاحتفال بالذكرى المئوية لفتح الرياض، وقد أوضح أن الشورى ليست جديدة على المسلمين، وإنما جاءت بها النصوص الشرعية، وتناول تطور تجربة الشورى منذ عهد الملك عبدالعزيز، وما عكسته من ترابط القيادة والمواطن.

وقال عن اليوم الوطني: إن «اسمه رمز لإشعاع من الإشعاعات الوطنية، يحمل في طياته معاني لا تحصر»، وتمنى أن تكون ذكرى مرور مئة عام على تأسيس المملكة وافية للغرض، موصلة للهدف، وبخاصة أن القائمين على تنظيمها، وعلى رأسهم صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض، ممن لهم القدرة والكفاءة.

وأفرد المؤلف جزءاً خاصًا لمراسلات الملك عبدالعزيز مشيراً إلى أن تاريخ المملكة يمكن أن يكتب وافيًا باستقائه من مراسلات الملك عبدالعزيز، أو من المراسلات التي كانت تأتي إليه. وتعكس المراسلات اهتمامه بمعرفة كل ما يحدث في ربوع بلاده في ذلك الزمن الذي كانت تعز فيه المواصلات.

وأبرزت الرسائل ما كان بينه وبين والده من تواد ورحمة، وبينت بعض الأفكار التي كانت تراود الملك عبدالعزيز آنذاك.

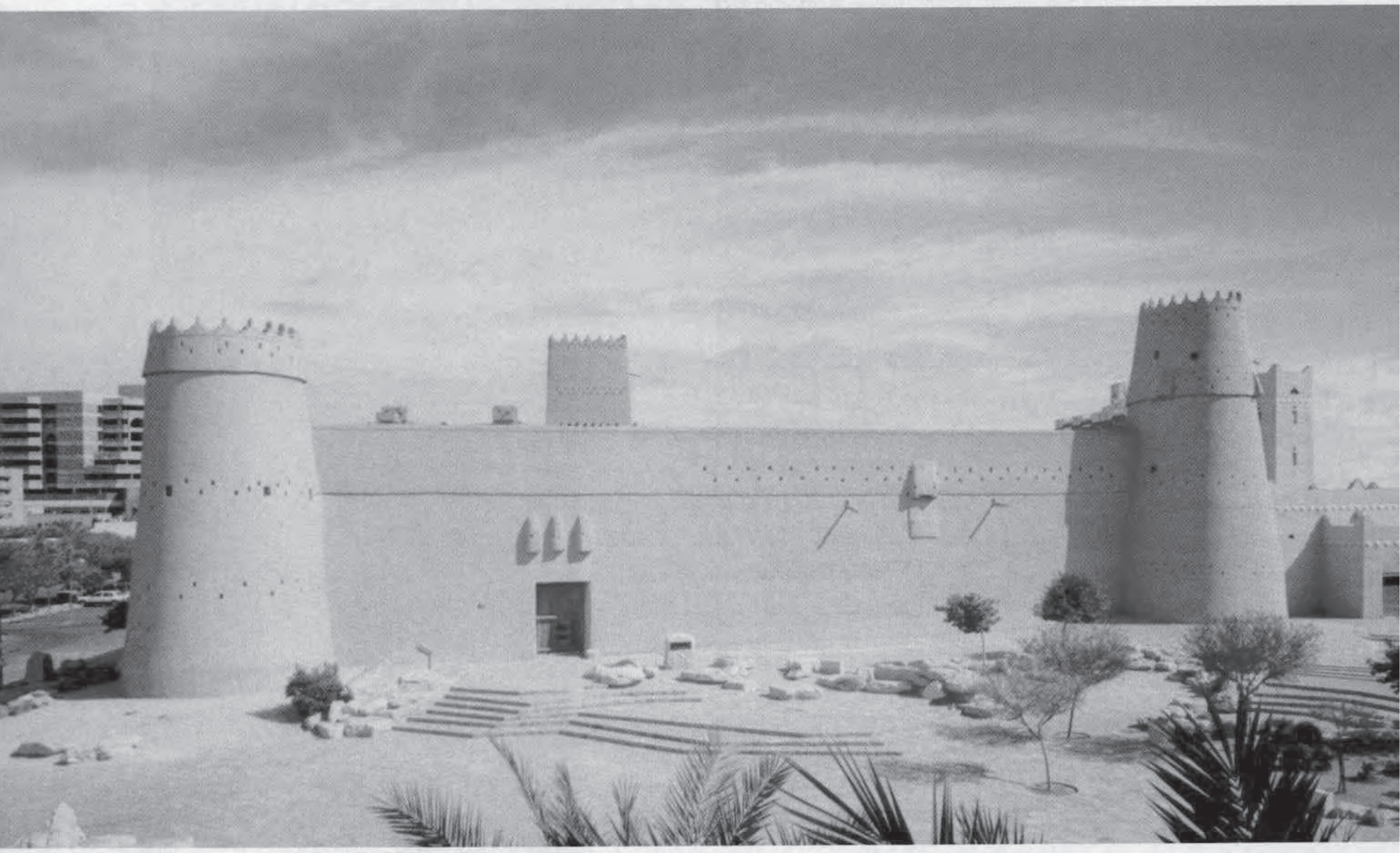
وعن «الملك عبدالعزيز ومراسلاته» كان عدد كتاب «المجلة العربية» الصادر في جمادى الآخرة عام ١٤١٨هـ، وهو يؤكد اهتمام الملك عبدالعزيز بكل أمور دولته، حتى بالمشكلات التي تبدو شخصية، ومثالاً على ذلك أورد رسائل من عبدالعزيز زكي أحد المشرفين على إنتاج الذخيرة إليه، يرحمه الله، مما يدل على حرصه على أن يوافيه رجاله بالأخبار أولاً بأول.

وضم الكتاب ملحق صور لما حواه الكتاب من خطابات للملك عبدالعزيز - رحمه الله - وبعض رجاله رحمهم الله.



قصور الملك عبدالعزيز التاريخية في منطقة نجد

محمد بن سعود الحمود



واجهة قصر «المصمك»

لقد اهتم الملك عبدالعزيز، بعد أن وحد المملكة، وألف بين مدنها وقراها، بصنع البنية الداخلية، وتأسيس ركائزها لإنشاء دولة فتية لها مقوماتها الاقتصادية والتعليمية والسياسية تسير على منهج الشريعة السمحة، مما حدا به - يرحمه الله - إلى الابتعاد عن البذخ والإسراف في حياته الخاصة، ومن ذلك عدم التوسع في إنشاء القصور، والتفاخر بها، فجاءت قليلة العدد، في مملكته المترامية الأطراف والمتعددة المدن، ومع قلتها إلاّ أن تلك القصور احتوت على وظائف مهمة، وخصائص فنية رفيعة تميز العمارة العربية الأصيلة.



قصر الملك عبد العزيز بالمويه



البوابة الرئيسة في قصر المويه

وهذا يجعل الحديث عن قصور الملك عبدالعزيز في المملكة يحتاج إلى البحث والتوثيق والسفر والترحال، والذي لا يمكن لفرد واحد أن يستوفي حقها، لذا اقتصرنا على الموجود في منطقة نجد للتحدث عن مايمكن معرفته من تلك القصور، والترحال والوقوف على القائم منها، وتتبع المندثر عبر الكتب وخاصة ماكتبه الرحالة.

وتكمن أهمية تلك القصور في تسهيل شؤون الدولة وتفقد أحوال المواطنين، وهي مختلفة الوظيفة والنشأة، كالسكن، وإدارة الحكم، وبسط الأمن، والضيافة، ومراكز أمن وخدمات على طرق الحج، ويمكن تقسيم نشأتها ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قصور لم ينشئها الملك عبدالعزيز، والقسم الثاني: قصور جدد بناءها الملك عبدالعزيز، والقسم الثالث: قصور أنشأها الملك عبدالعزيز.

قصور لم ينشئها الملك عبدالعزيز

قصر نوره

بعد أن دخل الملك عبدالعزيز الرياض سكن في قصر متواضع في جنوب قصر الحكم في منطقة دخنة، وهو من بيوت آل سعود القديمة يرجع لنوره بنت فيصل بن تركي، حتى تم الانتهاء من قصر الحكم في عام ١٣٣٠هـ، وانتقل إليه(١).

قصر الإمام عبدالرحمن بن فيصل

كانت مقابلة الوفود، وعقد الجلسات الاستشارية، وإدارة شؤون البلاد تتم في قصر والد الملك عبدالعزيز الإمام عبدالرحمن بن فيصل في الرياض في منطقة تدعى الخان، وذلك قبل عام ١٣٣٠هـ، أي قبل الانتهاء من قصر الحكم(٢).

قصر المصمك

يقع في وسط مدينة الرياض وقد بني في عهد محمد بن عبدالله بن رشيد سنة ١٣١٢هـ على أنقاض قصر الإمام عبد الله بن فيصل، وبعض بيوت آل سعود(٣)، وفي عام ١٣١٩هـ استعاده الملك عبد العزيز، رحمه الله(٤).

وقد استخدم القصر مستودعًا للذخيرة والأسلحة، ثم أصبح سجناً(٥)، ويشتمل بناؤه على العمارة الحربية والمدنية في آن واحد.



أحد الأبنية داخل قصر المويه

قصور جدّد بناءها الملك عبدالعزيز، وزاد عليها

قصر الحكم

في وسط مدينة الرياض سكن الملك عبدالعزيز قصر الحكم الذي شيده آباؤه وأجداده بعدما قام بترميمه وتعديله وإصلاحه، وبنى قصوراً لسكنى عائلته، كما بنى قصرًا كبيرًا أمام قصر الحكم خصص للضيوف(٦)، وقد زاره صحفي في عهد الملك عبدالعزيز ووصفه بأنه مشيد على نمط عربي صرف، يحتوي على طابقين: الطابق الأول فيه قاعة المائدة خصصت للضيوف وأخرى لعامة الناس، أما الطابق العلوي ففيه عدة ردهات كبيرة، وبهو يسع نحو ثلاثمئة شخص، وقد خصص جناح للديوان الملكي يشمل المكتبة، وديوان سمو الأمير سعود، وغرفًا خاصة لسكنى كبار الضيوف(٧).

وقد أقيم قصرين بجوار القصر الكبير من الجهة الشرقية يصل إليهما بطريق أقيم على أعمدة، وفي ساحة الصفاة من الشمال يقع قصر كبير خصص لاستقبال الضيوف(٨).

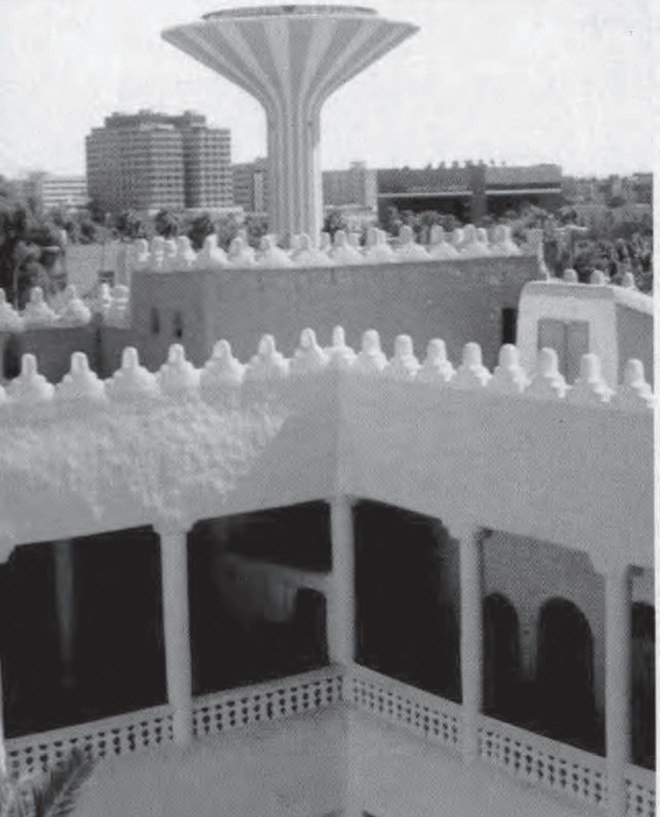
قصر أو قلعة بريدة

قصر بريدة أشبه مايكون بقلعة ضخمة، وذلك لما يتوافر فيه من وحدات معمارية، كالمسجد، وبئر المياه، ومقر الضيافة، والسجن، ومستودعات الأسلحة والطعام وغيرها، بلغت مساحته عشرة آلاف متر مربع، ويحتوي على تحصينات كالأبراج المربعة، والسور الحصين، بينما يحتوي على بوابة واحدة في الجهة الجنوبية، وقد قام الملك عبدالعزيز بترميم هذا القصر، والزيادة عليه، وفي عام ١٣٨٨هـ أزيل هذا القصر(٩). وهو كغيره من القصور الرئيسة القديمة المستخدمة لإدارة المناطق والموجودة قبل حياة الملك عبدالعزيز، وقد حرص - رحمه الله - على ترميمها، والزيادة عليها لما لها من دور في حفظ الأمن، وتفقد أحوال المواطنين.

قصر المويه

يقع هذا القصر كما يسميه العامة أو القلعة الكبيرة في الجهة الغربية من الرياض في حدود ٦٠٠ كم في المويه القديم الواقع على مسافة ٤٥ كم شمال المويه الجديد على طريق صحراوي.

وهذه القلعة مشيدة على مساحة مربعة بلغ طول كل ضلع من أضلاعها ١٣٠م، تحتوي على ستة أبراج مربعة الشكل أنشئت في الأركان، وآخرين أنشئا في أعلى البوابتين الرئيستين:



جزء من قصر المربع من الداخل



جزء من أروقة قصر المربع

إحداهما في الجهة الغربية، والأخرى في الجهة الشرقية، ويوجد بداخل القلعة مجموعة من المباني، مثل المسجد، ومجلس كبير يحتوي على كراسي مبنية من الحجر المجصص، وحمام يبدو أنه حمام بخار (السونا)، كما أنها تحتوي على غرف متعددة كانت مغطاة بقبب من الآجر، حيث تشاهد إحدى القبب باقية حتى الآن على البوابة الشرقية، بالإضافة إلى أن القلعة تحتوي أيضا على مستودعات ومخازن. والمبنى بشكل عام يمتاز باللمسات الفنية الجميلة تزينها العقود والقبب، وجميعها مبنية من الحجارة السوداء المهذبة، والآجر المستخدم في عدد من القباب، مع ملاحظة بعض الإضافات والتعديلات على القلعة.

ومن خلال عمارة القلعة وأسلوبها وتصميمها يتضح أنها من بقايا القلاع العثمانية القديمة، ولكون القلعة تقع على طريق الحج ، حرص الملك عبدالعزيز على الاستفادة منها، بعدما أضاف إليها بعض الترميمات لتكون محطة من المحطات الواقعة على طريق الحج، والتي تشمل الخدمات الضرورية للمسافر، وقد دخلها عدد من الرحالة في عهد الملك عبدالعزيز، نذكر منهم :

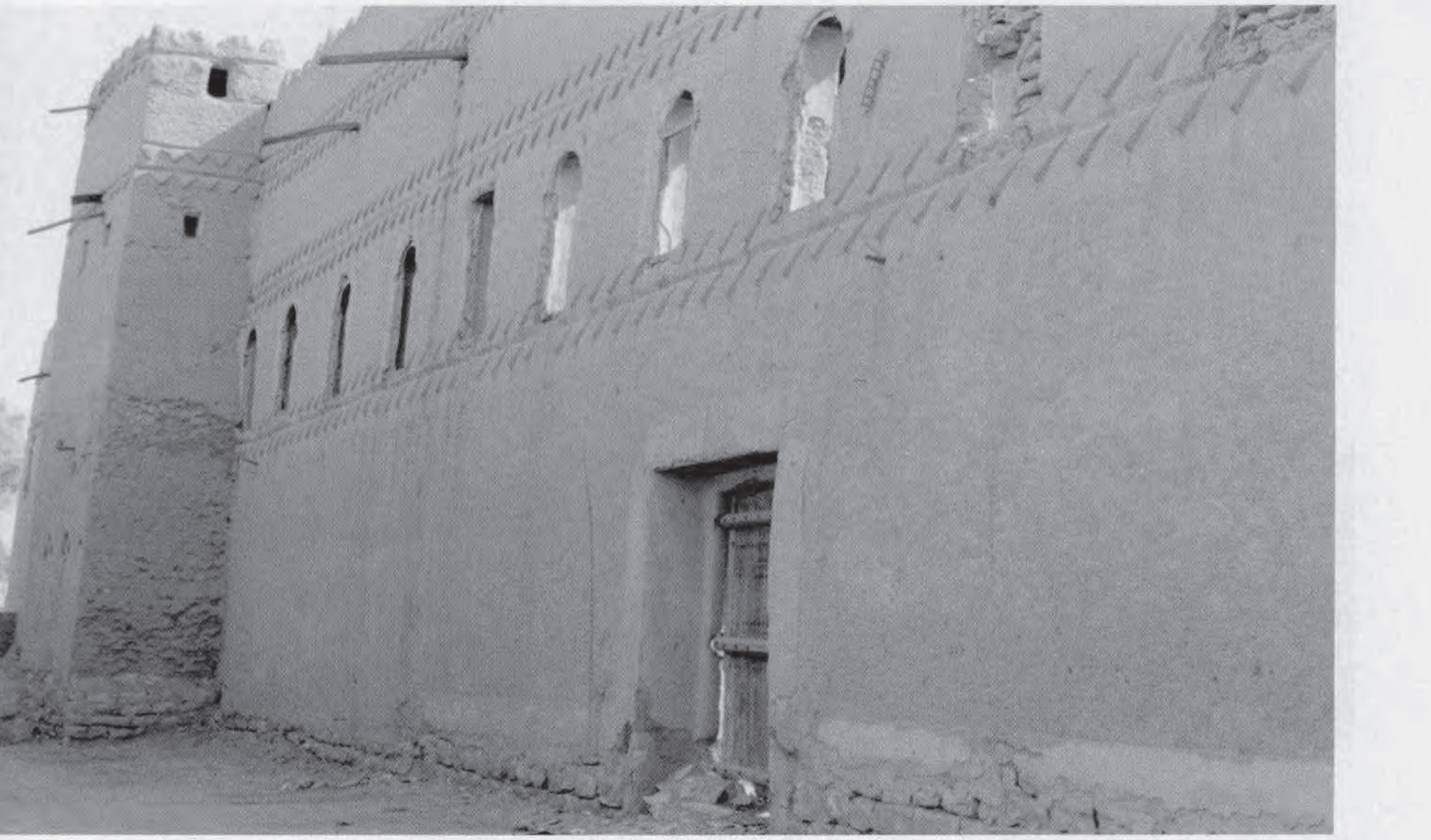
- صاحب الرحلة اليابانية في عام ١٣٥٨هـ، فقد أشار إلى أنه نزل المويه، وهي محطة لخدمة السيارات، وأنه شاهد بقايا قلعة مضى على بنائها نحو ١٤٠-١٥٠سنة، وقد تناول الطعام مع رفقائه في أطلال القلعة في إحدى غرفها بعدما فرشوها بالسجاد، وأكّد أن الملك عبدالعزيز يتوقف في هذا المكان للتزود بالوقود ، وأن العسكر في أيام الحج يقيمون فيها، مشيراً إلى أنه سمع بأن الحكومة ستعيد بناء هذه القلعة(١٠) ومن خلال وصف الرحالة الياباني يتبين أمران: الأول - أن هذه القلعة قديمة حيث أشار إلى أنها أطلال في ذلك الزمن. الثاني - يتضح لمن يشاهدها في الوقت الحاضر أنها تختلف عن كونها أطلالاً كما وصفها الياباني حيث تتسم بالقوة مع ما أصابها من بعض الانهيارات، مما يؤكد أن الملك عبدالعزيز قام بترميمها.

- وفي «رحلة الربيع» أشار فؤاد شاكر عام ١٣٦٠هـ إلى أنه وصل المويه مع رفقائه، ويمموا شطر القصر الذي تقع إلى يساره الاستراحة الحكومية، ونزل الموكب في ساحة القصر، وأووا جميعا إلى غرفة فسيحة الجنبات مترامية الأطراف صفّت فيها أسرتهم(١١).

- في رحلات عزام عام ١٣٦٨هـ أشار إلى أنه نزل هو ورفقاؤه قصراً من قصور الشيوخ في المويه(١٢).



جزء آخر من قصر المربع



واجهة قصر الضيافة في البديعة

ويستحق هذا القصر مزيداً من الاهتمام قبل أن يطويه النسيان، وهذا ما نأمله من وكالة الآثار والمتاحف.

قصور أنشأها الملك عبد العزيز

قصر المربع

شيّد الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ أول قصر في مدينة الرياض في عام ١٣٥٦هـ مع قصور ملكية أخرى في المنطقة الواقعة خارج السور الشمالي للرياض، التي عرفت فيما بعد باسم (المربع). وقد كلّف المعماري حمد القباع بالإشراف على بناء تلك القصور. وقد تم الانتهاء من قصر المربع لاستقبال الملك عام ١٣٥٧هـ، وفي عام ١٣٥٨هـ وضعت اللوحة التذكارية على بوابة القصر صممها الخطاط السعودي عبد الفتاح المدني.

وقد عرف هذا القصر فيما بعد باسم (الديوان) بعدما أُقيم بجواره المجمّع السكني الملكي، ثم اقتصر مسمى المربع على القصر بحيث أصبح مقراً للحكم، ويضم مكاتب الوزارة والمستشارين وغيرهم، وفيه كان يُستقبل السفراء، وكبار الزوار، والشخصيات المهمة وتُعقد فيه الاجتماعات والاتفاقيات، ومن بين تلك الشخصيات أول بعثة رسمية أمريكية، ووفد ياباني، بالإضافة إلى أن الوزير المفوض العراقي أمين المميز عندما دخل قصر المربع في عام ١٣٧٣هـ أشار إلى أنه نزل في هذا القصر أربعة من الملوك، ورئيس جمهورية: الملك عبدالله، والملك طلال، والملك حسين، والملك ظاهر شاه ملك الأفغان، وكميل شمعون رئيس جمهورية لبنان.

وتبلغ مساحة القصر ٣٠٠ × ٤٠٠م ويتكون من طابقين، وفناء تحيط به المصابيح، وله باب رئيس في الجهة الغربية، ثم عدّل فيما بعد إلى الجهة الجنوبية

وقد بني القصر على الطراز المعماري التقليدي لمنطقة نجد، حيث استخدم في بنائه الطين واللبن والحجارة وجذوع الأشجار، وأهم ما يتميز به القصر وجود قاعتين رئيستين: هما المجلس الصيفي والشتوي(١٣).

قصر البديعة

يقع في مدينة الرياض في وادي حنيفة جنوب جسر طريق المدينة، وهو قصر كبير أمر ببنائه الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ ليكون منتجعاً له في أيام الصيف. وقد قضى فيه الملك عبدالعزيز، في آخر حياته، جزءاً من صيف عام ١٣٧٣هـ(١٤).

والقصر بني على مساحة تقدر بـ ٩٠م ×٤٠م بارتفاع يصل إلى ٨م، ويتكون من دورين، ويحتوي على عدد من الغرف التي تشرف على فناء القصر.

وقد اتخذ هذا القصر لضيافة كبار الشخصيات العربية والإسلامية التي تزور مدينة الرياض، حيث جعل مسكناً لهم (١٥)، منها: وفد الجامعة العربية (١٦)، بالإضافة إلى الشخصيات العالمية، ومن بينها: وفد من اليابان الذي زار الرياض، وسكن هذا القصر في عام ١٣٥٨هـ، حيث وصف أحدهم قصر الضيافة وصفاً دقيقاً مركّزاً على ما يحتويه من أثاث، موضحاً أنه يتكون من طابقين ومبني من مادة الطين، ويحتوي على خمسة عشر غرفة تضم دورة مياه، ومخازن للأمتعة، وغرفة للهاتف، وقد طلي سقف الغرف باللون الأبيض، وعليه زخارف عبارة عن نجوم وهلال وأشكال هندسية، وعلى الحائط توجد زخارف هندسية، وتحتوي بعض الغرف على نوافذ تصل إلى ثمانية نوافذ، وتحتوي كل نافذة على قضبان من الحديد والخشب، وفي أعلى النافذة قطعة من الزجاج



قصر الملك عبد العزيز بالدوادمي



المدخل الرئيس لقصر الملك عبد العزيز بالدوادمي



جزء من قصر الدوادمي من الخارج

تسمح لضوء الشمس بالمرور إلى وسط الغرفة، ويوجد على النوافذ ستائر، أما وسط الغرفة فقد وضع فيه طاولة صغيرة عليها محبرة وقلم وسكين. ويوجد في غرفة النوم سرير عال جداً مصنوع من الحديد، عليه وسائد وألحفة ومراتب مصنوعة من الحرير، وتعلوه ناموسية (١٧).

قلعة المرقب

تقع في البطحاء في مدينة الرياض وعرفت فيما بعد بحي المرقب، وقد أمر الملك عبدالعزيز حمد بن قباع ببناء هذه القلعة، وقام ابن قباع بدوره بتكليف ناصر الزايدي ببنائها، وهي قلعة مربعة تحتوي على خمسة أبراج(١٨)، وكانت تستخدم فيها المدفعية للإعلان عن دخول شهر رمضان والأعياد، وفي عام ١٣٧٤هـ أزيلت تلك القلعة، وبقيت ذكراها(١٩).

قصر قبة

يقع هذا القصر الذي شيده الملك عبدالعزيز في قبة الواقعة في القصيم، وتبعد عن بريدة ١٥٠كم، وهو مستطيل الشكل، يحتوي على خمسة أبراج للمراقبة، ثلاثة منها في واجهة المبنى، وبداخله سكن ومسجد(٢٠) .

قصر مرات

يقع قصر الملك عبدالعزيز في مرات في منطقة الوشم التي تبعد عن الرياض في الشمال الغربي بنحو ١٧٠كم.

والقصر لم يبق منه أثر يدل عليه ، ولكنه يشابه قصر الملك في الدوادمي من خلال الصور القديمة التي التقطت له، ولكون بلدة مرات محطة تقع على درب الحج، وطريقاً يسلكه الملك عبدالعزيز في رحلاته للحجاز - وخاصة في عام ١٣٤٣هـ، حيث أقام فيها يوماً وليلة، ومر عليها في عامي، ١٣٤٥هـ، و١٣٤٦هـ - (٢١). حرص، رحمه الله، أن يحتوي القصر على خدمات المسافرين، وضيوف الدولة، وسلطة أمنية ترعى شؤون البلاد، وهو يشابه قصر الدوادمي من حيث التصميم والشكل، و يصف الضويحي القصر بأنه شيّد في عهد الملك عبدالعزيز في عام ١٣٥٤هـ، وخصصه ليكون مقراً للدوائر الحكومية. والقصر مربع الشكل يحتوي على أربعة أبراج مربعة في أركانه، وهي بارزة عن الجدار، يبلغ ارتفاعها ١٥م

ويبلغ ارتفاع الجدار ١٠م، ويوجد فيه محطة اللاسلكي، ويحتوي على محطة للبنزين، ودائرة للسجن، وبوابة واحدة تجاه الجنوب، وفيه مسجد، ومركز للبريد، وبئر قديمة(٣٢).

قصر الدوادمي

يقع قصر الملك عبدالعزيز في الدوادمي على بعد ٣٠٠كم غرب مدينة الرياض وبالتحديد على بعد ٢كم غرب الدوادمي.

وقد بدأ بناء القصر في عام ١٣٥٠هـ، وانتهي منه ١٣٥٢هـ (٢٣).

والقصر مربع الشكل بني من اللبن، طول كل ضلع من أضلاعه ١٠٠م، ويحتوي على أربعة أبراج مربعة الشكل بارزة عن سمت الجدار، ويحتوي على ثلاثة أبواب، الرئيس منها في الجهة الشمالية ، ويبلغ ارتفاع البرج عشرة أمتار بينما تبلغ مساحة البرج ٥ × ٤ م، ويوجد في البرج سقاطات و(مزاغل) للحماية والمراقبة والدفاع عن القصر. أما الأبواب فيصل ارتفاعها إلى ثلاثة أمتار تستند على أكتاف بنيت من الحجارة المجصصة، أما السور الذي يبلغ ارتفاعه خمسة أمتار فقد أسس من الحجارة التي تصل بارتفاع المتر وبسماكة تصل ٢٠و١م، ويشاهد في الجهة الجنوبية من القصر على بعد يصل إلى ٧٠م حاجز شيّد من الحجر طوله ١٠٠م وبارتفاع ٥٠ر٢م، وكان الهدف منه حماية القصر من مياه سيول الوادي القريبة منه.

وقد أنشئ بداخله عدد من الوحدات المعمارية أهمها، المسجد، وديوانية كبيرة كان الملك يستقبل فيها الوفود ورؤساء القبائل للنظر في شؤونهم، وتفقد أحوالهم، ومحطة بنزين، وبريد، ومحطة اللاسلكي، وغرفة كبيرة في الدور الثاني



البوابة الرئيسة للمبنى الشرقي في قصر الملك عبد العزيز بالخرج

الذي أشار إليها وفد ياباني في عام ١٣٥٨هـ بأنها كانت مطلية بالجص، مرتفعة السقف، مفروشة بفرش محتوية على وسائد(٢٤).

ويصف فؤاد شاكر القصر في رحلته عام ١٣٦٠هـ وصفاً دقيقاً بأنه بناء ضخم عبارة عن سور في واجهته الرئيسة قصر متواضع للملك عبدالعزيز يُشرّفه للاستراحة فيه في أثناء سفره بين مكة والرياض. وحول هذا القصر من جوانبه الأخرى مبان أخرى أعدت لنزول الضيوف من رجال الحاشية، ولغيرهم من النزلاء



القصر الشرقي (قصر الضيافة) للملك عبد العزيز في الخرج

الذين يمرون بهذا الطريق في مختلف الظروف. وهي تشتمل على غرف فسيحة بنيت على الطراز العربي، وتتوسط هذا البناء الضخم جملة أحواش في جانب منها جناح أرضي خاص أقيم فيه مركز اللاسلكي ليستقبل الإشارات ويرسلها بين مكة والرياض، ومن ثم بين جميع أجزاء المملكة والعالم كله والسيارت تدخل بحمولتها إلى فناء هذا البناء. وتوجد (ورشة) صناعية صغيرة متواضعة في جانب الفناء، وفي جانب آخر مستقل من ذلك البناء أقيمت محطة آلية للبنزين. وهذا البناء كالواحة الخصبة للمسافر لما تتوافر فيه من أسباب الراحة، وأمام ذلك البناء يوجد حانوت أو حانوتان لبيع السلع إلى أهل البادية، وليتزود منها المسافرون(٢٥).

قصر الخرج

يقع قصر الملك عبدالعزيز في شمال مدينة الخرج وجنوب مدينة الرياض على بعد ٩٠كم.

وقد تم بناؤه في عام ١٣٥٩هـ(٢٦)، وهو يتكون من مبنيين مختلفين في التصميم بنيا باللبن والحجارة على مساحة مستطيلة الشكل بلغ طولهما من الشمال إلى الجنوب ١٠٠م، ومن الشرق إلى الغرب ٣٠٠م، يحيط بهما سور.

الأول: المبنى القديم الواقع في الجهة الشرقية، وهو أضخم من المبنى الثاني، ويحتوي على دورين، ويمتاز شكله الخارجي بالأقواس الدائرية المتراكبة، والتي تقع في الوحدات المعمارية الخارجة عن سمت المبنى، بينما باقي المبنى يتكون من أعمدة متوازية ومتراكبة، يعلوها سترة السطح المزخرفة بزخارف جصية. أما البوابة الرئيسة فهي تقع في الجهة الشمالية. ويحتوي المبنى على عدد من الغرف المختلفة الأشكال ذات النوافذ المستطيلة المطلة على خارج المبنى. وقد خصص هذا المبنى للضيوف، وحاشية الملك، ويؤكد ذلك فؤاد شاكر عندما قدم على هذا القصر مع الملك عبدالعزيز في عام ١٣٦٠هـ، وأنهم قدموا إلى القصر الملكي الذي أعدّ لنزول الملك، ثم أقاموا في قصر مخصص للضيوف، وهو القصر الأول الذي كان يسكنه الملك عبدالعزيز، والذي أعدّ فيما بعد لاستقبال الضيوف، وهو على مسافة قليلة من القصر(٢٧).

أما المبنى الثاني فيقع في الجهة الغربية من المبنى الأول ملاصقًا له بطريق تصعد إليه السيارة محمول على دعامات، والمبنى يتكون من دورين ارتفاعهما ١٥م تقريبًا، ويحتوي على عدد من النوافذ الخشبية المقوسة والمستطيلة، ومدخل كبير ورئيس يتكون من ثلاثة عقود مقوسة خارجة من سمت المبنى، بينما المبنى من الداخل يحتوي على فناء مربع الشكل، طول كل ضلع من أضلاعه ٣٠م، ويحيط بهذا الفناء صف من الأعمدة الأسطوانية التي تحمل الأقواس نصف الدائرية، وهي متراكبة، وقد زينت بالشرفات والزخارف الجصية الجميلة، واحتوى هذا المبنى على عدد من الغرف، أهمها مجلسان كبيران خصصا لاستقبال الضيوف، وغرف كبيرة لتناول الطعام. وهذا القصر يتميز بالعمارة التقليدية النجدية بخلاف القصر الأول المجاور له، مع ملاحظة أن هذا المبنى وضع له طريق للسيارة يصل إلى الدور الثاني عن طريق جسر قوي رصف بالحجارة، ومن ثم يربطه بطريق آخر يصل إلى المبنى المعد للضيوف، وهو من الإبداعات المعمارية المتميزة.

ويبهر شكل المبنيين كل من شاهده، ووقف عليه من الرحالة، ومن هؤلاء عبدالوهاب عزام الذي زار القصر عام ١٣٦٨هـ، وأشاد بأنهما فخمان وجميلان أحكمت هندستهما، وأجيد تأثيثهما(٢٨).



أحد المصابيح الخارجية في قصر الملك عبد العزيز بالخرج

الهوامش والتعليقات

١- عبدالرحمن سليمان الرويشد : قصر الحكم في الرياض: أصالة الماضي وروعة الحاضر، ص٥٦.
٢- المرجع نفسه، ص٥٦.
٣- المرجع السابق نفسه، ص ٢٢٣.
٤- إبراهيم القاضي: تاريخ القاضي، صورة مخطوط.
٥- الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض: المصمك، ١٤١٣ هـ، ص١٢.
٦- الرويشد: مرجع سابق، ص ٥٥ - ٥٨.
٧- محمد شفيق: في قلب نجد والحجاز، مطبعة المنار، مصر، ١٣٤٦هـ، ص ٣١- ٣٢.
٨- عبدالرحمن السبيت وآخرون: رجال وذكريات مع الملك عبدالعزيز، إصدارات المهرجان الوطني بالحرس الوطني، ج٢، ص١٣٥، ١٣٨ .
٩- محمد العبودي: معجم بلاد القصيم، ط٢، ١٤١٠هـ، ج٥، ص ٢٠٠٥-٢٠٠٨. حسن الهويمل: بريدة ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ط٢ ، ١٤٠٨هـ، ص ٤٦-٤٨. محمد الربدي: بريدة ، ط٢، ١٤١٣هـ، ص ٧٥-٧٧..
١٠- إيجيرو ناكانو: الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية، ترجمة سارة تاكاهاشي، إصدارات دارة الملك عبدالعزيز، ص ٢٦ ، ٢٨
١١- فؤاد شاكر: رحلة الربيع، تهامة، جدة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ٤٧.
١٢- رحلات عبدالوهاب عزام، مطبعة الرسالة، ط١، ١٣٧٠هـ، ص ٢٥٤.
١٣- انظر عن هذا القصر كل من خالد بن أحمد السلمان: معجم مدينة الرياض ، ص٢٣٢. فهد بن عبدالعزيز الكليب : الرياض ماض تليد وحاضر مجيد، ص١٠٠. منير العجلاني: تاريخ البلاد العربية السعودية، ص١٩٢ . قصر المربع: مطبوعات وكالة الآثار والمتاحف، الرياض، ص ٢-٤. أمين المميز: المملكة العربية السعودية كما عرفتها، بغداد، ١٣٨٣هـ، ص٧١-٧٢. داغستاني: الرياض، ص٦٨. عبدالرحمن السبيت وآخرون: كنت مع عبدالعزيز، إصدارات المهرجان الوطني للتراث والثقافة بالحرس الوطني، ج١، ص ١٩٩، ٢٢٢.
١٤- سنت جون فلبي: تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ترجمة عمر الديسراوي ، مكتبة مدبولي القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ، ص ٥٥٥.
١٥- عبدالرحمن صادق الشريف: مدينة الرياض: دراسة في جغرافية المدن، ص١٣١. خالد بن أحمد السلمان: معجم مدينة الرياض، ص٢٩.
١٦- رحلات عبدالوهاب عزام، ص٢٠٥.
١٧- إيجيرو ناكانو: مرجع سابق، ص ٧٨ - ٨٣ .
١٨- محمد الحصين: البيئة العمرانية لمدينة الرياض، ١٤١٧هـ، الرياض، ص٤٤.
١٩- راشد العساكر ، جريدة الرياض، ع ١٠٨٤٠، عام ١٤١٨هـ.
٢٠- خالد أسكوبي وآخرون: القصيم تراث وحضارة ، وكالة الآثار والمتاحف، ١٤١٧هـ، ص٣٥.
٢١- جريدة أم القرى: الرحلات الملكية، إصدارات دارة الملك عبدالعزيز، ص ١٨، ١٠٥، ١٢٣.
٢٢- عبدالله الضويحي: مرات، ط، ١٤١٣هـ، ص ٩٠-٩٣.
٢٣- سعد الجنيدل: عالية نجد، منشورات دار اليمامة، الرياض ١٣٩٩هـ، ج٢، ص٥٤١. سعد الطخيس: الدوادمي، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ١٤١٢هـ، ص١٣١.
٢٤- إيجيرو ناكانو: مرجع سابق، ص ٤٧ .
٢٥- فؤاد شاكر، مرجع سابق، ص ٥٦-٥٧.
٢٦- سعد الدريهم: الخرج، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، ١٤١٣هـ، ص ٥٦.
٢٧- رحلة الربيع، ص ١٨٢-١٨٣.
٢٨- رحلات عبدالوهاب عزام، ص ص ٢٢٠- ٢٢٤.

من أقوال الملك عبدالعزيز



إعداد: **مصطفى مقبول حلاوة**

لقد كان الملك عبدالعزيز مهمومًا بقضايا الوطن والأمة، فكان حريصًا على تأكيد الثوابت والمرتكزات التي ينبغي أن يتمسك بها المسلمون لبلوغ غايتهم في الرقي والتقدم.

وهذه الطائفة المختارة من أقواله تبرهن على أن حديثه كان دائمًا من القلب إلى القلب، لأنه كان يلامس القضايا الحقيقية للوطن والأمة بوضوح وصراحة، حتى يخيل للمرء أنه قد قيل من لحظات. وقَرَنَ الملك عبدالعزيز القول بالعمل، فكانت الإنجازات الحضارية التي بوأت المملكة العربية السعودية اليوم مكانتها المرموقة بين دول العالم.

لقد كان الملك عبدالعزيز مهمومًا بقضايا الوطن والأمة، فكان حريصًا على تأكيد الثوابت والمرتكزات التي ينبغي أن يتمسك بها المسلمون لبلوغ غايتهم في الرقي والتقدم.

وهذه الطائفة المختارة من أقواله تبرهن على أن حديثه كان دائمًا من القلب إلى القلب، لأنه كان يلامس القضايا الحقيقية للوطن والأمة بوضوح وصراحة، حتى يخيل للمرء أنه قد قيل من لحظات. وقَرَنَ الملك عبدالعزيز القول بالعمل، فكانت الإنجازات الحضارية التي بوأت المملكة العربية السعودية اليوم مكانتها المرموقة بين دول العالم.

التمسك بالإسلام والعقيدة

«إنني أرجو من المسلمين أن يرجعوا إلى كتاب الله وسنة رسول الله، وهذا ديننا وهذا هو معتقدنا، نقاتل من أراد أن ينال ديننا أو وطننا بأذى».

من خطبة جلالته أمام كبار الحجيج في المأدبة الملكية بمكة في ١٣٤٥/١٢/٧هـ.

«أجل نحن دعاة إلى التمسك بالدين الخالص من كل بدعة، نحن دعاة إلى العروة الوثقى التي لا انفصام لها.

إن اللّه أمرنا أن ننظر إلى كل أمر من أمورنا، وألاّ ندّخر وسعًا في المحافظة على كيانها.

قال الله تعالى: *وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ*.[**الأنفال**:٦٠].

الدنيا درجات، فإذا درسنا حالة الأوربيين وجدنا أنهم يعتصمون بالحديد والنار والكهرباء، وما شاكلها، أما نحن فإننا نعتصم بحبل الله تعالى ومن اعتصم باللّه فهو حسبه».

من خطبة جلالته أمام كبار الحجاج في مأدبة العشاء الملكية بمكة في عام ١٣٤٨هـ.

«إنني واللّه لا أحب إلا من أحب الله حبًا

خالصًا من الشرك والبدع، أنا والله لا أعمل إلا لأجل ذلك، ولا يهمني أن أكون ملكًا أو فقيرًا، اللهم إنك تعلم إن كان ما أقسم اليمين عليه هو عقيدتي التي أعتقد فأرجو أن تؤيدني وتنصرني. وإن كنت تعلم أن ما أقسم عليه مخالفًا لما أعتقد فأرجو أن تكفي المسلمين سوئي، واللّه، ثم والله، ثم واللّه، والكاذب عليه لعنة الله، إني لأتمنى أن يجمع الله النصارى واليهود وكل إنسان على وجه الأرض، ويشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله شهادة خالصة مخلصة، وأكون أنا وجميع أولادي وأفراد عائلتي فداء إسلام الناس كلهم، واللّه، ثم واللّه إني لأفضل أن أكون على رأس جبل آكل من عشب الأرض، وأعبد الله وحده على أن أكون ملكًا على سائر الدنيا، وهي على حالتها من الكفر والضلال، اللهم إنك تعلم أني أحب من تحب، وأبغض من تبغض».

من خطبة جلالته أمام كبار الحجاج في مأدبة العشاء الملكية بمكة في ١٣٤٩/١٢/٦هـ.

علاقة الراعي بالرعية

«إن التباعد بين الراعي والرعية يدع مجالاً للنفعيين، فيجعلون الحق باطلاً، ويصورون الباطل حقًا. فإذا لم يكن هناك صلة بين ولاة الأمور والأهلين، وجاء أي شخص من أرباب المقاصد السيئة، وقال لولاة الأمور: إن المسألة الفلانية كيت وكيت، فمن أين يعلم ولاة الأمور أن الأمر على الضد من ذلك، وأن هذا النفعي قد قلب الحقائق؟ أما إذا اختلط الشعب مع ولاة الأمور، فإن هؤلاء النفعيين والدساسين يخشون من مخاطبة أمرائهم بعكس الواقع، ويخافون أن ينكشف الغطاء، فتعرف نياتهم السيئة».

من خطبته بدار الحكومة في مكة في محرم ١٣٤٦هـ لانتخاب مجلس الشورى الجديد.

«هنا محاكم شرعية، ولجان الأمر بالمعروف أسست لإظهار الحق، وأنتم أيها القوم أمناء لهذا الدين، ولهذا البلد الأمين، وأنتم مسؤولون عنه، وأنتم خدامه، فالأوامر التي تطبق على أهل البلد يجب أن تطبق عليكم، ولا يجوز في أية حال تطبيق الأوامر على فريق دون آخر.

نحن نطلب منكم:

أولاً - إقامة الصلاة في أوقاتها، ولا يجوز التخلف عنها قط.

ثانيًا - اجتناب جميع المحرمات والابتعاد عن مجالسة الأشخاص الأشرار ومخالطتهم، وعدم الجلوس في مجالس السوء والريب.

ثالثًا - عدم تقليد الأغيار بما يخالف آداب الشريعة السمحاء.

وصفوة القول: أنه يجب عليكم اتباع أوامر الحكومة، والعمل بها على شرط ألاّ تكون مخالفة للشرع، وما عهدنا بها أنها أصدرت أمرًا يخالف الشرع قط. وثقوا بأننا سنتولى أمر التفتيش عن ذلك بأنفسنا، ونقسم بالله إننا سنهاجمكم على حين غرة، فإذا رأيت أحدكم حاد عن الطريق السوي، وقام بأعمال تلزم إدانته بدأنا بإدانة رئيسه، ثم بإدانة ذلك الشخص، بدون هوادة ولا شفقة، وأعلمكم بأن الجزاء والقصاص لا يكون إلا صارمًا».

من خطاب جلالته في اجتماع له بكبار الموظفين في الدولة في ١٣٤٦/٣/١هـ.

«إنني أعتبر كبيركم بمنزلة الوالد، وأوسطكم أخًا، وصغيركم ابنًا، فكونوا يدًا واحدة، وألّفوا بين قلوبكم لتساعدوني على القيام بالمهمة الملقاة على عاتقنا.

إنني خادم في هذه البلاد العربية لنصرة هذا الدين، وخادم الرعية، إن المُلكَ لله وحده، وما نحن إلا الخدم لرعايانا، فإذا لم ننصف ضعيفهم، ونأخذ على يد ظالمهم، وننصح لهم، ونسهر على مصالحهم نكون قد خُنّا الأمانة المودوعة إلينا.

إننا لا تهمنا الأسماء ولا الألقاب، وإنما يهمنا القيام بحق واجب كلمة التوحيد، والنظر في



الأمور التي توفر الراحة والاطمئنان لرعايانا.

إن من حقكم علينا النصح لكم في السر والعلانية، ومن حقنا عليكم النصح لنا، فإذا رأيتم خطأ من موظف، أو تجاوزًا من إنسان فعليكم برفع ذلك إلينا لننظر فيه، فإذا لم تفعلوا فقد خنتم أنفسكم ووطنكم وولايتكم».

من خطاب ألقاه على أهل المدينة المنورة في ١٣٤٦/١١/١٢هـ.

«أنتم رؤساء البلاد، وقادة الأمة وكبراؤها، وأدرى بما يحسون به وما يشعرون، فيجب عليكم أن ترفعوا إليَّ كل ما يتظلمون منه، وترشدوني إذا رأيتموني ضللت عن طريق الحق، وإذا لم تفعلوا ذلك فأنتم المسؤولون، وإني أطلب منكم ومن غيركم أن من رأى مني شيئًا مخالفًا فليوضحه لي، ويرشدني إلى طريق الحق، ولكن كما قال عمر بن الخطاب لمن أراد أن ينصحه: «فليكن ذلك بيني وبينك»، فوالله إذا رأيت الحق أتبعه، لأنني مسترشد، ولست بمستنكف، ومن رأى شيئًا وكتمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين...

أما المظلمة التي تصلني فإنني لا أتركها، بل أبحثها، وأحقق فيها، والتي لا تصلني فالذنب فيها على من رأى، وكتم، وإذا علمت به فسيكون جزاؤه عندي أعظم من جزاء غيره».

من خطبة جلالته في دار المالية بمكة في ١٣٥١/١/١٦هـ.

«أنا مسالم للناس، وأحب النصيحة قبل كل شيء؛ لأن الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

أنا مدافع؛ لأنني ما حاولت في وقت من الأوقات أن أعتدي على إخواني وأبناء قومي، وكنت في كل وقت أقابل ما يصدر إليَّ منهم من إساءة أو خطيئة بصدر رحب على أمل أن يرجعوا إلى الصواب، ولكنني إذا رأيت تماديًا في الغي والإساءة أضطر حينذاك للدفاع».

من خطبة جلالته على كبار الحجاج في مأدبة العشاء الملكية بمكة في ١٣٥١/١٢/٢٥هـ.

سوء أحوال المسلمين

«يجب على المسلمين أن يقلعوا عما هم فيه، فإذا فعلوا فسيغفر الله لهم. لقد غفر الله أعمال عمر في الجاهلية حتى غدا الفاروق في الإسلام، وغفر لخالد بن الوليد حتى أصبح سيف الله في أرضه...

يجب أن يعتبر المسلمون من حالتهم اليوم، فإنهم لم يصلوا إلى ما هم عليه الآن إلا من كثرة أقوالهم وعدم أفعالهم، إلا أن العمل هو أساس النجاح، وأن العقيدة الصحيحة هي أساس الفلاح».

من خطبة جلالته أمام كبار الحجاج في مأدبة العشاء الملكية بمكة في ١٣٤٥/١٢/٧هـ.

«إن العرب في هذا الزمن تأخروا كثيرًا، وليس لهم من المجد شيء، فوسائل القوة كلها بيد غيرهم، وإذا لم يرجع العرب إلى الأصل الذي نشأ عليه أولهم فما هم ببالغين شيئًا إلا أن يشاء الله».

من خطبة جلالته في جدة في ١٣٤٦/١١/١٥هـ.

«أجل هذه حقيقة مؤلمة مرة يجب أن نعترف بها، وأن نقر بأننا نحن المسلمين لا يحب بعضنا بعضًا، بل نكيد لبعضنا حتى عند الأعداء، ولا نجد في ذلك غضاضة في أنفسنا. إنك لا تجد رابطة بين المسلمين تشد أزرهم، ولا ألفة تدفع عنهم العاديات، فالملك عدو للملك، والتاجر عدو للتاجر وهلم جرّا».

من خطبة جلالته أمام كبار الحجاج في مأدبة العشاء الملكية بمكة في عام ١٣٤٨هـ.

«إن الله قد جعل المسلمين فريقين: الفريق الأول المجاهدون الذين يرابطون للدفاع عن حوزة الدين، والفريق الآخر الذين يشتغلون بالصناعة والزراعة وغيرها، فنحن المسلمين إذا سرنا على هذا، فهنالك الرقي والحضارة والتمدن، أما ادّعاء أولئك المتفرنجين من المسلمين أن التمسك بحبل الدين يرجع بنا القهقرى إلى الوراء فهو ادّعاء باطل، وقول مكذوب؛ لأن الدين لا يمنع الناس من تعلم الصناعات وما شاكلها، بل هو يحث عليها في مواضع كثيرة من محكم آياته...

يقول هؤلاء المتنطعون: إن الأعداء يتألبون على المسلمين إذا كانوا لا يتمدنون، وإن الأعداء يناصبون المسلمين العداء إذا هم لا ينهضون.

إن الداء كامن في المسلمين، وإن الأذى آت من المسلمين للمسلمين أنفسهم؛ لأن هؤلاء الناس من المسلمين هم الذين يمهدون السبل للأعداء، وهم الذين يدلون الأعداء على عورات المسلمين...

فما هي هذه الأحزاب التي تناحر بعضها في ديار المسلمين؟ وعلى أي شيء يتناحرون؟ أليس تناحرهم من أعظم البلايا، وأكبر المصائب التي تدعو الأعداء إلى التألّب على المسلمين؟ أليست هذه الأحزاب، وهذه المشادة التي شجرت بينها من أشد العوامل والأسباب التي تحمل على السخرية بالمسلمين، وعلى إيقاع الأذى بالمسلمين؟»

من خطبة جلالته أمام كبار الحجاج في مأدبة العشاء الملكية بمكة في ١٣٤٩/١٢/٦هـ.

«المسلمون هم سبب بلاء أنفسهم، يأتي أجنبي إلى بلد ما، فيه المئات، بل الألوف، بل الملايين من المسلمين، فيعمل عمله بمفرده، فهل يعقل أن فردًا في مقدوره أن يؤثر في ملايين الناس إذا لم يكن له من هذه الملايين أعوان يساعدونه، ويمدونه بآرائهم وأعمالهم؟ كلا ثم كلا! فهؤلاء الأعوان هم سبب بليتنا ومصيبتنا.

أجل إن هؤلاء الأعوان هم أعداء الله، وأعداء أنفسهم، إذن فاللوم والعتاب واقع على المسلمين وحدهم لا على الأجانب...

إن المسلمين هم مصدرالبلاء الذي أصابهم، وأكثر ذلك يتأتى عن طريق بعض الملوك والأمراء وعلماء السوء.. أولئك هم الذين ينظرون إلى مصالحهم الخاصة، ومنافعهم الذاتية، فيدوسون في سبيلها كل شيء يعترضهم في الطريق، إن هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة، وينامون على الوثير من الفراش لا يفكرون إلا بأنفسهم، ولم يحسبوا لله حسابًا».

من خطبة جلالته في حفل استقبال أقيم بمحلة أجياد بمكة في ١٣٥١/١١/٢٠هـ.

«لقد تفشى الجهل وساد التخاذل بين المسلمين فوصلنا إلى ما وصلنا إليه من الحالة الراهنة التي تعرفونها، ولم يبق من الدين إلا اسمه، وتفرقنا أيدي سبأ، وأصبح المسلمون فرقًا وشيعًا. أما أولئك الذين يطبلون ويزمرون لحضارة الغرب ومدنيته، ويريدون منا أن ننزل عندها فنتمثلها في بلادنا وبين أقدامنا، فإننا نسوق إليهم الحديث بتوجيه أنظارهم إلى هذه الأزمة الخانقة، وإلى هذا التبلبل السياسي، وإلى هذه الفوضى الاجتماعية السائدة في تلك البلاد، فإن نظرة واحدة لمن يتدبر في هذه الأوضاع السائدة في



هذه الأيام يلمس فساد تلك النظريات المتسلطة على عقول السذج من المسلمين والعرب».

من خطبة جلالته في مأدبة العشاء الملكية المقامة لكبار الحجاج بمكة في ١٣٥١/١٢/٥هـ.

«إن شرّنا نحن المسلمين هو منا وفينا، وأنا لا أخاف من أوربا كما أخاف من تخاذل المسلمين، وإن الواحد منهم يجيء إلينا، ويأخذ مالاً ووعوداً، ثم يكون هو جاسوسًا للإفرنج علينا، فيجب أن نعنى بصلاح أنفسنا أولاً، ثم نبحث في علاقتنا بأوربا. فأنا الآن أخاف شر المسلمين بعضهم من بعض أكثر مما أخاف شر الأجنبي، وأنا لا أود الاسترسال بالقول فألقيه على عواهنه جزافًا، بل أريد أن أقول كثيرًا، فإنني شأني أن أعمل ما أراه مفيدًا، وأنا مع المسلمين، وإنني لعربي، ومع الناس جميعًا لا أتخلف عنهم إذا كانوا على حق، ونحن الآن صحتنا سقيمة، ونحتاج إلى الأطباء والعلاج.

هذا وإن الطب خصّص لكل طبيب جزءًا خاصًا، فهناك طبيب الرأس وأجزائه، وهناك طبيب المعدة، وهناك طبيب للأشعة، وغير ذلك مما تعلمون، وخير ما نعمله هو إصلاح شؤوننا قبل كل شيء، ويجب أن نتفق على مصدر الداء، ونعمل على علاجه، وهذا لا يتأتّى إلا إذا أصلحنا أحوالنا فيما بيننا وبين أنفسنا».

من كلمة جلالته المنشورة بجريدة المقطم المصرية بتاريخ ٣١ آذار/مارس ١٩٣٥م.

التضامن والوحدة

«ليتفق المسلمون فيما بينهم على العمل بكتاب الله، وسنة نبيه، وبما جاء فيهما، والدعوة إلى التوحيد الخالص، فإني حينذاك أتقدم إليهم، فأسير وإياهم جنبًا إلى جنب في كل عمل يعملونه، وفي كل حركة يقومون بها، والله إنني لا أحب الملك ولا أبهته، ولا أبغي إلا مرضاة الله والدعوة إلى توحيده، ليتعاهد المسلمون فيما بينهم على التمسك بذلك وليتفقوا، فإني أسير وقتئذ معهم لا بصفة ملك ولا زعيم أو أمير بل بصفة خادم، أسير معهم أنا وأسرتي وجيشي و(بني) قومي، والله على ما أقول شهيد، وهو خير الشاهدين».

من خطبة له في حفل استقبال أقيم لجلالته بمحلة أجياد بمكة في ١٣٥١/١١/٢٠هـ.

«نحن نريد أن تكون علاقات العرب بعضهم ببعض علاقات إخاء وصداقة ووئام، وليس لأحد منا مطمع أو غرض، بل مطمعنا هو أن تكون جميع البلدان العربية سعيدة، وغرضنا أن يكون كل بلد عربي مستقلاً ولأهله، وأن تكون الكلمة في شؤونه له، وأنا لا أبغي شبر أرض واحد زيادة على المملكة التي ولينا عليها، ما نحن سوى خادمين للعرب، وإذا كان لنا أن نطالب العرب بشيء مقابل ما يوفقنا الله إلى إسدائه إليهم فهو أن يعضدوا جامعة الدول العربية بكل قواهم، وأن يلتفوا حولها بقلوبهم، وأن يخلصوا لميثاقها، فإن هذه الجامعة هي كل شيء لنا الآن نحن العرب».

من حديث جلالته المنشور بمجلة الإثنين ع٢١ كانو الثاني/ يناير ١٩٤٦م، والذي أدلى به في اليخت الملكي «المحروسة» الذي أقلّه في زيارته لمصر.

التقدم والمدنية

«إن الدين هو مركز المغناطيس الذي يجذب قلوب الناس إليكم، فتقوى بذلك قلوبكم، ويعظم مركزكم في الوجود، فدينكم وشرفكم العربي هو المغناطيس الحقيقي، فتمسكوا به تنجحوا وتروا الحرية الصحيحة، وليست الحرية أن يترك الإنسان لهواه في الوقت الذي يكون عنقه تحت الرق والأسر، ولكن الحرية الصحيحة هي حرية الإسلام الذي جعل الأمير والوضيع أمام العدل والحق سواء، وإنه لمما يثلج الصدر أن نرى الأمير والضعيف يسيران معًا ليقفا أمام الشرع ليقضي بينهما».

من خطبة له في جدة في ١٣٤٦/١١/١٥هـ.

«يقول كثير من المسلمين: يجب أن نتقدم في مضمار المدنية والحضارة، وإن تأخرنا ناشئ عن عدم سيرنا في هذا الطريق، وهذا ادعاء باطل. فالإسلام قد أمرنا بأخذ ما يفيدنا ويقوّينا على شرط ألا يفسد عقائدنا وشيمتنا.

يقولون: إن المسلمين في تأخر، وبحثوا ليجدوا طريقة لتقدم المسلمين، فما وجدوا أمامهم إلا أن يقلدوا الأوربيين، ولكنهم لم يقلدوا الأوربيين فيما كان سبب قوتهم ومنعتهم، بل قلدوهم فيما لا يسوغ في دينهم.

فقد مضى على هؤلاء الذين يدَّعون الإسلام عشرات السنين، وهم يَدْعون الناس بالسر والعلانية بالقول والعمل لتقليد الأوربيين، ولكن من منهم عمل إلى اليوم إبرة، أو صنع طيارة، أو عمل بندقية أو مدفعًا؟ لقد قلدوهم، ولكن في غير ما يعود عليهم بالنفع، قلدوهم فيما يخالف ما ينتسب إليه المسلم، وقلدوا ملاحدتهم في الإعراض عن دين الله، ثم هم بعد ذلك يدعون أنهم مسلمون، وأنهم يدافعون عن الإسلام، ولقد أصبح الإسلام على ألسنتهم في الأيام الأخيرة من الألفاظ الممجوجة التي تنبو عنها أسماعهم».

من خطبة جلالته في مأدبة العشاء الملكية المقامة لكبار الحجاج بمكة في ١٣٤٩/١٢/٦هـ.

«ليس هناك ما يضر العرب إن هم أخذوا عن الأوربيين ما يفيدهم ويلائمهم، ولكنهم مع الأسف لم يأخذوا في أحوال كثيرة إلا ما يضر».

من حديث جلالته المنشور بمجلة الإثنين «المصرية» ع٢١، كانون الثاني/يناير ١٩٤٦م، والذي أدلى به على اليخت الملكي «المحروسة» الذي أقله عند زيارته لمصر.

العلم والعمل

«للإنسان مال وولد، وأقارب وأعمال، كل ذلك يذهب ما خلا الأعمال، والأعمال تحتاج إلى النية والإخلاص، واتباع كتاب الله وسنة رسوله، فمن أحسن نيته مع اللّه فقد كفاه الشر.

والمسلم لا يرقى إلا بالدين، واللّه لا يعبد بالبهرجة، وإنما يعبد بالحقائق، فإذا أنا حملتكم على ما يرضي الله فأبشروا بالخير والعكس بالعكس».

من خطبة جلالته في مكة المكرمة في شهر ذي القعدة ١٣٤٥هـ، على جماهير غفيرة من المواطنين.

«إن المدنية الصحيحة هي التقدم والرقي، والتقدم لا يكون إلا بالعلم والعمل، إن حالة المسلمين اليوم لا تسر، وإن الحالة التي هم عليها لا يقرها الإسلام، يجب على المسلمين أن يتدبروا موقفهم جيدًا، ويعملوا لتطهير قلوبهم من الأدران التي علقت بها، فإن الموقف دقيق».

من خطبة جلالته في المأدبة الملكية المقامة لكبار الحجاج في مكة في ١٣٤٥/١٢/٧هـ.

«نحن نريد أن نسير إلى الأمام، ولكن بأقدام ثابتة وعلى ضوء النهار، إن رأينا واعتقادنا وآمالنا في السير إلى الأمام يجب أن تكون وفق ما كان عليه نبينا عليه الصلاة والسلام، وما كان عليه السلف الصالح، فما كان موافقًا للدين في أمور الدنيا سرنا عليه، وما كان مخالفًا للدين نبذناه، والموظفون هم المكلفون بتبيان هذه الحقائق، بيد أن ذلك لا يكفي، وإنما يجب أن يقرن القول بالعمل،



يجب أن يعمل الموظفون بما أمر الله ورسوله به دون أن يخشوا في الحق لومة لائم ولا ارتياب مريب».

من خطاب جلالته في اجتماع له بكبار الموظفين في الدولة في ١٣٤٦/٣/١هـ.

«وإني أحثكم على العمل الذي فيه اكتساب معيشتكم، فابذلوا كل ما في وسعكم لذلك، وهذه أرض الله واسعة فاسعوا في مناكبها، ولا تركنوا إلى الكسل والخمول فإن عاقبتهما وخيمة».

من خطبة جلالته في دار المالية بمكة في ١٣٥١/١/١٦هـ.

«عشت خمسة وعشرين عامًا في الفيافي والقفار، ولقيت من شظف العيش، ومرارة الحياة شيئًا كثيرًا، ونالني من طعنات السيف والسنان ما جعل الحياة في نظري لا تساوي شيئًا مذكورًا بالنسبة لإعلاء كلمة الحق ورفع راية الاستقلال».

من حديثه للصحفيين السوريين الذين تشرفوا بزيارته في قصر الزعفران، وهو منشور بمجلة الإثنين ع٢١ يناير/كانون الثاني١٩٤٦م.

السياسة الدولية

«أنا لقد قلت دائمًا: إن ألمانيا واليابان ستنتهيان هذه النهاية، وجميع رجالي الموجودين معي هنا يذكرون أنني كنت دائمًا أقول ذلك، أما ألمانيا فلأنها جاوزت كل حد، فدلت على أنها واقعة وهالكة لا محالة.

وأما اليابان فلأنها ما كادت تواجه أول ضربة حتى تراجعت، وظلت تتراجع، فدلت على أن قوتها لن تستطيع أن تصمد لقوة الآخرين».

من حديث جلالته المنشور بمجلة الإثنين المصرية ع٢١ كانون الثاني/يناير ١٩٤٦م، والذي أدلى به جلالته في اليخت الملكي «المحروسة» الذي أقلّه إلى مصر في زيارة لها.

فلسطين في أقوال الملك عبدالعزيز

«إن مكاثرة شعب آمن في وطنه وبلاده بشعب غريب أجنبي له مطامع قوية في وطنه مما لا يستطيع شعب في العالم، ولا حكومة من حكومات الأرض قبوله، ولم يسبق له مثيل في تاريخ الشعوب...

مشروع تقسيم فلسطين نكبة على العرب والمسلمين.

حكم القرآن في النصارى خلاف حكمه في اليهود، فعداوة النصارى سياسية، وعداوة اليهود ضرورة دينية على كل مسلم أن يؤمن بها».

من مذكرة الملك عبدالعزيز للحكومة البريطانية. ٣١ يناير/كانون الثاني ١٩٣٧م.

ليس في جسمي ذرة لا تدعوني لقتال اليهود.

إني أفضل أن تفنى الأموال والأولاد والذراري، ولا يتأسس لليهود ملك في فلسطين.

إن تأسيس دولة لليهود في فلسطين مناف لمصالح العرب، ومهدد بمحو العرب ليس في فلسطين وحدها، بل في سائر البلاد العربية».

من مذكرة الملك عبدالعزيز للحكومة البريطانية، ٢٠ يونيو/حزيران ١٩٣٨م.

«ليس من العدل أن يطرد اليهود من جميع أنحاء العالم، وأن تتحمل فلسطين الضعيفة المغلوبة على أمرها هذا الشعب برمته».

من رسالة الملك عبدالعزيز لروزفلت، ٢٩ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٣٨م.

«إننا لا نريد محو اليهود، ولا نطالب بذلك، ولكنا نطالب بألا يمحى العرب من أرض فلسطين من أجل إسكان اليهود فيها...

إن فلسطين لا تستطيع أن تحل قضية اليهود العالمية...

لو فرضنا أن أحكام الظلم طبقت على فلسطين بكل معانيها، بمعنى أنه لو فرضنا أن قتل أبناء فلسطين العرب عن بكرة أبيهم رجالاً ونساءً وأطفالاً وأخذت أراضيهم، وسلمت كلها لليهود فإن ذلك لا يمكن أن يحل مشكلة اليهودية، ولا يمكن أ ن يؤمن أرضًا كافية يسكنها اليهود، فلماذا يراد القيام بهذا الظلم الفرد الفذ في تاريخ البشرية بدون وصول إلى نتيجة ترضي الساعين أنفسهم في هذا القتل، ونعنى بهم اليهود؟.

لا يوجد أي حق لليهود في مطالبتهم بفلسطين، وإن كل ما يطلبونه فيها ليس إلا عدوانًا لم يسجل التاريخ له مثيلاً في تاريخ البشرية، ففلسطين عربية منذ التاريخ الأقدم، وموقعها في وسط البلاد العربية، ولم يسكنها اليهود إلا حقبة من الزمن، وكان أكثر مدة تاريخهم فيها مملوءًا بالمجازر والمآسي، ثم أُجلوا عنها، وجلوا منها منذ حقب من الزمن، هؤلاء القوم يراد اليوم أن يعيدوا سيرتهم الأولى، فيعتدى بذلك على الآمنين».

من مذكرة الملك عبدالعزيز لهارولد هوسكنز رسول روزفلت ليقدمها له، يوليو/ تموز ١٩٤٣م.

«شرف لي أن أموت شهيدًا في ميدان الجهاد دفاعًا عن فلسطين في معركتها ضد اليهود».

من حديث الملك عبدالعزيز للمفوض الأمريكي بجدة ذكره في تقرير لحكومته في ٥ يناير/ كانون الثاني ١٩٤٥م.

«إن مطامع اليهود ليست في فلسطين وحدها، فإن ما أعدوه من العداوة يدل على أنهم يبيتون العدوان على ما جاورها من البلدان العربية...

إن تكوين دولة يهودية بفلسطين سيكون ضربة قاضية لكيان العرب، ومهددًا للسلم باستمرار...

إن مساعدة الصهيونيين في فلسطين لا تعني خطرًا يهدّد فلسطين وحدها، بل إنه خطر يهدد سائر البلاد العربية، وقد أقام الصهيونيون الحجة الناصعة على ما ينوونه في فلسطين، وفي سائر البلاد المجاورة، فقاموا بتشكيلات عسكرية سرية خطيرة، ومن الخطأ أن يقال: إن هذا عمل شرذمة متطرفة منهم، وإن ذلك قوبل باستنكار جمعياتهم وهيئاتهم، وإنا نقول: إن أعمال الصهيونيين في فلسطين وفي خارجها صادرة عن برنامج متفق عليه ومرضي عنه من سائر الصهيونية».

من رسالة الملك عبدالعزيز لروزفلت، ١٠ مارس/ آذار ١٩٤٥م.

«أعطوا اليهود وأحفادهم أحسن بيوت الألمان وأراضيهم، أليس الألمان هم الذين اضطهدوا اليهود - كما تذكرون - إذن، هم الذين يُغَرَّمون.

أي شر ألحقه العرب بيهود أوربا؟ إنهم المسيحيون الألمان الذين سلبوهم أموالهم وأرواحهم، إذن، فليدفع الألمان الثمن!.

قال روزفلت: إني اعتمد على الكرم العربي، وعلى الملك عبدالعزيز في حل المشكلة الصهيونية، فأجابه ابن سعود: دع العدو الظالم يدفع الثمن، وعلى هذا الأساس نحن العرب نخوض الحرب، فالمجرم هو الذي يجب أن يؤدي الغرامة، وليس المتفرج البريء».

من الحوار المتبادل بين الملك عبدالعزيز وروزفلت في الاجتماع الذي تم بينهما في البحيرات المرة، ١٥فبراير/ شباط ١٩٤٥م.



كتب

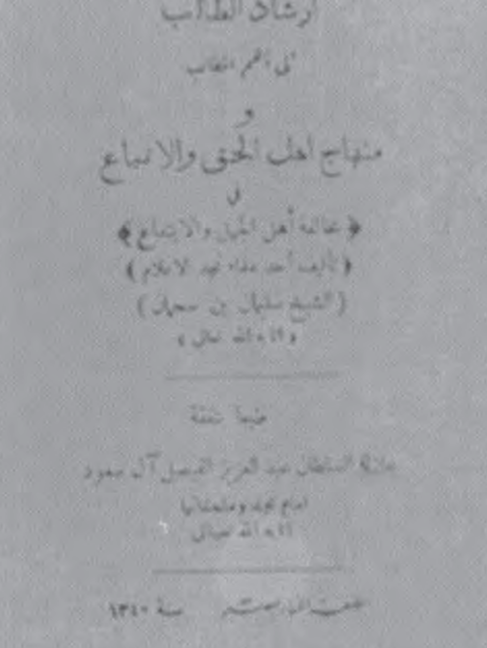
الملك عبدالعزيز والكتاب

أمين سليمان سيدو

تشير معظم الدراسات التي تناولت سيرة الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ إلى عنايته الفائقة بنشر العلم والمعرفة، وتشجيع طلبة العلم والعلماء ابتغاء مرضاة ربه. وعندما أراد أن ينشر الدعوة إلى الدين الخالص في جميع الأمصار استشار العلماء في خير الكتب التي ينبغي نشرها بين الناس ليعمل جهده في توفيرها، فذكرت له الكتب التي تبيِّن حقيقة التوحيد، وأن منها ما هو مطبوع، ومنها ما لم يطبع، فاشترى من المطبوع مئات الكتب بل الآلاف، وما لم يطبع منها أمر بطبعه وتوزيعه(١).

وكان حريصًا ـ يرحمه الله ـ على إحياء التراث الإسلامي، وذلك بأمره بطبع كتب الفقه على نفقته، وكان سخيًا في هذا الجانب حتى في وقت قلة ذات يده قبل ظهور البترول في بلاده وإنتاجه اقتصاديًا. فكان يهتم بشراء الكثير من الكتب الإسلامية من مصر والشام وغيرهما من البلدان، ويأمر بطبعها وتوزيعها على طلبة العلم والدارسين(٢).

وحرص ـ طيب الله ثراه ـ على طبع نفائس الكتب العلمية والأدبية والتراثية، يقول محمد بهجة البيطار: «وكنت أذكر الكتب الإسلامية الجامعة النافعة التي طبعها الإمام على نفقته، ووزعها إيمانًا واحتسابًا، في التوحيد والتفسير والحديث والفقه الإسلامي، تبلغ عشرات الألوف. أقول الكتب الإسلامية، ولا أقول: الكتب النجدية أو الوهابية؛ لأن معظم هذه الكتب التي طبعت ووزعت هي لأكبر رجال



الإسلام في القرون الوسطى كابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية، والمفسر العماد ابن كثير، والموفق ابن قدامة المقدسي صاحب المغني وأمثالهم..»(٣).

وقد أفرد خير الدين الزركلي في كتابه «الوجيز في سيرة اللمك عبدالعزيز» فصلاً عن عناية الملك عبدالعزيز بكتب السلف واهتمامه بها، ومساعدته أهل الكتب في الهند والشام. ولعل من أقدم تلك الكتب تاريخ ابن غنام «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام»، حيث طبع في بومباي سنة ١٣٣٢هـ، وديوان سليمان بن سحمان المسمى «الجواهر المنضدة الحسان»، وكذلك مجموعة من مؤلفاته في الرد على معارضي الدعوة السلفية، وبعض كتب ابن القيم، وابن تيمية، والشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكتاب «عنوان المجد في تاريخ نجد» لابن بشر، وكتاب «أخبار مكة» للأزرقي،

وكـذلك تـاريخ ابن كـثـيـر «البـداية والنهـاية»، وتفـسيـر ابن جـرير، وكـتـاب «المغني في الـفـقـه»، وكـتــاب «الشـرح الكبيـر»، ومسند الإمام أحمـد، وطبقات الحنابلة(٤).

وكان سخيًا في الإنفاق على إحياء كتب التراث الإسلامي، ويذكر الزركلي أن الملك عبدالعزيز قد وجه عناية خاصة إلى كتب العلوم الإسلامية المخطوطة، فأمر بطبع طائفة منها، وتوزيعها مجانًا، ومن تلك الكتب «تفسير القرآن الكريم» للإمامين ابن كثير والبغوي، و«أوضح البرهان في تفسير أم القرآن» للمعصومي، و«البداية والنهاية» لابن كثير، و«طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلي، و«روضة الأفكار: تاريخ ابن غنام»، و«مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» لجماعة من علماء نجد، و«مجموعة رسائل وفتاوى» لابن تيمية، و«مجموعة رسائل وفتاوى» لبعض علماء نجد، و«المغني والشرح الكبير» لموفق الدين وشمس الدين بن قدامة، و«الثلاثة الأصول والأربعة القواعد» للشيخ محمد بن عبدالوهاب، و«روضة الناظر» لابن قدامة مع شرح لبدران، و«مجموعة المتون في الفقه والتوحيد» لبعض علماء الحديث، و«جامع الأصول» لابن الأثير، وشرح «تهذيب مسند أبي داود» لابن القيّم، و«معالم السنن» للخطابي، و«مختصر السنن» للمنذري،



عبد العزيز الرفاعي

و«الآداب الشرعية» لشمس الدين بن مفلح، و«روضة المحبين» لابن قيم الجوزية، و«ديوان ابن سحمان»، و«التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل» لابن خزيمة، و«مجموعة التوحيد» للشيخ محمد بن عبدالوهاب، و«فتح المجيد في كتاب التوحيد»، لعبدالرحمن بن حسن، و«الهداية السنية»، و«كشف القناع»، و«شرح منتهى الإرادات» للبهوتي، و«زاد المستقنع» لشرف الدين الحجاوي، و«عمدة الفقه» لموفق الدين بن قدامة، و«مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي، و«العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية» لابن عبدالهادي، و«الفروسية» لابن قيم الجوزية، و«عمدة الأخبار في مدينة المختار» لأحمد بن عبدالحميد العباسي، و«يسر الإسلام»، لمحمد رشيد رضا، و«تاريخ القرآن الكريم وغرائب رسمه وحكمه» لمحمد طاهر الكردي، و«خديجة أم المؤمنين» لعبد الحميد الزهراوي(٥).


الكتاب
مجموعة التوحيد

وأشار الزركلي إلى أنه قد طبعت على نفقة الملك عبدالعزيز كتب كثيرة لم يذكر اسمها، إلا أنه كتب على صفحات بعض المطبوعات في الهند أنها «طبعت على نفقة من قصده الثواب من الأرباب».

واستخلص عبدالعزيز الرفاعي من منهج الملك عبدالعزيز في نشر الكتب التي أمر بنشرها، رغبته في تعميم الدعوة السلفية، وفي إتاحة كتب الفقه الحنبلي المهمة لطلاب العلم، وفي اختيار كتب مهمة في الحديث،

ومؤلفات العلماء المعتمدين في اختيار كتب مفيدة في التاريخ.. كما نشر بعض الكتب الأدبية، ودواوين الشعراء.

وحصر الرفاعي بيان الكتب المطبوعة على نفقة الملك عبدالعزيز بثمانية وتسعين كتابًا(٦). ونشر أمين سيدو دراسة تصنيفية (ببليوجرافية) عن الكتب المطبوعة على نفقة الملك عبدالعزيز(٧) أوضح فيها أنه قد بلغ مجموع الكتب التي تشملها القائمة الببليوجرافية تسعة وعشرين كتابًا، طبع منها تسعة عشر كتابًا بالقاهرة، وسبعة كتب بمكة المكرمة، وكتابان في دمشق، وكتاب واحد في بومباي بالهند، إلا أنه أضاف بعدئذ إلى هذه القائمة ثمانية كتب أخرى، طبعت خمسة كتب منها في القاهرة، وثلاثة كتب في مكة المكرمة، وقد بلغ مجموع ما وقف عليها الباحث من الكتب التي طبعت على نفقة الملك عبدالعزيز، واطلع عليها اطلاعًا مباشرًا سبعة وثلاثين كتابًا، ويوضح الجدول التالي التوزيع الجغرافي للكتب حسب أماكن نشرها:

مكان النشر	عدد الكتب
القاهرة	٢٤
مكة المكرمة	١٠
دمشق	٢
بومباي	١
المجموع	٣٧



وكانت المطابع آنذاك تتولى عملية الطباعة والنشر في آن واحد، فهناك ثلاث مطابع أولت اهتمامًا ملحوظًا بنشر الكتب التي طبعت على نفقة الملك عبدالعزيز، وهي: مطبعة المنار ونشرت ثلاثة عشر كتابًا، والمطبعة السلفية ونشرت ستة كتب، ومطبعة أم القرى ونشرت ستة كتب، أما مطبعة السنة المحمدية فقد نشرت ثلاثة كتب، ونشرت دار المعارف كتابين، بينما نجد أن كلاً من مطبعة السعادة، والمطبعة المنيرية، ومطبعة الترقي، ومطبعة الاعتدال، ومطبعة محمد علي صبيح لم تنشر سوى كتاب واحد، وهناك كتاب ضمن المجموع لَم يظهر على الغلاف اسم المطبعة، ويبين الجدول التالي عدد الكتب المنشورة من كل مطبعة باسمها، ورتب ترتيبًا تنازليًا:

اسم المطبعة	عدد الكتب
مطبعة المنار	١٣
المطبعة السلفية	٦
مطبعة أم القرى	٦
مطبعة السنة المحمدية	٣
دار المعارف	٢
مطبعة السعادة	١
المطبعة المنيرية	١
مطبعة الترقي	١
مطبعة الاعتدال	١
المطبعة القيمة	١
مطبعة محمد علي صبيح وأولاده	١
[د.ن.] لم يذكر اسم المطبعة على الغلاف	١
المجموع	٣٧

وقد بدأت عملية طباعة الكتب على نفقة الملك عبدالعزيز ـ وفق المطبوعات التي اقتصرت عليها هذه الدراسة ـ ابتداءً من سنة ١٣٤٠هـ، وطبع في هذه السنة كتابان في مجلد واحد وهو «إرشاد الطالب إلى أهم المطالب»، و«منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع» لسليمان بن سحمان، طُبعا بمطبعة المنار في القاهرة، وتوالت طباعة الكتب على نفقته ـ يرحمه الله ـ حتى نهاية سنة ١٣٧٢هـ، وفق الجدول التالي الذي يبين عدد الكتب المنشورة في كل سنة:

السنة	العدد
١٣٤٠	١
١٣٤٢	٢
١٣٤٣	٣
١٣٤٤	٣
١٣٤٦	٤
١٣٤٨	٢

١٣٤٩	٥
١٣٥٠	٢
١٣٥٣	١
١٣٥٦	١
١٣٥٧	٢
١٣٥٨	١
١٣٦٦	٢
١٣٦٨	٢
١٣٧٢	٢
[د.ت.] دون تاريخ	٤
المجموع	**٣٧**

وقد اختلفت صياغة النماذج على أغلفة الكتب التي توضح ما طبع منها على نفقة الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - وإن كان الهدف منها واحداً، على سبيل المثال: كتاب «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» لمؤلفه ابن قيم الجوزية، حيث وردت عليه العبارة التالية، ودونت في سطر واحد، وهي:

«طبع بإذن خاص من وكالة جلالة ملك نجد والحجاز وملحقاتها بمصر».

أما كتاب طبقات الحنابلة لابن الفراء، فقد توزعت المعلومات على أربعة أسطر، نصها كما يلي:

«من مطبوعات

صاحب الجلالة السعودية ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها».

وكذلك كتاب مختصر الصواعق لابن قيم الجوزية، توزعت المعلومات فيه أيضًا على أربعة أسطر، كالآتي:



محمد بهجة البيطار

«أمر بطبعه على نفقته، وجعله وقفًا لله تعالى

جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها،

أدام الله نصره وتأييده».

والكتاب المفيد في معرفة حق الله على العبيد المسمى مجموعة التوحيد للشيخين ابن تيمية، ومحمد بن عبدالوهاب، حيث جاءت المعلومات على الكتاب في ثلاثة أسطر، كالآتي:

«طبع على نفقة محيي آثار السلف الصالح

عظمة السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود

متع الله العرب والمسلمين بحياته».

و«إرشاد الطالب إلى أهم المطالب» و«منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع» لسليمان بن سحمان، فقد جاءت المعلومات على أربعة أسطر، كالآتي:

«طبعا بنفقة

جلالة السلطان عبدالعزيز الفيصل آل سعود

إمام نجد ومحلقاتها».

و«النفحة القدسية والتحفة الأنسية» لأحمد ابن عبدالقادر الحفظي، توزعت المعلومات فيه على ثلاثة أسطر، كالآتي:

«من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية، ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبدالعزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها».

و«الهدية السنية





والتحفة الوهابية النجدية لجميع إخواننا الموحدين أهل الملة الحنيفية والطريقة المحمدية»، فقد جاءت المعلومات فيه أيضًا على ثلاثة أسطر، كالآتي:

«طبعت بأمر جلالة السلطان عبدالعزيز آل سعود
إمام مملكة نجد وملحقاتها،
أثابه الله».

ومجموعة رسائل وفتاوي في مسائل مهمة تمس إليها حاجة العصر، لعلماء نجد الأعلام، حيث توزعت المعلومات فيه على ثلاثة أسطر، كالآتي:

«من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية، ومحيي السنة المحمدية
الإمام عبدالعزيز آل سعود
ملك الحجاز ونجد وملحقاتها».

وكتاب «الضياء الشارق في رد شبهات المازق المارق» لسليمان بن سحمان، جاءت المعلومات فيه على ثلاثة أسطر، كالآتي:

«طبع بأمر جلالة ملك الحجاز ونجد
عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود
أيده الله تعالى».

وهذه قائمة باثنين وعشرين عنوانًا من الكتب التي طبعت على نفقة الملك عبدالعزيز، يرحمه الله، وصيغ ما دُوِّن على أغلفة الكتب من معلومات توضح بيان حق الملك عبدالعزيز في الإنفاق على نشر هذه الكتب، وهي:

* كتاب عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين.

(طبع بإذن خاص من وكالة جلالة ملك نجد والحجاز ملحقاتها بمصر).

* الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية

(طبعت بأمر جلالة السلطان عبدالعزيز آل سعود إمام مملكة نجد وملحقاتها، أثابه الله).

* كتاب تنبيه ذوي الألباب السليمة من الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة.

(طبع بأمر ونفقة صاحب الجلالة السعودية الإمام عبدالعزيز آل سعود ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها).

* مجموعة الرسائل والمسائل النجدية.

(طبع على نفقة صاحب الجلالة السعودية ومحيي السنة المحمدية الإمام





عبدالعزيز آل سعود ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، أيده الله).

* كتاب الضياء الشارق في رد شبهات المازق المارق.

(طبع بأمر جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، أيده الله).

* النفحة القدسية والتحفة الأنسية.

(من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ومحيي السنة المحمدية الإمام عبدالعزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها).

* تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري.

(أمر بطبعه الإمام القائم على حدود الشريعة محيي آثار السلف الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، أدام الله توفيقه لصادق القول وصالح العمل).

* تفسير الحافظ ابن كثير.

(من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية، ومحيي السنة المحمدية الإمام عبدالعزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها).

* المغني.

(طبع بأمر ونفقة الإمام عبدالعزيز آل سعود ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها)

* روضة المحبين ونزهة المشتاقين.

(من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية، ومحيي السنة المحمدية الإمام عبدالعزيز



خير الدين الزركلي

ابن عبدالرحمن آل سعود ملك الحجاز ونجد ملحقاتها).

* مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة.

(أمر بطبعه على نفقته، وجعله وقفًا لله تعالى جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، أدام الله نصره وتأييده).



* الكتاب المفيد في معرفة حق الله على العبيد.

(طبع على نفقة محيي آثار السلف الصالح عظمة السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، متع الله العرب والمسلمين بحياته).

* فهرس مجموعة التوحيد النجدية.

(أمر بطبعها على نفقته صاحب الجلالة السعودية، ومحيي السنة المحمدية الإمام عبدالعزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها).

* ترجمة صاحب كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل.

(طبع على نفقة جلالة الإمام عبدالعزيز آل عبدالرحمن السعود ملك المملكة العربية السعودية، نصره الله آمين).

* طبقات الحنابلة.

(من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية، ومحيي السنة المحمدية الإمام عبدالعزيز ابن عبدالرحمن آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها).

*تقويم الأوقات لعرض نجد.

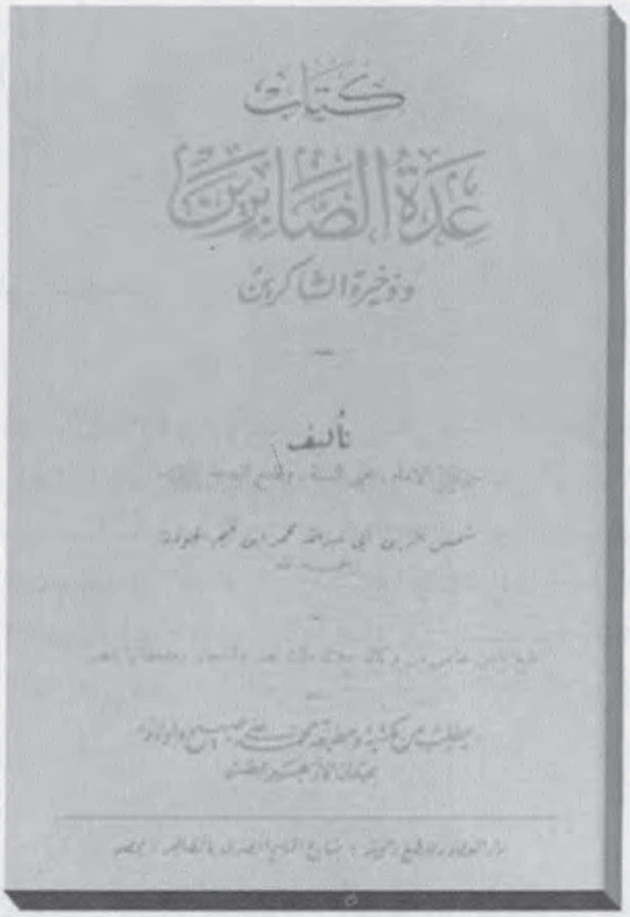
(طبع على نفقة صاحب الجلالة جلالة ملك المملكة العربية السعودية عبدالعزيز العبدالرحمن الفيصل آل سعود).

* كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية.

(أمر بطبعه ناصر السنة، ومحيي آثار السلف الصالح حضرة صاحب الجلالة الإمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة







العربية السعودية).

* كتاب السنة.

(أمر بطبعه على نفقته، وجعله وقفًا لله تعالى جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها).

* إرشاد الطالب إلى أهم المطالب، ومنهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع.

(طبعا بنفقة جلالة السلطان عبدالعزيز الفيصل آل سعود إمام نجد وملحقاتها، أثابه الله تعالى).

* روضة الناظر وجنة المناظر.

(أمر بطبعه الإمام القائم على حدود الشريعة، محيي آثار السلف السلطان عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، أدام الله توفيقه لصادق القول، وصالح العمل)

* مجموعة رسائل وفتاوى في مسائل مهمة تمس إليها حاجة العصر.

(من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية، ومحيي السنة المحمدية الإمام عبدالعزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها).

* كتاب شرح الطحاوية في العقيدة السلفية.

(أمر بطبعه على نفقته، وجعله وقفًا لله تعالى جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها).

الهوامش والمراجع

١- جريدة أم القرى.- ع ٢١٩ (١٣٤٧/٩/٢٧هـ). وانظر أيضًا: السملان، محمد بن عبدالله. رعاية الملك عبدالعزيز للعلم والعلماء.- الفيصل.- س١٧، ع ١٩٤ (شعبان ١٤١٣هـ/ شباط/فبراير ١٩٩٣م) .- ص ٦٢.

٢- الزامل، عبدالله العلي. أصدق البنين في تاريخ آل سعود.- بيروت: المؤسسة التجارية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.- ص ٣٨٢.

٣- جريدة الإصلاح.- ع ١٢ (١٣٤٧/٨/١٥هـ).

٤- الحقيل، عبدالله بن حمد. الملك عبدالعزيز: صفحات مضيئة من عنايته بالكتاب وتقديره للعلماء وطبع إنتاجهم.- المجلة العربية.- س ١٦، ع١٨٣ (ربيع الآخر ١٤١٣هـ/سبتمبر - أكتوبر ١٩٩٢م)، .- ص٨٣.

٥- الحقيل، عبدالله بن حمد. عناية الملك عبدالعزيز بالعلم واهتمامه بالعلماء.- الدارة.- س١٣، ع٢ (المحرم ١٤٠٨هـ/ أغسطس/آب ١٩٨٧م)، .- ص ١٩٧-١٩٨.

٦- الرفاعي، عبدالعزيز أحمد. عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .- ١٩-٢٠.

٧- سيدو، أمين سليمان. الملك عبدالعزيز ونشر الكتب: قائمة بيليوجرافية بالكتب المطبوعة على نفقته والموجود منها في مكتبة الملك فهد الوطنية.- مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية.- مج١، ع٢ (رجب - ذو الحجة ١٤١٦هـ/ديسمبر/ كانون الأول ١٩٩٦م)،.- ص ٩٣-٩٧.

نقود الملك عبدالعزيز المضروبة

فيصل بن علي الطميحي

تتمتع نقود أم القرى المضروبة في العامين ١٣٤٣هـ و ١٣٤٤هـ، بأهمية كبيرة في دراسة التطورات المتعلقة بنقود الملك عبدالعزيز بشكل خاص، ونقود المملكة العربية السعودية بشكل عام، وعلى الرغم من ذلك - فإن نقود أم القرى تهتم بإلقاء الضوء على الجوانب التاريخية لهذه النقود، فمعظم الدراسات التي تبحث في النقود السعودية - إن لم يكن كلها - كانت معنية في المقام الأول بالشق الاقتصادي أكثر من غيره. أمّا الدراسات التاريخية، فإني - ويا للأسف الشديد - لم أجد في أثناء إعداد هذا البحث وكتابته، ولو دراسة واحدة تعنى بإلقاء الضوء على الجانب التاريخي لنقود أم القرى، بله الجانب الحضاري لها.



وجها قرش واحد من النقود السعودية الرسمية الأ

وكل ما وجدته عن هذه النقود، في كل الدراسات التي اطّلعت عليها، كان ذكرًا سريعًا، يأتي في كل الأحوال مقرونًا بذكر السنين التي ضربت فيها النقود السعودية وتعدادها عمومًا، ونقود أم القرى على وجه الخصوص.

ولقد كان ذلك فرصة سانحة لكتابة هذا البحث عن نقود أم القرى، الذي قصرناه على الجانب التاريخي لهذه النقود، أما الجانب الحضاري المتعلق بالأساليب الفنية لتنفيذ هذه النقود، فلم ندرجه في هذه الدراسة، إذ إنه بحث آخر قائم بذاته، سنقوم بنشره في قادم الأيام إن شاء الله.

ـــي أم القـرى أهميتها ودلالتها

نبذة تاريخية

كان لدخول الملك عبدالعزيز مدينة الطائف وقع إيجابي كبير في نفوس تلك القوات(١)، وكان له من جانب آخر وقع سيّئ على أتباع الملك حسين بن علي في مكة المكرمة، فقد انهارت قواهم ومعنوياتهم بشكل كبير، وأصبحوا يرون أن القوات السعودية ستواصل زحفها نحو مكة المكرمة، فالطريق أصبح ممهداً أمام تلك القوات(٢). غير أن تلك القوات لم تفعل، فقد أمرهم الملك عبدالعزيز بإرجاء ذلك الأمر، والوقوف حيث هم(٣) لأنه كان يخشى من حدوث قتال داخل المدينة المقدسة، من جرّاء المقاومة التي سيلقاها الجيش السعودي(٤).

في فترة الترقب تلك بدأ أهالي مكة وأعيانها يغادرونها متوجهين إلى مدينة جدة(٥)، وهناك أقر أعيان المدينتين، مكة وجدة، ضرورة تنازل الملك حسين عن الحكم لابنه الأمير علي(٦) مؤملين من وراء ذلك أن يقود إلى حل سلمي مع الملك عبدالعزيز، فبويع علي في الخامس من شهر ربيع الأول من عام ١٣٤٣هـ، ملكًا على الحجاز، وحالما حدث ذلك توجه الملك علي إلى مكة لترتيب أمور المقاومة، أمّا أبوه فقد غادر إلى العقبة(٧).

أدرك الملك علي، أوّل وهلة، أن الوضع في مكة قد بات على غير ما يرجو، فقواته الموجودة فيها قليلة العدد والعدة، ولا يعول عليها كثيراً، بالإضافة إلى عدم وجود قائد لتلك القوات، فقائدها كان قد غادر مكة إلى جدة مع من غادر(٨)، ولم يكن أمام الملك علي، والوضع على تلك الحال، إلا الانسحاب بقواته إلى جدة، وقد تم ذلك في اليوم الخامس عشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٤٣هـ (٩). وبانسحابه أصبحت مكة المكرمة خالية من أي قوة، وأصبحت أبوابها مشرعة لدخول طلائع الجيش السعودي التي اكتمل دخولها إلى مكة المكرمة في اليوم السابع عشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٤٣هـ أي بعد يومين من خروج الملك علي من مكة(١٠).

كان الملك عبدالعزيزفي مدينة الرياض، حينما وصلته الأخبار بدخول قواته مكة المكرمة، فأخذ يعد العدّة للتوجه إليها، وفي اليوم الثامن من شهر جمادى الأولى من سنة ١٣٤٣هـ، دخل الملك عبدالعزيز مكة المكرمة محرمًا بالعمرة هو ومن معه، ثم أقبل عليه قاطنو مكة يرحبون به ويبايعونه(١١).

بعد فترة تقارب الشهر قضاها الملك عبدالعزيز في مكة المكرمة، رأى أنه لابد من مواصلة الزحف نحو جدة وانتزاعها من الملك علي المتحصن بها(١٢)، والذي قام بالمقابل بتوفير وسائل الدفاع اللازمة لصد القوات السعودية القادمة نحوه(١٣).



ـي سكت بعد البيعة العامة للملك عبدالعزيز ملكًا على الحجاز

حاصرت القوات السعودية مدينة جدة، واستمر حصارها نحو عام، تخلله مناقشات ومعارك بين الجانبين، كابدت فيها قوات الملك علي الكثير من الخسائر، كما أدى طول الحصار إلى نقص كبير في المؤونة داخل المدينة المحاصرة فزاد ذلك من سوء الأحوال التي كانت عليها جبهة الملك علي(١٤) غير أن قاصمة الظهر للملك علي كانت بوصول الأخبار إليه أن المدينة المنورة قد فتحت أبوابها للقوات السعودية، على الرغم مما تتمتع به حاميته الموجودة بها من قوة وعتاد(١٥).

أمام كل ذلك ـ لم يجد الملك علي حينها، إلا الرضا بالأمر الواقع، وتسليم البلاد للملك عبدالعزيز آل سعود، وذلك في أول يوم من جمادى الآخرة من عام ١٣٤٤هـ، وبذلك دخلت الحجاز ضمن البلاد التي وحّدها الملك عبدالعزيز(١٦).

النقود المضروبة في مكة المكرمة

أقدم نقد إسلامي معروف حتى كتابة هذا البحث، هو درهم فضي فريد ضرب في مكة، في عهد الخليفة العباسي المأمون(١٧) في سنة ٢٠١هـ(١٨)، واستمر ظهور النقود الإسلامية المضروبة في مكة فيما بعد، وإن كان على نحو نادر طيلة العصور الإسلامية المبكرة، فغير الدرهم العباسي المذكور، ظهرت نقود عباسية أخرى، ذهبية وفضية على



هذه النقود المضروبة عام ١٣٤٣هـ من فئتي النصف قرش(أ



أقدم نقد إسلامي معروف درهم فضي فريد ضرب في مكة في عهد الخليفة العباسي المأمون

السواء، ولكن في فترة لاحقة لتاريخ الدرهم السابقة(١٩)، كما ظهرت أيضًا على نقود بعض الدول الإسلامية التي أعلن حكامها سيطرتهم على مكة(٢٠)، وكان من أواخر ما ضرب من نقود في مكة في تلك العصور الإسلامية، الدرهم المؤرخ بسنة ٦٥١هـ(٢١) وهو يحمل اسم السلطان الرسولي الملك المظفر يوسف الأول(٢٢) واسم شريف مكة في تلك السنة جمّاز بن حسن بن قتادة(٢٣).

انقطع فيما بعد ظهور اسم مكة على النقود، حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري، حينما ضرب أشراف مكة نقودًا نحاسية خاصة بهم في تلك الفترة في دار الضرب بمكة(٢٤)، وفي عهد الملك حسين ابن علي توسع إنتاج دار السك في مكة، كما أنشأ بها دارًا أخرى لسك العملة(٢٥).

وفي العهد السعودي، كان ظهور اسم مكة المكرمة على النقود، في عهد الملك عبدالعزيز سنة ١٣٤٦هـ، وكان ذلك على نقوده الفضية، الريال وأجزائه(٢٦)، أما نقوده الذهبية فقد حملت اسم مكة المكرمة في عام ١٣٧٠هـ، على الجنيه الذهبي(٢٧). أما آخر ظهور لها على النقود، فكان في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز، على نقوده الفضية المضروبة في عام ١٣٧٤هـ، المتمثلة في الريال الفضي وأجزائه(٢٨).



ع القرش (أعلى) تعد أول نقودٍ على مر العصور تحمل اسم أم القرى كمكان سك



لم يظهر اسم أم القرى مكانًا لسك النقود طَوال العصور الإسلامية إلا في عهد الملك عبدالعزيز



والجدير بالذكر أن النقود التي ضربت في هذه المدينة الإسلامية، على مر العصور، كانت تحمل اسم دار السك (مكة) دونما إضافة، ما عدا بعض الحالات اليسيرة التي كان فيها اسم دار السك يرد مضافًا (المكرمة)(٢٩).

النقود المضروبة في أم القرى

أم القرى اسم من الأسماء الكثيرة التي تطلق على مكة المكرمة واشتهرت بها(٣٠)، وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم، حينما خاطب المولى سبحانه وتعالى رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم «*ولتنذر أم القرى ومن حولها*»(٣١).

غير أن الملاحظة الجديرة بالاهتمام أن اسم أم القرى، وغيره من الأسماء الأخرى المرادفة، ما عدا اسم مكة كما رأينا، لم يظهر كمكان سك على النقود طيلة العصور الإسلامية التي سك حكامها نقودًا في هذه المدينة المقدسة، إلا في عهد الملك عبدالعزيزآل سعود، الذي تميزت نقوده، كما تبين للباحث، أنها كانت أول نقود على مر العصور تحمل اسم أم القرى كدار سك جديدة للنقود المضروبة في هذه المدينة، فالدراسات التي عني أصحابها بحصر المدن البلدانية وتسجيلها والتي ظهرت كدور سك على النقود الإسلامية، لم تبين أن

لم يكن الهدف من نقود أم القرى التعامل الرسمي، بل كان هدفها تبيان أن مكة المكرمة أصبحت جزءا من الدولة السعودية



فئتا نصف القرش وربع القرش من النقود السعودية الرسم

أيًا من النقـود، وأيًا كـان نوعـهـا، قـد نقش عليـه دار السك أم القرى(٣٢).

على ضـوء هذا فـإن هذا البحث يـسجل أسـبقيـة لنقـود الملك عبدالعـزيز بحملها مكان السك «أم القرى» على نـقوده المضروبة في عام ١٣٤٣هـ، المتـمثلة في النقود النحـاسية من فئـات نصف القرش وربع القـرش ، وعلى نقـوده النحـاسيـة الأخـرى المضـروبة في عـام ١٣٤٤هـ، التي اقـتـصرت هذه المرة عـلى فئـات نصف القـرش ولم يعرف غيره ذلك(٣٣).

وكنا قـد رأينا، أن دارًا لسك النقـود كـانت توجـد في مكة، وقـد استـفاد الملك عبـدالعزيز من الوضع القائم لدار الـسك الموجودة في مكة حينما ضمها إلى دولته، وذلك بأن سك فيها نقوده المذكورة، ليس ذلك فحـسب، بل إن الملك عبدالعزيز، قـد استفـاد أيضًا من النقود النحاسـية المضروبة من قـبل، بأن أعاد ضـرب بعضهـا، وهي تحمل اسـمه، وتاريخ الضـرب ومكانه «أم القرى»، ويـتـضح ذلك من خلال بعض النقـود التي يظهـر من خلف الكتابات التي تحـملها بعض نقـوش الكتابات الـقديمة، وخاصـة المضروبة في أم القـرى عام ١٣٤٣هـ مما يدل على أنهـا سكت على استـعجـال نتج منه عدم الدقـة في التنفيـذ، وهذا الأمر، إضـافة إلى حملها اسم أم القـرى، للتمييـز بينها وبين نقود من سبق، يقودنا إلى القول بأن الملك عبدالعزيز قد قـصد من وراء سك هذه النقود تبيـان الأمر للخاصـة والعامة من الناس أن مكة المكرمـة قد أصبحت جزءًا من دولته.

أما النقـود المضروبة في أم القـرى في عام ١٣٤٤هـ، وهي تحـــمل رقم اثـنين (٢) فكان الهـدف منها، على مـا نظن، هو ترسيخ الأمـر الواقع بأن الأمور في مكة المكرمة قـد أصبحت تحت سيطرة الملـك عبدالعـزيز بلا جدال. ومع ذلك فـإن نقود أم الـقرى هذه وسـابقـتهـا، لم تكن عملة رسمية(٣٤) بـقدر ما كانت وسيلة لتحـقيق الأهداف التي ذكـرناها، ويقوي هذا الرأي، أن جـريدة أم الـقـرى، وهي الجـريدة الرسمية للـدولة منذ نشأتها، لم تتطرق أبدًا إلى نقـود أم القـرى، بل تـطرقت إلى النقـود التي تلت، وهي النقود النحـاسية النيكليـة المضروبة في عـام ١٣٤٤هـ، خـاليـة من اسـم مكان السك، وهـي من فـئـات القـــرش، ونصف القرش، وربع القـرش، وهي النقود التي سكت كمـا سنرى، بعد إعلان البيـعة مبـاشرة للملك عبدالعزيز ملكًا على الحجـاز، إذ إنها تحمل لقبه الذي أطلق عليـه بموجب البيـعة ملك الحجـاز وسلطان نجد(٣٥).





ولى التي سكت بعد مبايعة الملك عبد العزيز ملكًا على الحجاز

وجريدة أم القرى حينما تطرقت إلى النقود الأخيرة، أفادت بأن هذه النقود كانت أول خطوة قام بها الملك عبدالعزيز لإصدار عملة رسمية للدولة الجديدة(٣٦).

تحديد فترة سك نقود أم القرى

على الرغم من أن نقود أم القرى هذه تحمل العام الذي سكت فيه، حسبما هو ملاحظ من صور النقود وأشكالها المرفقة، إلا أننا، من خلال مجريات الأحداث التاريخية التي تطرقنا إليها من قبل، سنحاول جاهدين أن نحصر الفترة التي سكت فيها هذه النقود على وجه التحديد.

كان دخول قوات الجيش السعودي إلى مكة، كما رأينا من قبل، في السابع عشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٤٣هـ، أما دخول الملك عبدالعزيز إلى مكة، فقد كان بعد ذلك بفترة وجيزة، وتحديدًا في اليوم الثامن من شهر جمادى الأولى من العام نفسه، ونحن نستبعد أن يكون سك النقود المضروبة في العام المذكور قد جرى على يد أحد قواد الجيش السعودي، وذلك لقصر المدة بين دخول الجيش السعودي ودخول الملك عبدالعزيز، وهي فترة كما نرى، تقارب الشهرين، ثم إن الجيش السعودي قد كان معنيًا آنذاك بترتيب أمور مكة بعد دخوله إليها، أكثر من أي أمر آخر، إضافة إلى ذلك فإن ضرب النقود كان ولا يزال منذ أن عرفت النقود وشاع استخدامها، من الأمور التي لا تتم إلا تحت إشراف مباشر من أعلى سلطة زمنية ممثلة في الحاكم السعودي أو السلطان أو الملك(٣٧)، ومن ثَمَّ فإن ضرب تلك النقود كان - بلا أدنى شك - قد تم بأمر مباشر من الملك عبد العزيز وليس من غيره. وإن كنا نجهل بالضبط، في ظل قصور المعلومات المتاحة، متى تم ذلك الأمر؟، إلا أننا نكاد نجزم أنه قد حدث في الفترة التي أعقبت دخول الملك عبدالعزيز إلى مكة، وبعد مبايعة أهلها له، وهي الفترة التي تمتد إلى نهاية عام ١٣٤٣هـ، والتي تقدر بستة أشهر واثنين وعشرين يومًا تقريبًا. غير أن الاستعجال الذي نفذت به هذه النقود، يقودنا إلى القول بأن سكها قد جرى بعيد دخول الملك عبدالعزيز مباشرة إلى مكة، في إشارة واضحة إلى أن مكة قد أصبحت ضمن دولته، ولا نستبعد أن يكون قد جرى سكها إبان الشهر الذي دخل فيه الملك عبدالعزيز إلى مكة، وسيتضح هذا الأمر أكثر عندما نعرض إلى نقود أم القرى المضروبة في العام الذي يلي.

لا خلاف على هذه النقود بأنها قد سكت في الفترة المحصورة بين بداية عام ١٣٤٤هـ، وقبيل سقوط مدينة جدة في أيدي قوات الملك عبدالعزيز، الذي تم كما رأينا في اليوم الأول من جمادى الآخرة من العام المذكور، فقد كان الملك عبدالعزيز، وحتى تلك اللحظة - أي قبل البيعة - يلقب سلطان نجد وملحقاتها، على الرغم من خضوع معظم منطقة الحجاز إلى سلطانه(٣٨)، فاستمرار ورود اسم الملك



نقوش الكتابات القديمة تظهر من تحت نقوش الكتابات الجديدة في ه

عبـدالعزيز على نقود أم القـرى المضروبة في ذلك العام، خـاليًا من أي لقب، يعني بالضـرورة أن هذه النقـود قد ضـربت في الفترة المحصورة من بداية عام ١٣٤٤هـ إلى قبيل سقوط مدينة جدة، وقبل إعـلان البيعة العـامة للملك عبدالعـزيز، وهي فترة كما نرى تقدر بخمسةِ أشـهر فقط، غير أننا نستطيع أن نكون أكـثر دقـة في تحـديد تاريخ السك لهـذه النقـود، فـالرقم (٣) الذي تحمله هذه يعني السنة الثانية لتـولى الملك عبدالعزيز أمور السلطة في مكة المكرمة(٣٩)، ويمكن القول ، بناء على ذلك، إن هذه النـقـود لم تـسك في بداية العـام، لأنهـا لو كـانت كذلك، لمـا استدعى الأمـر حمل الرقـم المذكور، بسـبب عدم اكتمال العام، الذي سيكون في اليـوم الثامن من شهر جمادى الأولى من عام ١٣٤٤هـ، لأن الملك عبـدالعزيز قد دخل مكة في اليوم والشهـر نفسهما من العـام الفائت ١٣٤٣هـ، وإذا ما عرفنا ذلك، فـإن هذه النقود قـد سُكت بعد تمام العـام بدخول الملك عبدالعزيز إلى مكة المكرمة.

غير أننا نسـتطيع حصر الفترة التي سكت فيـها هذه النقود، وهي لا تخرج عن الفتـرة المحصورة بين اكتمـال العام على دخول الملك عبدالعزيز مكة، وبين سقـوط مدينة جدة في يديه، فسقوط مدينة جدة كما رأينا، تم في اليوم الأول من شهر جمادى الآخرة من عام ١٣٤٤هـ، وبه اكتمل ضم مـعظم الحجاز إلى دولة الملك عبـدالعزيز، الذي تـرتب عليـه أن أعلنت البـيعـة العـامـة للملك عبـدالعـزيز ملكًا علـى الحجـاز في اليوم الخامس والـعشـرين من جـمـادى الآخرة من عـام ١٣٤٤هـ، وأصـبح الملك عـبـدالعـزيز بمقتـضى تلك البـيعة ينادى «مـلك الحجاز وسلـطان نجد»(٤٠). وهذا بدوره ترتب عليـه أمر ارتبـط بنقـود الملك عـبـدالعـزيز، إذ أصدرت في ذلك العـام ـ وبعد البيعة مـباشرة ـ أول عملة رسـمية للدولة بمسـمـاها الجـديد، وهو الخبـر الذي أوردته صـحيـفـة أم القـرى، وسـبق الـتطرق إليـه، وعلى ذلك، فـإن نقـود أم القـرى المضروبة في عام ١٣٤٤هـ، تكون قد سـكت على وجه التقريب في فترة تقارب سبعة وأربعين يومًا.

نخلص مما سبق إلى أن نقود أم القـرى المضروبة في عام ١٣٤٣هـ، تتمتع بأهمية كبـيرة، لكونها أول دليل في مجال النقود، وعلى مر العصـور التي تعاقبت على مكة، يُظهر اسم أم القرى كـدار سك جديدة، كـما أن هذه النقـود، لم يكن الهدف منها التعامل الرسـمي، بل كان تبيان أن مكة المكرمة قد أصبحت إقليـما من أقـاليم دولة الملك عبد الـعزيز، وهذا الهدف الذي سكت من أجله نقود أم القرى، قد انتفى، فقد أصـبـحت الحجـاز كلها، وليست مكة فـقط، جزءًا لا يتـجزأ من دولة الملك عبـدالعزيز آل سعود، وهو الأمـر الذي أظهرته النقـود الرسـميـة الأولى، التي أبانـت مأثوراتهـا بكل جـلاء، الوضع الجـديد للدولة التي أصبـحت أمرًا واقـعًا تملأ السـمـع والبصر.



ود التي ترجع إلى عام ١٩٤٣هـ مما يدل على أنها سكت على عجل

الهوامش

١- العثيمين، عبدالله: معارك الملك عبدالعزيز المشهورة لتوحيد البلاد، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص٢٤٦.
٢- جبر، مصطفى النحاس: آل سعود في الجزيرة العربية من القبيلة إلى الدولة، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجامعي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص١٢٣.
٣- السباعي، أحمد: تاريخ مكة، الطبعة الثالثة، مكة، ١٣٨٧هـ، ج٢، ص٢٤٦.
٤- الريحاني، أمين: تاريخ نجد وملحقاته، الطبعة الخامسة، الرياض، ١٩٨١م، ص٣٣٥. داكيورت، فون ميكوش: عبدالعزيز، ترجمة أمين رويحة، دون تاريخ، ص١٨٧.
٥- السباعي: المرجع السابق، ج٢، ص ص ٢٤٥ - ٢٤٦.
٦- العثيمين: المرجع السابق، ص ٢٤٧.
٧- الريحاني: المرجع السابق، ص ص٢٣٦ - ٢٤١. السباعي: المرجع السابق، ج٢، ص ص ٢٤٦ - ٢٥٣.
٨- السباعي: المرجع السابق، ج٢، ص ٢٥٥.
٩- الريحاني: المرجع السابق، ص ٣٥٠. السباعي: المرجع السابق، ج٢، ص٢٥٥.
١٠- حمزة، فؤاد: قلب جزيرة العرب، الطبعة الثانية، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ١٣٨٨هـ، ص ص ٣٩٠ - ٣٩٤. داكيورت: المرجع السابق، ص١٩١.
١١- السباعي: المرجع السابق، ج٢، ص ص ٢٦٥ - ٢٦٦.
١٢- الريحاني: المرجع السابق، ص ٣٩١. السباعي: المرجع السابق، ج٢، ص ٢٦٨.
١٣- الريحاني: المرجع السابق، ص ٤٠٠ - ٤٠٢.
١٤- الزركلي، خير الدين: شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبدالعزيز، بيروت، ١٣٩٠هـ، ج١، ص ٣٤٧.
١٥- العثيمين: المرجع السابق، ص ٢٧٢.
١٦- الغلامي، عبدالمنعم: الملك الراشد، طبعة عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ص ص ٣٨ - ٣٩.
١٧- تناول سيرته العديد من المؤرخين، انظر على سبيل المثال، ابن دقماق: الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق محمد كمال، الطبعة الأولى، عالم الكتب، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١، ص ١٣١.
١٨- شما، سمير: أحداث عصر المأمون كما ترويها النقود، إصدارات كرسي سمير شما، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٥م، ص ٤٤١. الشرعان، نايف: نقود أموية وعباسية ضرب الحجاز ونجد وتهامة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم الآثار والمتاحف، جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ، ص١١٣.
١٩- شما، سمير: علاقة الخلفاء والحكام بالحجاز كما تظهرها بعض النقود المضروبة بمكة والمدينة، مجلة اليرموك للمسكوكات، المجلد السابع، سنة ١٩٩٥م، ص١٣. الشرعان: نقود أموية وعباسية، ص١٣.
٢٠- شما، سمير: علاقة الخلفاء والحكام، ص ٢١.
٢١- خليفة، ربيع حامد، طراز المسكوكات الرسولية، الإكليل، العدد الثاني، وزارة الإعلام، صنعاء، السنة السابعة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص٤٥.
٢٢- للتعريف به انظر الخزرجي، علي بن الحسن: العقود اللؤلئية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح محمد عسل، الفجالة، مصر، ١٣٢٩هـ/١٩١١م، ج١، ص٨٨.
٢٣- للتعريف به، انظر الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج٣، تحقيق فؤاد سيد ، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٤٣٥.
٢٤- KRAUSE (CH), MISHLER (C): WORLD COINS, 1982 EDITION KP, IOLA, WISCONSIN, P 1541.
٢٥- العتيبي، إبراهيم بن عويض، تنظيمات الدولة في عهد الملك عبدالعزيز - الطبعة الأولى، مكتبة العيكان، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص١١٤.
٢٦- دليل متحف العملات، من إصدارات مؤسسة النقد العربي السعودي، قسم المتحف، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص٢٦٣، رقم ٥، ٧، ٨.
٢٧- دليل متحف، ص ٢٦٢.
٢٨- دليل متحف، ص ص ٢٦٨ - ٢٦٩، رقم ١٦، ١٨، ٢٠.
٢٩- الشرعان: نقود أموية وعباسية، ص ١١٦.
٣٠- الفاسي: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، ج١، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٣٥.
٣١- سورة الأنعام من الآية ٩٢.
٣٢- الحسيني، محمد باقر: مدن الضرب على النقود الإسلامية، مجلة المسكوكات العراقية، العدد الخامس، سنة ١٩٧٤م، ص١٠٤.
٣٣- الكردي، محمد طاهر: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة، مكة المكرمة، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج٥، ص ٤٣٦.
٣٤- القويز، عبدالله: دراسة في تاريخ العملة النقدية السعودية، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، العدد الرابع، ١٩٨٠م، ص٧٤.
٣٥- الحاج، محمد سعيد: مؤسسة النقد العربي السعودي، إنشاؤها، مسيرتها وإنجازاتها، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، ص٤٥.
٣٦- أم القرى، عدد ٥٦ في ١٣٤٤/٧/٨هـ، وانظر العتيبي: تنظيمات الدولة، ص٣٣٩.
• الطغراء، توقيع يشتمل على اسم الملك أو السلطان. الدجيلي، غالب جاسم، نقود السلطان عبدالحميد الأول، المسكوكات العراقية، العددان الثامن والتاسع، ١٩٧٧ - ١٩٧٨م، ص٧٩.
٣٧- ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، الطبعة الأولى، دار العلم، بيروت، ١٩٧٨م، ص٢٥٧.
٣٨- راغب، عبدالواحد محمد: الملك عبدالعزيز يعلن، مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة العاشرة، محرم ١٤٠٥هـ/سبتمبر ١٩٨٤م، ص٢٦٧.
٣٩- الدجيلي؛ نقود السلطان عبدالحميد، ص ٨١ - ٨٤.
٤٠- انظر نص البيعة في جريدة أم القرى، العدد ٥٥ في ١٣٤٤/٦/٣٠هـ.



هذه النقود من أندر النقود السعودية، وما هو معروف منها على مستوى العالم قليل جداً، والرقم ٢ يعني السنة الثانية لضم الملك عبد العزيز مكة المكرمة



شعر

قُدُومٌ حَكَى وَشْيَ الرَّبيع*

محمد بن عثيمين

«الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وآله وصحبه. وبعد، فهذه أبيات بقلم محمد بن عبدالله بن عثيمين كتبها سنة ١٣٤٦هـ تهنئةً للمسلمين باجتماعهم بإمامهم، وحافظ عقد نظامهم، إمام المسلمين وأمير المؤمنين عبدالعزيز بن الإمام عبدالرحمن آل فيصل، نشر الله ذوائب ملكه على الأمصار، وكتب الذلة على من عاداه والصَّغار». وهذا نصها:

قُدُومٌ حَكَى وَشْيَ الرَّبِيعِ المُنَمْنَمَا
وأرِّجَ أُوْجُ الكَوْنِ لَمَّا تَنَسَّمَا[١]

وأشْرَقَتِ الدُّنْيَا ضِيَاءً وأُلْبِسَتْ
مِنَ الحُسْنِ بُرْدًا بالسعادة مُعْلَمَا[٢]

وعَاوَدَ نَجْدًا مَا مَضَى مِنْ شَبَابِها
ورَاجَعَهَا مِنْ حُسْنِهَا مَا تَقَدَّمَا[٣]

سِرَاجُ هُدًى عَمَّ الحِجَازَ بِنُورِهِ
وأشْرَقَ مَا ضَمَّ الحَطِيمَ وَزَمْزَمَا[٤]

فَلِلَّهِ كَمْ حَقٍّ أقَامَ وبَاطِلٍ
أزالَ وكَمْ جُودٍ أفَاضَ وأسْجَمَا[٥]

وفي مَسْجِدِ الْمُخْتَارِ طالَ مُقامُهُ
وَصَلَّى عَلَيْهِ مِنْ قَرِيبٍ وَسَلَّمَا[٦]

وأوضح مِنْ مِنْهَاجِهِ كُلَّ دَارِسٍ
وجَدَّدَ مِنْ آثارِهِ مَا تَثَلَّمَا[٧]

مَهَابِطُ وَحْيٍ قُدِّسَتْ مِنْ مَآثِمٍ
ومِنْ بِدَعٍ كَانَتْ إلى الشَّرِّ سُلَّمَا[٨]

وطَابَ لأهْلِيهَا المُقَامُ بِطَيْبَةٍ
وقَدْ شُرِّدُوا مِنْهَا فُرَادَى وَتَوْءَمَا[٩]

وأسْبَلَ فِيهِمْ مِنْ شَآبِيبِ جُودِهِ
سِجَالاً أرَاشَتْ كُلَّ مَنْ كَانَ مُعْدِمَا[١٠]

فَكَمْ مِنْ ضَعِيفٍ مِنْ يَتِيمٍ وأرْمَلٍ
يُنادي إذا مَا جَنَّهُ الليلُ مُظْلِمَا[١١]

إلهي أدِمْ نَصْرَ الإمامِ وعِزَّهُ
وأيِّدْهُ بالتوفيق يا رَافِعَ السَّمَا

فَقَدْ كَانَ للمُحْتَاجِ كَهْفًا ومَوْئِلاً
وقدْ كانَ للطَّاغِي حُسامًا مُصَمِّمَا[١٢]

فلما اسْتَقَرَّتْ بَعْدَ مَا أَلْقَتِ العَصَا
وأمِّنَتِ الأسْبَالُ والشَّرْعُ حُكِّمَا[١٣]

تَوَجَّهَ لِلدَّارِ التي عَمَرَتْ بِهِ
عَلَى الطَّائِرِ المَيْمُونِ سَارَ وَخَيَّمَا[١٤]

فَلِلّه هذا المَجْدُ كَيفَ تَفَرَّعَتْ
بَوَاسِقُهُ شَرْقًا وغَرْبًا وَمَشْأَمَا[١٥]

إِمَامَ الهُدَى إنَّ المَدَائِحَ فِيكُمُ
فَخَارٌ لِمُطْرِيكُمْ وَلَوْ كانَ مُفْحَمَا(١٦)

ألَسْتَ لِهذا الدِّينِ رُكْنًا ولِلعُلاَ
مَنَارًا وللأيَّامِ عِيدًا ومَوْسِمَا(١٧)

فَيَوْمَاكَ يَومٌ بِالمَوَاهِبِ مَاطِرٌ
ويَومٌ بِهِ الأسْيَافُ يَرْعُفْنَ بالدِّمَا(١٨)

فَكَمْ ناكِثٍ أهْوَى لِسَيْفِكَ سَاجِدًا
ولَمْ يَكُ ذا طُهْرٍ ولا مُتَيَمِّمَا(١٩)

وإنَّ أمِيرَ المؤمنينَ لَكَافِلٌ
لِبَاغِي الهُدَى التَّعْلِيمَ حتى يُفَهَّمَا

ومَنْ لا يُرِدْ إلاَّ الشِّقَاقَ فإنَّهُ
كَفِيلٌ لَهُ أن يَجْعَلَ السَّوْطَ مِخْذَمَا(٢٠)

فلا يَغْتَرِرْ قَوْمٌ رَفَعْتَ جُدُودَهُمْ
وأوْلَيْتَهُمْ مِنْ سَيْبِ جَدْوَاكَ أنْعُمَا(٢١)

فَكَمْ شَرِقٍ بَعْدَ الزُّلالِ وَغُصَّةٍ
تُذِيقُ العِدَى من جُرْعَةِ الموتِ عَلْقَمَا(٢٢)

ومَن ثَاوَرَ الأسْدَ الضَّوَارِي جَعَلْنَهُ
لأشْبَالِهَا تَحْتَ الأظافِرِ مَطْعَمَا(٢٣)

ومَنْ سَلَّ سَيْفَ البَغْيِ أصْبَحَ حَتْفُهُ
بِشَفْرَةِ ما قَدْ سَلَّ أوْ سَهْمِ ما رَمَى

وكَمْ قَادِحٍ نَارًا فكَانَ وَقُودَها
إذا حَسَّهُ منها شُوَاظٌ تَنَدَّمَا(٢٥)

عَفَوْتَ عَنِ الجانِينَ فَضْلَ تَكَرُّمٍ
ولا عَفْوَ إلاَّ أنْ يَكُونَ تَكَرُّمَا(٢٦)

سَجِيَّةُ مَطْبُوعٍ على الخَيْرِ لَمْ يَبِتْ
يُلاحِظُ أعْجَازَ الأمُورِ تَلَوُّمَا(٢٧)

أنَاةً وَحِلْمًا وانْتِظارًا بِهِمْ غَدًا
وإلا فَلاَ وانٍ ولا مُتَوَهِّمَا(٢٨)

كَذَاكَ المَعَالِي لا يَرُومُ بِنَاءَهَا
سِوَى مَنْ يَعُدُّ الحَمْدَ ذُخْرًا وَمَغْنَمَا(٢٩)

وإنَّ النَّدَى إنْ لَمْ يَكُنْ يَدْفَعُ الأذَى
يَكُنْ وَضْعُ حَدِّ السَّيْفِ في الأمْرِ أحْزَمَا(٣٠)

وَخَصَّكَ رَبُّ العَرْشِ بِالمُلْكِ مِنَّةً
ومَنْ قَدَّمَ الرحمنُ كانَ المقَدَّمَا

أمَدَّكَ بَعْدَ اللهِ قَلْبٌ مُشَيَّعٌ
وَهِمَّةُ مِقْدَامٍ على ما تَيَمَّمَا(٣٢)

ويَومَ كَسَوْتَ الجَوَّ فيهِ قَسَاطِلاً
أعَادَ النَّهَارَ المُشْرِقَ النُّورِ مُظْلِمَا(٣٣)

مَلأتَ بهِ الأسْمَاعَ رَعْدًا سَمَاؤُهُ
على كُلِّ بَاغٍ قَدْ طَغَى تُمْطِرُ الدِّمَا(٣٤)

فَمَا تَنْطِقُ الأسْيَافُ إلا تَصَلْصُلاً
ولا تَنْطِقُ الأبْطَالُ إلا تَغَمْغُمَا(٣٥)

وكَمْ خَدَجَتْ فيهِ الجِيَادُ مِهَارَهَا
وعَادَ كُمَيْتُ اللَّوْنِ منْها مُسَوَّمَا(٣٦)

ولَمْ يَعْرِفِ النَّاعِي الحَمِيمُ حَمِيمَهُ
غَدَاةَ رآهُ بالغُبَارِ مُلَثَّمَا

فإنْ أصْحَرُوا فالخيلُ قَيْدُ شَرِيدِهِمْ
وإنْ حَصُنُوا ذابُوا لُحُومًا وأعْظُمَا(٣٨)

أقَمْتَ بهِ عَرْشَ الهُدَى بَعْدَ مَا هَوَى
وقَوَّمْتَهُ بالبِيضِ حتى تَقَوَّمَا(٣٩)

ألا في سَبِيلِ اللهِ نَفْسٌ عَزِيزَةٌ
سَمَحْتَ بها في المأزِقِ الضَّنْكِ مُقْدِما(٤٠)

إمامُ هُدًى ما اعْتَمَّ بالتَّاجِ مِثْلُهُ
ولا عُدَّ أنْدَى مِنْهُ كَفًّا وأكْرَمَا(٤١)

ولا قادَها جُرْدًا إلى حَوْمَةِ الوَغَى
وأنْعَلَهَا هَامَ المُلوكِ المُعَظَّمَا(٤٢)

كَمِثْلِكَ يَا عَبْدَ العزيزِ بنَ فَيْصَلٍ
وإنْ أَطْنَبَ الشُّعَّارُ فِيمَنْ تَقَدَّمَا(٤٣)

وإنَّ امْرَأً لَمْ يَعْتَقِدْ لكَ بَيْعَةً
ويُمْسِي بِأَمْرِ اللهِ رَاضٍ مُسَلِّمَا

لَفِي حَيْرَةٍ مِنْ دِينِهِ أَوْ مُعَانِدٌ
وَبِئْسَ لَعَمْرِي مَوْرِدًا مُتَوَخَّمَا(٤٤)

أَلَيْسَ أَطِيعُوا اللهَ ثُمَّ رَسُولَهُ
كَذَاكَ وليَّ الأَمْرِ أَمْرًا مُحَتَّمَا(٤٥)

وَقَدْ حَضَّ خَيْرُ المُرْسَلِينَ مُحَمَّدٌ
على قَتْلِ مَنْ شَقَّ العصا كَيْفَمَا انْتَمَى(٤٦)

وَمَنْ لا يُفَكِّرْ في العَوَاقِبِ رُبَّمَا
هَوَى في مَهَاوِي جَهْلِهِ مُتَنَدِّمَا(٤٧)

وإنَّ سَرَاةَ المَجْدِ مِنْ آلِ مُقْرِنٍ
هُمُ لِلعُلا كَانُوا ذِمَامًا وَمَحْرَمَا(٤٨)

أَبَوْا يَتَوَلاَّهَا سِوَاهُمْ وَشَرَّعُوا
دُوَيْنَ حِمَاهَا السَّمْهَرِيَّ المُقَوَّمَا(٤٩)

أَحَلَّتْهُمُ دَارَ العَدُوِّ رِمَاحُهُمْ
وَبَذْلُهُمُ المَالَ النَّفِيسَ المُفَخَّمَا(٥٠)

أُولئكَ مَنْ لا يُحْسِنُ الطَّعْنَ غَيْرُهُمْ
إذا كَانَ وَجْهُ الكَوْنِ بالنَّقْعِ أَقْتَمَا(٥١)

فَلاَ مَجْدَ إلاَّ مَجْدُهُمْ كَانَ قَبْلَهُ
وَلا جُودَ إلاَّ مِنْ نَدَاهُمْ تَعَلَّمَا(٥٢)

وَصَلَّ إلهَ العَالَمِينَ مُسَلِّمَا
عَلَى خَيْرِ مَنْ صَلَّى وَصَامَ وَأَحْرَمَا

مُحَمَّدٍ الهَادِي الأَمِينِ وَآلِهِ
وَأَصْحَابِهِ مَا سَحَّ غَيْثٌ وَمَا هَمَى(٥٣)

---

* **نظمت القصيدة في قدوم الملك عبد العزيز من مكة ثم من المدينة إلى الرياض عام ١٣٤٦هـ، وقد أعدنا نشرها من ديوان «العقد الثمين» من شعر محمد بن عثيمين الصادر عن دار المعارف بالقاهرة.**

الهوامش

١- حكى: شابَهَ. وَشْي: نَقْش، ويقصد الشاعر نبات الربيع، وأزاهيره الجميلة.
المُنمنَم: المُزيّن المنقوش. أرَجُ: عِطْر: أوج الكون: يقصد ظاهر الوجود. تنسم: تفتّح وظهر وبان.
٢- بُرْدًا: ثوبًا. مُعْلَمًا: مطرّزًا
٣- راجعها: رجع إليها.
٤- أشرق: أضاء. الحطيم: ركن البيت الشريف.
٥- أقام: أظهر ونصر. جود: عطاء. أفاض: أجرى ومنح. أسجم: أهْطَلَ وأسال.
٦- مسجد المختار: المسجد الشريف النبوي، مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة. مُقامُه: مُكْثُه.
٧- منهاجه: طريقه وشرعه المُطَهَّر. دارس: عافٍ وزائل. تثلَّم: تهدَّم.
٨- مهابط وحي: أمكنة ينزل فيه الوحي من الله على رسوله صلى الله عليه وسلم.
سُلَّمًا: مرقاة يصعد بها إليه.
٩- طاب: حَسُنَ وصار طيّبًا. المُقام: الإقامة والنزول. طَيْبة: المدينة.
شرَدُوا: طُرِدُوا. فرادى: آحاد. تَوْءَمًا: أزواجًا.
١٠- أسبل: أرخى. شآبيب: جمع شؤبوب وهو في الأصل الدَّفعَةُ من المطر، ويقصد الشاعر فضل الممدوح وكرمه. جوده: عطائه. سجالاً: جمع سَجْل وهي الدلو الملأى، ويقصد العطايا الكثيرة. أراشت: أعانَتْ ونَفَعَتْ. مُعْدمًا: فقيرًا.
١١- أرمل: مسكين لا أهل له. جنّه الليل: شمله الليل.
١٢- كهفًا: حصنًا. موئلاً: ملجأً. حساما: سيفًا. مصممًا: قاطعًا.
١٣- استقرت: يعني الحالة. أمِنَتْ الأسبال: أصبحت الطرقات آمنة لا خوف من سلوكها.
١٤- الدار التي عمرت به: يعني مدينة الرياض.
١٥- تفرّعت: طالت وكثرت. بواسقه: غصونه المرتفعة. مَشْأَمًا: شمالاً.
١٦- مُطْرِيكم: مادحكم. مُفْحَمًا: عَيِيًّا غير فصيح.
١٧- رُكْنًا: دعامة وسندًا. منارًا: موضع النور والعلامة في الطريق.
الموسم: مجتمع الناس، ويطلق على الأعياد الكبيرة.
١٨- المواهب: العطايا. ماطرٌ: مُطِرٌ. الأسياف جمع سيف. يرْعَفْنَ: يَسِلْنَ.
١٩- ناكث: غادر وخائن. أهوى: خَرَّ. ساجدًا: ساقطًا ميّتًا.
٢٠- الشقاق: النّزاع والعصيان. مِخْذَمًا: سيفًا قاطعًا.
٢١- جدودهم: حظوظهم. سَيْب جدواك: عطائك ونعمتك.
٢٢- شَرَقٌ: غُصَّةٌ، وهي وقوف الماء والأكل في الحلق. الزُّلال: الماء العذب. علقما: مرارة شديدة، والعلقم: الحنظل.
٢٣- ثاور: أثار. الضَّواري: شديدة الفَرْس والأُكل. أشبالها: جمع شِبْل، وهو ولد الأسد.
٢٤- البَغي: العُدوان والبداءة بالشرّ. حَتْفه: هلاكه وموته. شفرة: حدّ.
٢٥- قادح: مُشعِل. حَسَّهُ: أسابه وأحرقه. شُواظ: حَرٌّ ولَهبٌ.
٢٦- تكرُّمًا: بلا مقابل.
٢٧- سجيّة: طبيعة وعادة. أعجاز الأمور: عواقبها. تلَوُّمًا: انتظارًا وتعلّلاً.
٢٨- الأناةُ: الرِّفْقُ. وانٍ: ضعيف. متوهمًا: ذو وَهمٍ وظَنّ.
٢٩- ذُخرًا: مُعدًا مدّخرًا لوقت الحاجة. مَغْنَمًا: مكْسبًا
٣٠- النّدى: الكرم والعطاء. الأذى: الشرّ. أحْزَم: أحكم وأضبط.
٣١- مِنّة: نعمة وفضلاً منه.
٣٢- أمَدَّك: أعانك. مُشيّعٌ: جريء ثابت يُشَجّعك ويقوّيك. مقدام: كثير الإقدام على ما يريد. تيمّم: قَصَد.
٣٣- قساطل: جمع قَسْطل، وهو الغبار الشديد.
٣٤- باغٍ: ظالم. طغى: تكبر وظلم.
٣٥- تَصَلْصُلاً: صليلاً، وهو صوت السيوف إذا تقارعت بأيدي الأبطال. الأبطال: الشجعان. تغمغمًا: أصواتًا غير مفهومة.
٣٦- خَدَجَتْ: ولدت ناقصة لم يكمل خَلْقها. كميتُ اللون: لونه أحمر مشوب بسواد. مُسَوَّمًا: مُعلّمًا واضحًا بما عليه من الغبار وآثار الطعان.
٣٧- الحميم: الصديق المحب.
٣٨- أصحروا: هربوا للصحراء. قَيْدُ شريدهم: تُقَيِّدُ باقيهم فتمسكه عن الهرب. حصّنوا: لجؤوا إلى الحصون، وامتنعوا فيها.
٣٩- هوى: سقط. البيض: السيوف. تقوّمُ: اعتدل.
٤٠- المأزق: مكان الحرب: الضَّنْك: الضّيق. مُقدمًا: مُسْرِعًا إلى القتال.
٤١- اعْتَمَّ: لبس عمامة. أندى: أكرم وأكثر عطاء.
٤٢- جُرْدًا: خيلاً. حَوْمَة الوغى: ساحة الحرب. أنعلها: ألبسها نعالاً. هام: جمع هامة، رأس كل شيء، ورئيس القوم وسيّدهم.
٤٣- أطنب الشعار: أطالوا المدح.
٤٤- حيرة: شك. متوخّمًا: عفنًا سيّئًا.
٤٥- يشير إلى الآية الكريمة في طاعة ولاة الأمور. محتّما. لازمًا.
٤٦- شقّ العصا: خرج عن طاعة وليّ أمر المسلمين. انتمى: انتسب.
٤٧- هوى: سقط. مهاوي: جمع مهوى ومَهْواة، وهي الحفرة العميقة.
٤٨- سراة: جمع سَرِيّ، صاحب الشرف والمروءة والسّخاء. آل مُقْرن: قبيلة الممدوح، ومقرن هو الجد السادس لجلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن عبدالله بن تركي بن محمد بن سعود بن مُقْرن. ذمامًا: كُفَلاء. مَحْرمًا: مكانًا يُتَحَرَّم فيه أي يُمْتَنع.
٤٩- يتولاها: يعني ولاية المسلمين. شرّعوا الرّمح: سدّدوه. دُوَيْن: مصغّر دون. السَّمْهَرِيّ: الرمح الطويل. المقوّما: المعدّل.
٥٠- أحلّتهم: أنزلتهم. المفخّما: المعظّما.
٥١- النقع: الغبار. أقتم: متغيّرًا مظلمًا.
٥٢- نداهم: كرمهم.
٥٣- سحّ: سال. غيث: مطر. همى: أمطر.

نشيد الرياض



معيض البخيتان

الرياضْ.. الرياضْ
الرياضُ أمُنا
الهوى والحليبْ
والمهادُ الحنونْ!!
صحَوُها نبضُنا..
ومسيلُ اللهيبْ
السَّنا والفتونْ!!
الرياضُ.. الرياضْ..
مئةٌ من العمر المديدْ(١)
مئةٌ من الخلقِ السعيدْ
مئةٌ من الإعجاز تَهدرُ
من معارج ألفِ عيدْ
من مباهر
ألفِ عيدْ!!
أمةٌ وحّدها الإيمانُ
والحبُّ الكبيرْ!!
مثلما التاريخُ منها
وإليها بالمثير!!
اسألوا التاريخ
عن أمجادنا!!
وترابَ النجم
عن أجدادنا!!
اسألوا الفطرة
في أعماقنا!!

الرياضُ النِّدا
والملبي الصدوقْ
والربيعُ الخفيضْ!!
من ثراها ابتدا
من يردّ الحقوقْ
والمدارَ العريضْ!!
اسألوا البيتَ
وآياتِ المكانْ!!
والسواري..
والمقاماتِ الحسانْ!!
عن مدى..
وحدةِ شعب لا يُهانْ!!
أمةٌ وحّدها الإيمانُ
والرمزُ الهمامْ!!
رمزها (عبدُالعزيز) الفذّ
والعدلُ النظامْ!!
الرياضُ.. الرياضْ..
سلامٌ على قلعةِ(٢)
من حنينْ!!
على (مصمك) النخبةِ
الخالدين!!
على بيعةِ الحقِّ
والمشترينْ!!
الرياضُ.. الرياضْ..

فلتاتُ السيوفْ
وصريحُ الفِدا!!
يا سلافَ البياضْ
وانفجار الجروفْ
ومهادَ الهدى!!
حدثينا عن جديد
لا يبيد!!
عن تراتيل..
من الفجر الجديدْ!!
عن دم يبني
وعن قصرٍ مشيدْ!!
سلامٌ على منبرِ
من هِممْ!!
وجود من الحبِّ
رحبِ الكرمْ!!
رياض البطولةِ
فيما وكم!!
على النخل
والمرهفينْ!!(٣)
سلامٌ على النَّفرِ
الهاجدينْ!!(٤)
على المجد..
يزبدُ دنيا ودين!!
يا ربوة منوره(٥)

في العالم المأنوسِ؟!
وحرمةً وسورَه
من فطرةِ النفوسِ!!
اصعدي للسما
أنت أمُّ البُناهْ
وضمانُ البقاءْ!!
فجرُكِ قد هما
يا بكورَ الحياهْ
وانعتاقَ الدماءْ!!
غُرةُ الشرقِ وماضي(٦)
ما رُوي في الكتب!!
وعلى بطحائها..
ما جت جباهُ العربِ!!
سَفَرتْ وجهَ ضُحاها
والضُحى في المغربِ
عن خيولِ..
من عيونِ الشمسِ أمضى!!
ومواطنِ
عمرتْ قاماتنا طولاً وعرضًا!!
السما تهمي جنانًا
والذُّرى تنهلُّ أرضًا!!
هبة من منة الرحمن
في روح الجزيره
هتفت في كلِّ شبرِ
من ثراها بالسريرهْ!!
فاسألوها تتهادى
بالعُلا شعبًا وسيْرهْ!!
أمةٌ يُحدى بها..
في معجزات الكتبِ!!
مولدُ الحبِّ ومهوى..
كلِّ روحٍ طيِّبِ!!

من منيب وشهيدِ..
وصفيٍّ ونبي!!
حدثينا عن أبي الأحرار في اليوم العزيزْ!!
حدثينا..
عن بطولاتِ الفتى (عبدالعزيزْ)!!
حدثينا..
عن أبي الشعبِ العزيز!!
ادفقي يا عروقْ..
كلَّ غالٍ يهونْ
فالرياضُ الثمنْ!!
وازحمي كلَّ سُوقْ
وليكنْ ما يكونْ
في سبيل الوطنْ!!
سلامٌ..
على تلكمُ الربواتْ!!
على مسجد..
عند رأسِ الصفاة!!(٧)
على علقٍ
من نحور الأباةْ!!
حدثينا..
عن جحيم الصبر والنزفِ العنيفْ!!
حدثينا..
عن (أبي تركي) مع الهول المُخيفْ!!(٨)

حدثينا
عن أبي الشعب الشريفْ!!
يا ربوةً ممطورَهْ
يا غرسةَ الغريسِ!!
وحرةً ممهورَهْ
بالطاهرِ النفيس!!
ارفعي الرايةَ..
في الصحوِ البهيجْ!!
رايةَ التوحيد..
عصماء الأريجْ!!
من ربى الكادي..(٩)
إلى نخلِ الخليجْ!!
أمةٌ وحدها الإيمانُ
من بعدِ الشّتاتْ!!
رمزها (عبدُ العزيز) الفذُّ
والحبُّ الثباتْ!!
وبنو منهجه..(١٠)
والحكمُ عدلٌ وثقاتْ!!
يا رياضَ الوجودْ
يا رياضَ السعودْ
يا رياضَ السعودْ
الرياضُ.. الرياضُ.. الرياضْ

الهوامش

١- المئة سنة على دخول الملك عبدالعزيز الموحد مدينة الرياض كفاتحة للتوحيد ولم شمل شعب الجزيرة العربية.
٢- كانت الشرارة الأولى هي دخول حصن المصمك والنخبة الشجعان الذين اختارهم الموحد ودخل بهم قلعة المصمك.
٣- يعني الرجال الذين تركهم الملك عبدالعزيز مع أخيه محمد بن عبدالرحمن في النخل، وأوصاهم بوصاته الخالدة المعروفة.
٤- الذين صحبوا القائد في مغامرته الجبارة على حصن المصمك وقتل عجلان بن محمد أمير الرياض.
٥- يعني ربوة الرياض التي أنبتت من فيض دماء الشهداء ما أنبتته من رجال العزة والكرامة فيما بعد..
٦- يعني تراب الجزيرة العربية بزخمها وعطائها العظيم، وذلك في هذا البيت وما بعده ومن ناصروا القائد، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه من القبائل والشهداء والصابرين.
٧- مسجد الإمام تركي بن عبدالله الواقع غرب ساحة الصفاة أو ساحة العدل في قلب العاصمة الرياض.
٨- اللقب المشهور للملك عبدالعزيز، رحمه الله، إن شاء الله تعالى.
٩- ربى الكادي يعني المخلاف السليماني (جازان) وما حاذاه أي إن الوحدة من أقصى البحر الأحمر إلى الخليج العربي.
١٠- أبناء الملك عبدالعزيز ورجاله الأوفياء، ومن كملوا وأعلوا المسيرة والبناء من بعده.

الوردة والريح

محمود حامد

نهضتْ فقلتُ: هو النَّدى
ألقى إليها قُبلتين وذابا
فاستعذبته على الظَّما
مطرًا يجيءُ، ويُستثارُ سحابا
ألقت لهُ كأسَ الصَّبابة فانثنى
يُلقي لها ممَّا اشتهى أكوابا
لم يَدْرِ كم غابت على
شَهْدِ القصيدةِ وردةٌ نشوى،
وكم هو غابا!!؟
لكنَّما...
حين استفاقا بغتةً،
واسترجعا هذا الزَّمانَ كتابا
ذُهلا.. أيمكن أن يظلاَّ
رغم ما قد مرَّ من عمر الزمَّانِ - شبابا!!؟
لكنهُ....
ذاك الدَّمُ العربيُّ يدخلُ
في تفاصيل انتمائهما وَمُذْ
قد كان هذا الحُلْمُ حُلْمًا،
والتُّرابُ تُرابا!!!
فتخاطفا في العُمْقِ
نظرة سائلين، وأطبقا صمتًا،
وَظَلاَّ حائرين على سؤالٍ لم يَدَعْ
فوق الشِّفاهِ جوابا
وتلفَّتت مُرتابةً...
تُلقي أساها للسُّفوح،
وقد مضى عنها حزينًا
غامضًا...
مُرتابا...
رسمتْ أصابعُها نوافذَ
كي يجيءَ وأغلقت
في وجههِ الأبوابا
واستعطفتْ عُشْبَ السُّفوح
بأن يَلُمَّ خطاه حتى
لا توزعه المنافي
مُقلةً حيرى...،
وجرحًا غاضبًا وعذابا
وبكت عليه لأنها
لم تُغلق الصَّدْرَ الحزينَ عليهِ
والأهدابا
نادتهُ فانهمر النَّدى
في مُقلتيها كوثرًا وانسابا
ومضى يدغدغها هوىً
فتفجرَّت فيها عُذوبتُها
على كفَّيْه نخلاً مُثمرًا جذَّابا

**

ينشق عنكِ الرملُ لؤلؤةً
بلون العُشْبِ....،
أو قمرًا بهيًّا أخضرا
ينشقُّ عنكِ الصُّبْحُ شمسًا
أودعت منها السَّنا في مُقلتينْ
وصبابةً في رعشتينْ
ومضت تغني
فاستفاق النخلُ فوق ضفافها نشوانَ
قلتُ: لك الطَّريقُ...
فكيف تُشغلني السُّفوحُ ولا أجيءُ،
وكيف بعثرني دمي في كفها
فإذا أنا في كفها أغدو سنابلَ،
ثم أنهض بيدرا!!؟
وتلمُّ أنفاسي بتمتمة الشِّفاهِ
أحِسُّ دِفءَ شفاهها
مطرًا يهلُّ وكوثرا
ومشت..
تميلُ على المفارق خُطوةً نحوي،
وأخرى باتجاهِ دمي،
فأنهض خطوتين
من جمر عشقي نحوها
وأحس أنَّ القلبَ يسبقني إليها
كيف يسبقني جنونُ القلب،
يُشعلُ قبلتين...،
وكيف يُطلقُ قُبلتين لها
فتخطف من دمي قمرين!!؟
تخطفُ ما اشتهيت على الظَّما:
قَمرَ العُلَيَّا..،
واليمامات اللَّواتي قد عشقنَ المعذرا

**



هبني نسيمك أيها النَّخْلُ الذي
ألقى الجناحَ على الضفافْ
وسرى بجنح الصُّبْحِ
يقصدُ قُبَّةَ الفلكِ البعيدة،
فاستوى بين القصيدة والقصيدةِ
جدولاً ثَرًا، ونهرًا أسمرا
وأباح للنبض النديِّ بأن يُغني
فاستفاق على الصَّدى أرقُ الغمام
وهمى فكان الجدول الرَّقراقَ
في شفةِ الرياض مُبعثرا

**

أتحبني!!؟
همس المُربَّعُ كيف تتركني وتمشي
كيف توغلُ في المنافي
أنت من رسم العذوبة في دروبي
كيف تقتلني وتمشي!!؟
أنتَ من رَسَمَ المساءَ الليلكيَّ المُشتهى
للقُبَّراتْ
ومضى يُتمتم للنوافذ كيف تسهرُ،
للشَّبابيكِ الحزينة...
كيف تضحكُ للبلابلِ،
كيف ينكسرُ الهُتافْ!!؟
فرحًا إذا انكسر الطَّريقُ بنشوةِ
لخُطى الأحبة...
وهي تعبرُ باتجاه القلبِ
من باب الجهاتْ

**

أتحبني!!؟
فتجيبُ رقرقةُ الدُّمُوع بمقلتيَّ:
أنا المتيّم باسمك العربي
أقسمُ إنك الأغلى على روحي وإني
كلما أوغلت فيكِ
سرى بصدري دافئًا نهرُ الحياةْ

**

هذا مساؤك...،
والمَلَزُ الصَبُّ يأخذهُ النُّعاسُ
على يديك...
ويشتهيك
فراشةَ الحُلْمِ اللَّذيذِ
فيطبقُ العينين حولك،
ثم يرشفُ رشفةً من زنجبيلكِ،
يشتهيكِ فراشةً
في الحُلْم تخطرُ...،
حين يُغمِض مُقلتيه
يكونُ غـادر كُلَّ أرصـفـةِ الشـوارعِ
وامتطى
فرس الزمان إليك
غاص بمقلتيك...
كما النخيلُ يغوصُ في لحم التُرابْ
ويغيبُ فيك...
كما تغيبُ التَّمتماتُ على شذا
ثغرٍ مُذابْ
ويكونُ لحظتها على
حلم الرَّفيف المُشتهى
قد غادر الدُّنيا ونام
لم يبْقَ إلاَّ ما تثرثرهُ الأصابع في الزِّحامْ
لم يبق إلاّ
ما يثرثره الندى للورد أو
ما كان ينثرهُ الكلام
بين العُلَيَّا والملزِّ كأنَّما
هو شهقة الآه التي
أفضى بها أرقُ الحمام

**

أتحبني!!؟
كان المساءُ بلون عينيها،
وكنتُ أحسُّها
إذْ تحتويني أنها
نبضي الذي لا ينتهي
وأنا أنينُ الرُّوح فيها
حين يقتلهُ الغَرام
ما غادرتني لحظةً
كانت كما الأشجار توغلُ في سُفوحي؛
كنتُ نخل شبابها
كانت طموحي...،
كُلُّ ما كنتُ اشتهيتُ وأشتهي
كم كنتُ أشعرُ أنني
إن راح يخطفها النَّدى عني
كنسرٍ مزقته على الأسى آهي
فكيف أُعيد ترتيب القصيدةِ
في شفاهي!!؟
كي تكون هي الرياضَ المُشتهاةَ
على الدَّوام!!؟

**

بيني وبينكِ
كلّ ما رسم الدَّمُ العربيُّ من نخلٍ
على باب الصَّباح
بيني وبينكِ
كلّ ما ألقى الجناحُ على الجناح
حين استثار أنينَهُ الدَّامي
نزيفٌ مُستباح
بيني وبينكِ نهرُ عشقٍ
شكَّلتهُ الآهُ فيما بيننا
قمرًا، وأعطتهُ السَّنا
كَفُّ الجراح
فاستحملي وَجَعَ النَّخيلِ
فمن يُؤجج غضبتي
عند الصَّهيلِ
إذا استُثْرتُ
سوى الرِّياح!!؟

رسالة من الإمام فيصل بن تركي إلى أهل العارض

إبراهيم الهدلق

ولد الإمام فيصل بن تركي بالدرعية في بداية القرن الثالث عشر الهجري، وقت كانت الدولة السعودية الأولى في أوج ازدهارها تحت قيادة الإمام عبدالعزيز بن الإمام محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى.

هو الإمام الثامن من سلالة الحكام السعوديين(١)، فيصل ابن تركي بن عبدالله بن الإمام محمد بن سعود.

نشأ فيصل نشأة كريمة تحت رعاية والده تركي بن عبدالله، فحفظ القرآن الكريم، ودرس علوم الفقه والشريعة، وأخذ من علماء الدعوة الذين كانت تغص بهم حلقات العلم والدروس في الدرعية في ذلك الوقت، ثم لما شب تعلم الفروسية، وتدرب على استعمال السلاح، وكان وقت حصار الدرعية ما يزال شابًا فتيًا، يمتلئ حماسةً وحيويةً، مما دفعه إلى الانضمام إلى صفوف المدافعين عن الدرعية عام ١٢٣٣هـ، وقاتل بشجاعة مع أبيه وأعمامه، وظل يقاتل إلى أن أخذ أسيرًا، وحمل مع من حملوا إلى مصر من أمراء نجد في أيام استيلاء جيش محمد علي على كثير من بلاد العرب، وفرّ من مصر هاربًا إلى الروم - كما يقول ابن بشر - سنة ١٢٤٣هـ، فعاد إلى نجد، وأبوه في الرياض، أمير العارض، وبعض البلاد المجاورة له، فقاد جيش أبيه لاسترداد البلاد الأخرى بضع سنين، وأظهر في ذلك ألوانا من البسالة والفطنة والحذر. وقد تحدث المؤرخ ابن بشر، وأسهب في الحديث عن قوته وشجاعته حيث كان معاصرًا له.

بعض صفاته:

لقد كان الإمام فيصل رجلاً متدينًا ميالاً إلى البحث والدرس والتقشف، كما وصفه فيلبي، مطلعًا تمام الاطلاع على مبادئ الدين؛ فقد حفظ القرآن الكريم في صغره، وكان يقضي الساعات الطوال في التهجد والتفرغ إلى الإله القدير طالبًا المعونة الربانية؛ ليتغلب على متاعبه الدنيوية، ويالها من متاعب تلك التي انصبت عليه، وقد أصبح يد والده اليمنى في إعادة بناء الدولة، وإرساء الاستقرار، وذلك بعد عودته من مصر(٢).

كما تحدث ابن بشر عن الإمام فيصل بن تركي، فقال: كان الإمام فيصل - متع الله به - له مع ربه سر يلتجئ في الشدائد إليه، وثقة به في كل نازلة يرجوه، ويعوّل عليه، وقد كان حفظ القرآن عن ظهر قلبه وهو صغير، وحافظ على تلاوته والتهجد به شابًا وكبيرًا، وكان له حظ من الليل والقيام فيه، وكثير التضرع والابتهال عند خالقه وباريه.. الخ.

وسيرة الإمام فيصل تنبئ عما جبلت عليه نفسه من تدين وورع، وحب للصدقات والعطاء، واستئناس بالعلماء وآرائهم. ولعل الرسالة المرافقة خير شاهد على ذلك، حيث يحث المسلمين على تقوى الله والشكر له، ويأمرهم بالمعروف والنهي عن المنكر، كما يدعوهم إلى التوبة والبعد عن كل ما يغضب الله ومحاسبة النفس، كما يدعوهم إلى إحياء سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ وذلك بإقامة صلاة الاستسقاء، وتقديم الصدقات للفقراء



النص الأصلي للرسالة

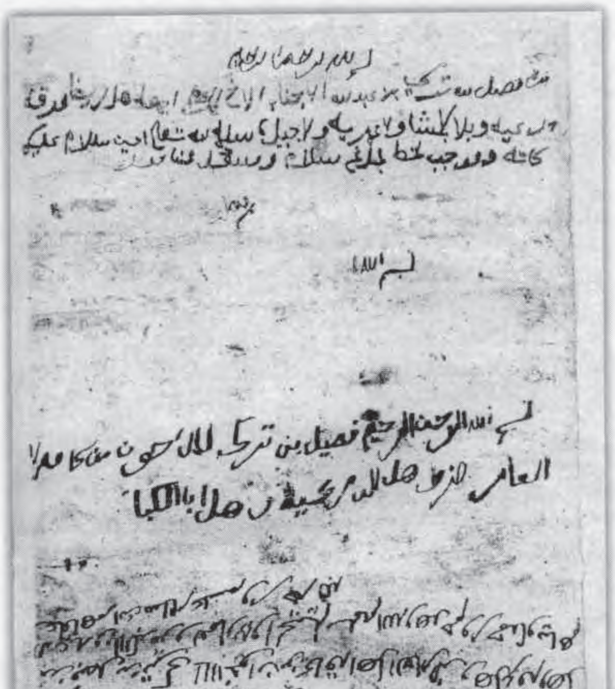
بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن تركي إلى الإخوان من كافة أهل العارض، وأهل عرقة، وأهل الدرعية، وأبا الكباش، والعمارية، والجبيلة، سلمهم الله وهداهم، ورحمنا وإياهم، وعافاهم آمين.

سلام عليكم ورحمة الله، وموجب الخط إبلاغكم السلام، والسؤال عن الأحوال، ثاني الذي أوصي به نفسي وإياكم تقوى الله تعالى في السر والعلانية، والمحافظة على فرائضه، وامتثال أوامره، وترك نواهيه. وتفهمون أن الله سبحانه وتعالى ما عزكم إلا بالإسلام وأعطاكم وعافاكم فيه، والشكر واجب عليكم قولاً وعملاً، وأعظم الشكر معرفة دين الإسلام، والرغبة فيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام على الجاهل والردي وراعي الكسل، وأمره بما ينفعه، وكفه عما يضره. واحذروا سخطه وعقوبته، وارجوا رحمته وثوابه، والقيام له والنصيحة لعباده، وتوبوا إلى ربكم، وأسلموا، وتقربوا إليه بما يرضيه، وأبعدوا عما يسخطه تحصل لكم العافية في الدنيا والآخرة، وفي الحديث: «ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة». نستغفر الله، ونتوب إليه، والتوبة فرض، وكل إنسان يحاسب نفسه، ويتوب إلى الله من ذنبه. وقد عزمنا على الظهور للاستسقاء إن شاء الله يوم الإثنين نهار خمسة وعشرين من ربيع الآخر، وواعدنا المسلمين بذلك اليوم، فأنتم توكلوا على الله، واظهروا في اليوم المذكور، وتقربوا إليه، وأسلموا له يرحمكم ويهديكم ويغيثكم ويعافيكم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، عفو يحب العفو، وهو حسبنا ونعم الوكيل. أيضاً من السُّنَّة تقديم الصدقة قبل الخروج للاستسقاء. فأنتم تصدقوا للفقراء والمساكين والأرامل، وورد أن الصدقة تكفر الخطيئة، وتطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء و«ما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله، واستغفروا الله إن الله غفور رحيم»، وأنتم سالمون.

١٦/ ر/ سنة ١٢٧٦هـ





والمساكين والأرامل، ويختم الرسالة بحثهم على الاستغفار.

ولقد توفي الإمام فيصل بن تركي في عشرين من شهر رجب عام ١٢٨٢هـ الموافق ١١ ديسمبر سنة ١٨٦٥م، غفر الله له، وأسكنه فسيح جناته، إنه سميع مجيب.

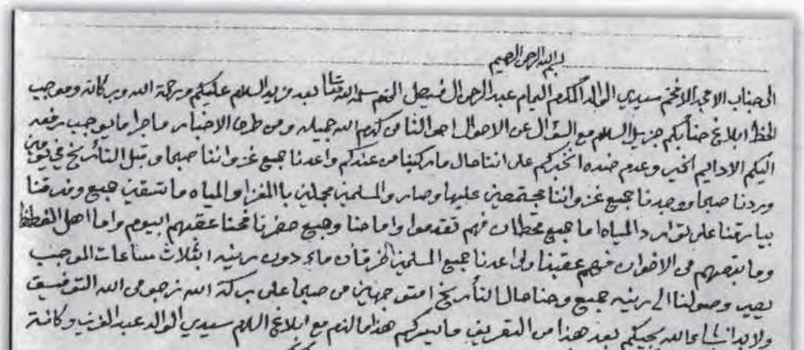
المراجع والمصادر

١- تاريخ ملوك آل سعود، للأمير سعود بن هذلول.
٢- الأعلام للزركلي.
٣- عنوان المجد في تاريخ نجد، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز.
٤- تاريخ نجد، لابن بشر.
٥- الدولة السعودية الثانية للدكتور أبو علية، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز.
٦- الإمام فيصل بن تركي، عبدالله بن حمد الحقيل، مجلة الحرس الوطني، ذو الحجة ١٤٠٩هـ.
٧- الإمام فيصل بن تركي، د. محمد بن سعد الشويعر، القافلة، شعبان، ١٤٠٩هـ.

من رسائل الملك فيصل

إعداد : قسم التحرير

ارتبط الملك فيصل - رحمه الله - في شبابه بعلاقة وطيدة مع جده الإمام عبدالرحمن بن فيصل بن تركي رحمه الله، فكان يجله ويبجله ويعظم قدره، وتظهر مجموعة من الوثائق المحفوظة في قاعة الملك فيصل التذكارية في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية عمق العلاقة بينهما، فقد كان الإمام عبدالرحمن يرعى شؤون الدولة في العاصمة الرياض في غياب ابنه الملك عبدالعزيز - رحمه الله - الذي كان في ذلك الوقت يكافح في سبيل تأسيس دولة موحدة قوية تغطي مساحة شاسعة من شبه الجزيرة العربية، وفي الوقت نفسه كان الملك فيصل - رحمه الله - حينها أحد



الرسالة الأولي

إلى جناب الأمجد الأفخم سيدي الوالد المكرم اليمام عبد الرحمن الفيصل المحترم سلمه الله تعالى، بعد مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وموجب الخط إبلاغ جنابكم جزيل السلام مع السؤال عن الأحوال، أحوالنا من كرم الله جميلة ومن طرف الأخبار ماجرا ما يوجب رفعه إليكم إلا دايم الخير وعدم ضده، انخبركم على أننا حال ماركبنا من عندكم واعدنا جميع غزواننا صبحا وقبل التأريخ في يومين وردنا صبحا ووجدنا جميع غزواننا مجتمعين عليها وصاروا والمسلمين مجملين بالمغزا والمياه ما تسقين جميع وفرقنا بيارقنا على توارد المياه أما جميع قحطان فهم تقدموا واما حنا وجميع حضرنا فحنا عقبهم اليوم واما أهل الغطغط وما تبعهم من الإخوان فهم عقبنا وواعدنا جميع المسلمين الخرقان ماء دون رنيه ابثلاث ساعات الموجب يصير وصولنا إلى رنيه جميع وحنا حال التأريخ امتوجهين من صبحا على بركة الله نرجو من الله التوفيق ولابد إن شاء الله يجيكم بعد هذا من التعريف مايسركم هذا ما لزم مع إبلاغ السلام سيدي الوالد عبدالعزيز وكافة العيال كما منا الشيخ وسلطان يسلمون ودمتم محروسين.

٦/م/١٣٤١

مملوككم فيصل بن عبد العزيز

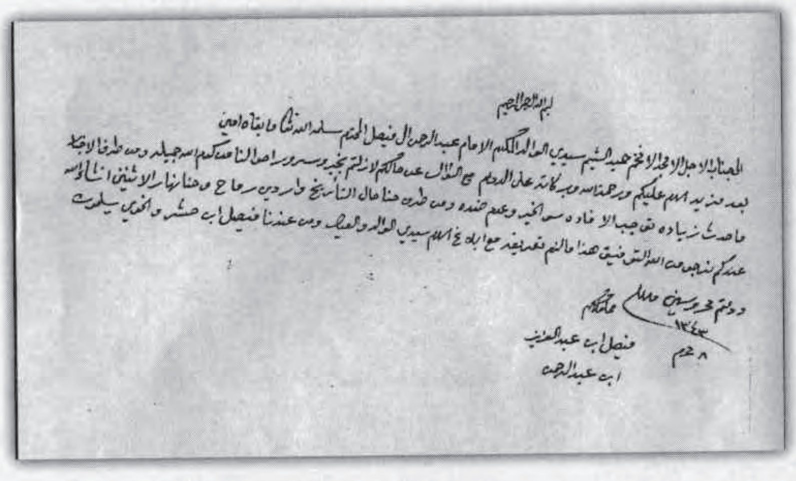


إلى جده الإمام عبدالرحمن

القادة الذين يأتمرون بأمر الملك عبدالعزيز وينفذون خططه العسكرية لإدخال المناطق والأقاليم ضمن نطاق الدولة التي كان يرمي إلى تأسيسها.

وكان الملك فيصل يوافي جده الإمام عبدالرحمن بأخبار المعارك وأحوال المناطق التي كان يوجه إليها في رسائل كان يبدؤها بألفاظ وكلمات تنم على التقدير والاحترام من مثل (الأجل.. الأمجد .. بهي الشيم .. الأفخم ـ اليمام..)

وأقدم الرسائل التي ننشرها هنا يعود تاريخها إلى ٦ محرم عام ١٣٤١هـ وأحدثها في ٢١ ذي الحجة عام ١٣٤٦هـ، ونورد فيما يأتي نصوص هذه الرسالة.



بسم الله الرحمن الرحيم

الجناب الاجل الامجد الافخم حميد الشيم سيدي الوالد المكرم الامام عبدالرحمن ال فيصل المحترم سلمه الله تعالى وابقاه امين

بعد مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن حالكم لازلتم بخير وسرور واحوالنا من كرم الله جميلة ومن طرف الاخبار

ماحدث زياده توجب الافاده سوى الخير وعدم ضده ومن طرف حنا حال التاريخ واردين رماح وحنا نهار الاثنين ان شاء الله

عندكم نرجو من الله التوفيق هذا مالزم تعريفه مع ابلاغ السلام سيدي الوالد والعيال ومن عندنا فيصل ابن حشر والخوي يسلمون

ودمتم محروسين مملوككم

٨ محرم ١٣٤٣

فيصل ابن عبد العزيز ابن عبدالرحمن

الرسالة الثانية

إلى جناب الأجل الأفخم حميد الشيم سيدي الوالد المكرم الإمام عبدالرحمن الفيصل المحترم سلمه الله تعالى وأبقاه آمين.

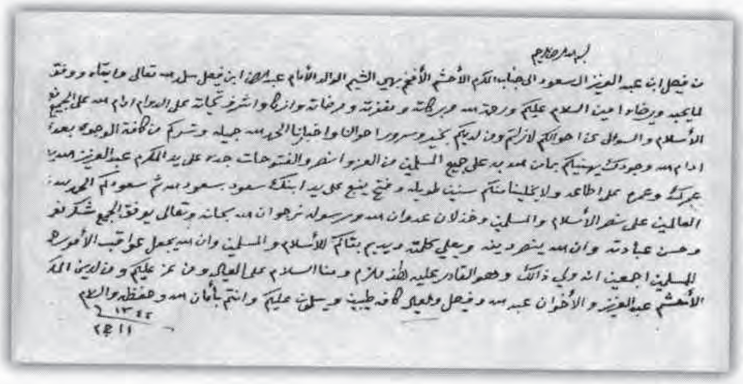
بعد مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن حالكم لازلتم بخير وسرور، أحوالنا من كرم الله جميلة ومن طرف الأخبار ماحدث زيادة توجب الإفادة سوى الخير وعدم ضده ومن طرف حنا حال التأريخ واردين رماح وحنا نهار الاثنين إن شاء الله عندكم نرجو من الله التوفيق، هذا مالزم تعريفه مع إبلاغ السلام سيدي الوالد والعيال ومن عندنا فيصل ابن حشر والخوي يسلمون ودمتم محروسين.

٨ محرم ١٣٤٣

مملوككم

فيصل ابن عبد العزيز ابن عبدالرحمن

الرسالة الثالثة

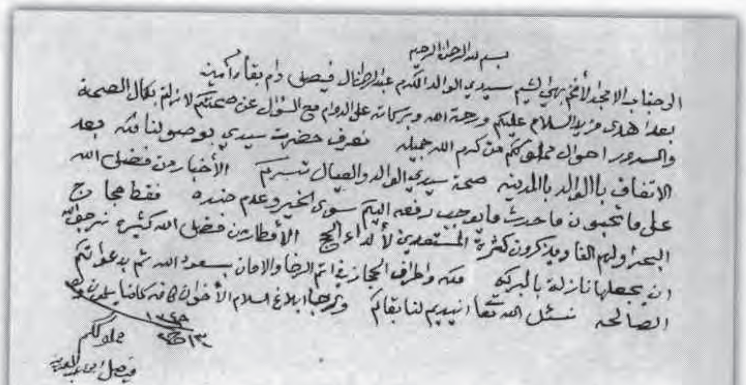


من فيصل ابن عبدالعزيز آل سعود إلى جناب المكرم الأحشم الأفخم بهي الشيم الوالد الأمام عبدالرحمن ابن فيصل سلمه الله تعالى وابقاه ووفقه لما يحبه ويرضاه أمين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ومرضاته وأزكى وأشرف تحياته على الدوام، أدام الله على الجميع نعمة الإسلام، والسؤال عن أحوالكم لازلتم ومن لديكم بخير وسرور، أحوالنا وأخبارنا الحمد لله جميلة وتسركم من كافة الوجوه، بعد ذلك أدام الله وجودك يهنيكم بما من الله به على جميع المسلمين من العز والنصر والفتوحات جدة على يد المكرم عبدالعزيز الله يطول عمرك وعمره على الطاعة ولايخلينا منكم سنين طويلة، وفتح ينبع على يد ابنك سعود بسعود الله ثم سعودكم، الحمد لله رب العالمين على نصر الإسلام والمسلمين وخذلان عدوان الله ورسوله، نرجو ان الله سبحانه وتعالى يوفق الجميع شكر نعمته وحسن عبادته وان الله ينصر دينه ويعلي كلمته ويديم بقاكم للإسلام والمسلمين وان الله يجعل عواقب الأمور حميدة للمسلمين اجمعين إنه ولي ذلك وهو القادر عليه.

هذا ما لزم ومنا السلام على العيال ومن عز عليكم ومن لدن المكرم الأحشم عبدالعزيز والأخوان عبدالله وفيصل والعيال كافة طيبين ويسلمون عليكم وأنتم بأمان الله وحفظه والسلام

١١ ج٢ ١٣٤٤

الرسالة الرابعة



إلى جناب الأمجد الأفخم بهي الشيم سيدي الوالد المكرم عبدالرحمن ال فيصل دام بقاه آمين.

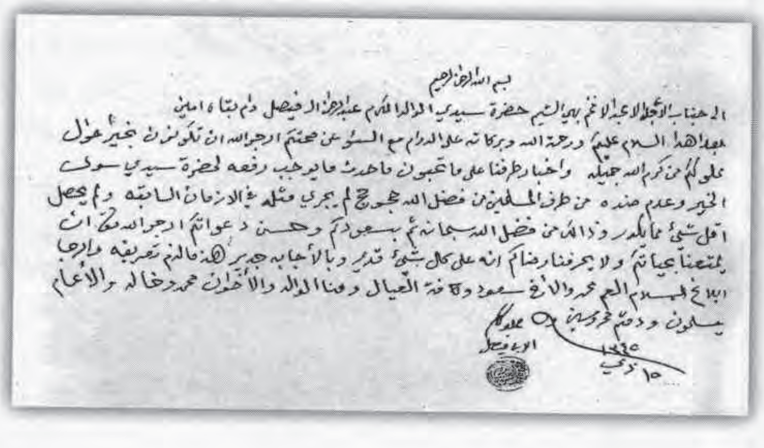
بعد أهدي مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن صحتكم لازلتم بكمال الصحة والسرور احوال مملوكم من كرم الله جميلة.

نعرف حضرة سيدي بوصولنا مكة بعد الاتفاق بالوالد بالمدينة صحة سيدي الوالد والعيال تسركم، الأخبار من فضل الله على ما تحبون ما حدث ما يوجب رفعه إليكم سوى الخير وعدم ضده، فقط حجاج البحر أولهم ألفا ويذكرون كثرة المستعدين لأداء الحج، الأمطار من فضل الله كثيرة، نرجو الله أن يجعلها نازلة بالبركة، مكة وأطراف الحجاز في أتم الرخاء والأمان بسعود الله ثم بدعواتكم الصالحة، نسأل الله تعالى أن يديم لنا بقاكم، والرجا إبلاغ السلام الأخوان كافة كما منا يسلمون.

١٣ ج٢ ١٣٤٥

مملوككم / فيصل ابن عبدالعزيز

الرسالة الخامسة



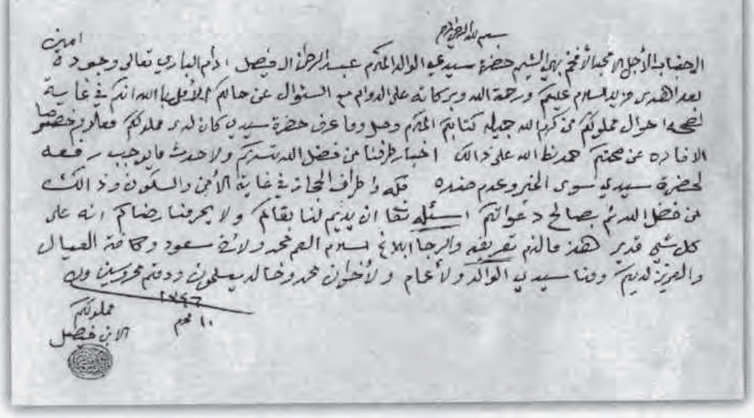
إلى جناب الأجل الأمجد الأفخم بهي الشيم حضرة سيدي الوالد المكرم عبد الرحمن الفيصل دام بقاه آمين.

بعد إهداء السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن صحتكم أرجو الله آن تكونون بخير أحوال مملوككم من كرم الله جميلة، وأخبار طرفنا على ماتحبون ما حدث مايوجب رفعه لحضرة سيدي سوى الخير وعدم ضده، من طرف المسلمين من فضل الله حجو حج لم يجر مثله في

الأزمان السابقة، ولم يحصل أقل شيء مما يكدر وذلك من فضل الله سبحانه ثم بسعودكم وحسن دعواتكم، ارجو الله تعالى أن يمتعنا بحياتكم ولايحرمنا رضاكم إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير هذا مالزم تعريفه والرجاء ابلاغ السلام العم محمد والأخ سعود وكافة العيال ومنا الوالد والأخوان محمد وخالد والأعمام يسلمون ودمتم محروسين.

١٥ ذي ١٣٤٥
مملوككم / الابن فيصل

الرسالة السادسة

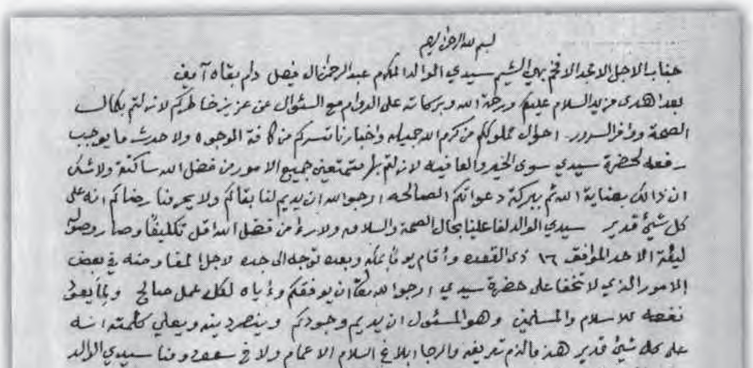


إلى جناب الأجل الأمجد بهي الشيم حضرة سيدي الوالد المكرم عبد الرحمن ال فيصل أدام الباري تعالى وجوده امين.

بعد إهداء مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن حالكم الأمل بالله أنكم في غاية الصحة، أحوال مملوكم من كرم الله جميلة، كتابكم المكرم وصل وما عرف حضرة سيدي كان لدي مملوككم معلوم خصوصًا الإفادة عن صحتكم حمدنا الله على ذلك، أخبار طرفنا من فضل الله تسركم ولا حدث ما يوجب رفعه لحضرة سيدي سوى الخير وعدم ضده، مكة وأطراف الحجاز في غاية الأمن والسكون وذلك من فضل الله ثم بصالح دعواتكم أسأله تعالى ان يديم لنا بقاكم ولايحرمنا رضاكم انه على كل شيء قدير هذا مالزم تعريفه والرجا إبلاغ السلام العم محمد والأخ سعود وكافة العيال والعزيز لديكم ومنا سيدي الوالد والأعمام والأخوان محمد وخالد يسلمون ودمتم محروسين.

١٠ محرم ١٣٤٦ وهـ
مملوككم / الابن فيصل

الرسالة السابعة



جناب الأجل الآمجد الآفخم بهي الشيم سيدي الوالد المكرم عبدالرحمن ال فيصل دام بقاه آمين.

بعد اهداء مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن عزيز خاطركم لازلتم بكمال الصحة ووافر السرور، أحوال مملوككم من كرم الله جميلة وأخبارنا تسركم من كافة الوجوه ولا حدث ما يوجب رفعه لحضرة سيدي سوى الخير والعافية لازلتم بها متمتعين جميع الأمور من فضل الله ساكنة ولاشك إن ذلك بعناية الله ثم ببركة دعواتكم الصالحة ارجو الله أن يديم لنا بقاكم ولا يحرمنا رضاكم إنه على كل شيء قدير.

سيدي الوالد لفا علينا بحال الصحة والسلامة ولارءا من فضل الله أقل تكليفًا وصار وصوله ليلة الأحد الموافق ١٦ ذي القعدة وأقام يومًا بمكة وبعده توجه إلى جدة لاجل المفاوضة في بعض الأمور الذي لا تخفى على حضرة سيدي أرجو الله تعالى أن يوفقكم وإياه لكل عمل صالح ولما يعود نفعه للاسلام والمسلمين وهو المسئول أن يديم وجودكم وينصر دينه ويعلي كلمته انه على كل شيء قدير. هذا مالزم تعريفه والرجا إبلاغ السلام الاعمام والأخ سعود ومنا سيدي الوالد والاخوان وكافة العيال يسلمون ودمتم محروسين.

٢١ ذا ١٣٤٦
مملوككم / الابن فيصل



سمو الأمير خالد الفيصل رئيس هيئة الجائزة في المؤتمر الصحفي وإلى يساره
د. عبدالله العثيمين أمين عام الجائزة



الأستاذ جمعة الماجد عبدالله



الشيخ محمد ناصر الدين الألباني

الأمير خالد الفيصل يعلن أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤١٩هـ

قدم صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير والمدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية شكره إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، وسمو ولي العهد، وسمو النائب الثاني على ما تحظى به مؤسسة الملك فيصل الخيرية وجائزة الملك فيصل العالمية من تشجيع ومؤازرة من القيادة الحكيمة، وبارك لهم ولجميع الأمة الإسلامية حلول شهر رمضان المبارك، كما قدم تهنئته للقيادة والشعب بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس المملكة على يد جلالة الملك عبدالعزيز، يرحمه الله، وقال: «إن ذلك الرجل الذي نعيش معه، وهو بعيد عنا، وننعم بحاضر ملكه ومملكته وهو غائب عنها، جزاه الله عنا خير الجزاء، وجمعنا وإياه في جنة الفردوس، إنه سميع مجيب». جاء ذلك عند إعلان سموه أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

وقد فاز بجائزة خدمة الإسلام الأستاذ جمعة الماجد عبدالله من دولة الإمارات العربية المتحدة، ومن حيثيات منحه الجائزة جهوده العظيمة في نشر العلم، وإعانة المحتاجين من خلال افتتاحه المدارس الأهلية الخيرية، وجعله الدراسة بها مجانًا، وإنشاؤه كلية الدراسات الإسلامية والعربية التي تشتمل على دراسة جامعية ودراسات عليا، وإنشاؤه مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث وابتعاثه عددًا من الطلاب لإتمام دراساتهم في الخارج، وبناؤه مدارس في عدة دول إسلامية فقيرة، وتقديمه معونات مالية لكثير من المراكز الثقافية الإسلامية، وإسهامه في تأسيس جمعية بيت الخير التي تنفق على العائلات الفقيرة.

وفاز بجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، السوري الجنسية؛ وذلك تقديرًا لجهوده القيمة في خدمة الحديث النبوي تخريجًا وتحقيقًا ودراسة، وله ما يربو على مئة كتاب، ومن مؤلفاته: «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل» و«سلسلة الأحاديث الصحيحة»، و«سلسلة الأحاديث الضعيفة»، وتحقيق كتاب «مشكاة المصابيح» للتبريزي، و«صحيح الجامع الصغير وزياداته»، «وضعيف الجامع وزياداته».

ومنحت جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي مناصفة بين كل من الدكتورة مكارم أحمد الغمري، وهي مصرية الجنسية، والدكتور سعيد عبدالسلام علوش، وهو مغربي الجنسية.

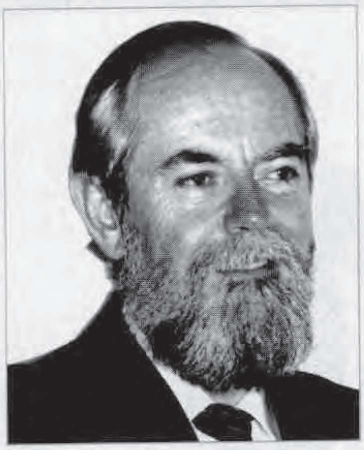
وجاء في حيثيات منح الدكتورة مكارم الغمري هذه الجائزة أنها تتميز بكونها من أوائل الباحثين في الدراسات المقارنة بين الأدبين العربي والروسي، ونشر لها عدد وافر من الدراسات ذات الصلة بالأدب المقارن، مثل كتابها «مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي» الذي يعد أول دراسة عربية علمية شاملة وموثقة للمؤثرات العربية والإسلامية في الأدب الروسي في القرن الماضي، ومن مؤلفاتها أيضًا كتاب «الرواية الروسية في القرن التاسع عشر».

كما أن الدكتور علوش من الدارسين المتخصصين في مجال النظريات العامة للأدب المقارن وتطبيق مناهجه، وبخاصة في ميدان التأثر والتأثير بين الأدبين العربي والفرنسي، وكتابه «مكونات الأدب المقارن في الأدب العربي» من أهم الكتب التي عالجت بالدرس والتقويم جهود الباحثين العرب في الأدب العربي. وهو يعتمد في جهوده العلمية على مصادر المقارنين الغربيين في مظانها الأصلية، مما جعل تلك الجهود ممارسة منهجية تعطي تصورًا دقيقًا لتاريخية الأدب المقارن في موضوعاته ومناهجه وأعلامه.

وفاز بجائزة الملك فيصل العالمية للطب وموضوعها «أمراض الحساسية» كل من الأستاذ الدكتور باتريك هولت، وهو أسترالي الجنسية، والأستاذ الدكتور ستيفن هولقيت، وهو بريطاني الجنسية.



د. مكارم أحمد الغمري



د. باتريك هولت



د. ريوجي نويوري



د. سعيد عبد السلام علوش



د. استيفن هولقيت



د. ديتر زياخ

والدكتور هولت باحث رئيس في المجلس القومي للبحوث الطبية والعلمية في أستراليا، ورئيس قسم أحياء الخلية في معهد تلثن لبحوث صحة الطفل، وأستاذ الأحياء الدقيقة بجامعة غرب أستراليا.

وتركزت بحوثه على مجال الاستجابة المناعية للجهاز التنفسي عند تعرضه لمسببات الحساسية المستنشقة، وقد توصل إلى نتائج مهمة لها أثرها في تفهم التغييرات الاعتلالية في مرض الربو القصبي. ومهدت بحوثه الطريق للعمل على تطوير لقاح للوقاية من أمراض الحساسية.

والدكتور هولقيت أستاذ علم الأدوية المناعي بمجلس البحوث الطبي بجامعة ساوث هامبشون واستشاري الطب الباطني لمستشفيات منطقة ساوث هامبثون ويوتنهوث بإنجلترا.

وتركزت بحوثه على مجال الربو القصبي، واستطاع أن يوضح دور السيتوكينز الناتجة من انفجار الخلايا ذات الصاري وخلية ت اللمفاوية في استمرارية تفاعل الحساسية الالتهابي. واشتملت بحوثه على دور العدوى الفيروسية كمسبب للنوبات الربوية. وله بحوث متعددة عن دور العوامل الوراثية في الاستعداد الشخصي لحدوث مرض الحساسية.

ومنحت جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم وموضوعها الكيمياء مناصفة بين كل من الأستاذ الدكتور ريوجي نويوري، وهو ياباني الجنسية، والأستاذ الدكتور ديتر زياخ، وهو ألماني الجنسية؛ لإسهامهما الخصب في مبادئ الكيمياء العضوية التركيبية الحديثة.

والدكتور نويوري أستاذ في جامعة نوغويا اليابانية، وأنجز عملاً رائدًا في ميدان الوسائط المتجانسة، واستعمال المركبات العضوية المعدنية لتوليد مراكز غير متناظرة، وتحقيق تضخيم يميز اليمين من الشمال، فأثر ذلك تأثيرًا عميقًا في مظاهر كثيرة في الكيمياء.

أما الدكتور زياخ فأستاذ في مختبر الكيمياء العضوية في المدرسة التقنية الاتحادية في زيورخ بسويسرا، وله إنجازات كثيرة، منها: إقامة مفهوم قلب القطبية الجزيئية، وبنية الجزيئات الحيوية الكبيرة الحاوية على هيدروكسيات ألكانويت بيتا المتعددة، وكذلك اكتشاف البيتيدات من نوع البيتا التي لها بنى ثانوية مختلفة. وكان لهذه المبادئ والطرائق نتائج في ميدان تركيب المركبات العضوية الجديدة.

وقد هنأ صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل لجان اختيار الجائزة بجميع فروعها على إتمام أعمالهم، واختيارهم نخبة من رجال الفكر والعلم والأدب في العالم، هذه النخبة التي تمثل الحركة الثقافية والفكرية والإنسانية لخدمة البشرية.

وقال سموه: «إننا ـ في هذه البلاد، ولله الحمد ـ ننعم بهذا الأمن، وهذا الاستقرار الذي مكن هذه الأمة من أن تفكر، وتقدم ما تيسر لها في خدمة الإنسانية في مجالات الثقافة، والفكر في هذا العالم، فجزى الله المسؤولين في هذه البلاد خير الجزاء، ونشكرهم ونشكر كل من ساهم في إنشاء المؤسسات الخيرية التي جعلت من الثقافة والعلم نبراسًا نحو الخير، وإسعاد البشرية».

وقد حددت موضوعات الجائزة في السنة القادمة (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) على النحو التالي:

ـ الدراسات الإسلامية: الدراسات التي تناولت انتشار الإسلام في إقليم أو أكثر خارج العالم العربي، وأثر ذلك الانتشار حضاريًا.

الأدب العربي: الدراسات التي تناولت النقد الأدبي القديم عند العرب في تاريخه أو كتبه أو رجاله أو قضاياه.

ـ الطب: الشيخوخة.

العلوم: علم الحياة.

من ذاكـــــــــــرة



الملك عبد
العزيز شاباً

الصور



الملك عبد العزيز
في البصرة،
تشرين الثاني/نوفمبر
عام ١٩١٦





الملك عبد العزيز يرافقه الأمير فيصل (الملك بعد ذلك) والأمير محمد بن عبد العزيز بمناسبة تصدير أول شحنة بترول من ميناء رأس تنورة

الملك عبد العزيز جالساً ومعه
◄ (الملكان فيما بعد) الأمير سعود والأمير فيصل واقفين

الملك عبد العزيز والأمير فيصل (الملك فيما بعد)، وبينهما الاستاذ عبد الرحمن عزام



الملك عبد العزيز ووفد من آرامكو ◄

الملك عبد العزيز وبين يديه المترجم



الملك سعود وخلفه أصحاب السمو الملكي الأمراء فيصل (الملك فيما بعد) وخالد (الملك فيما بعد) ومشعل بن عبد العزيز وعن يساره الشيخ عبدالله بن حسن ◄



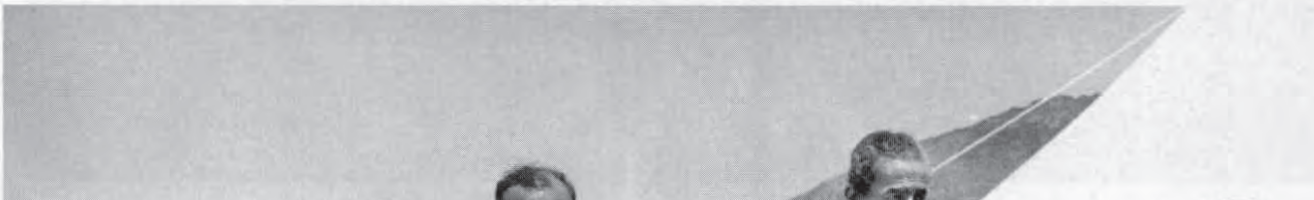




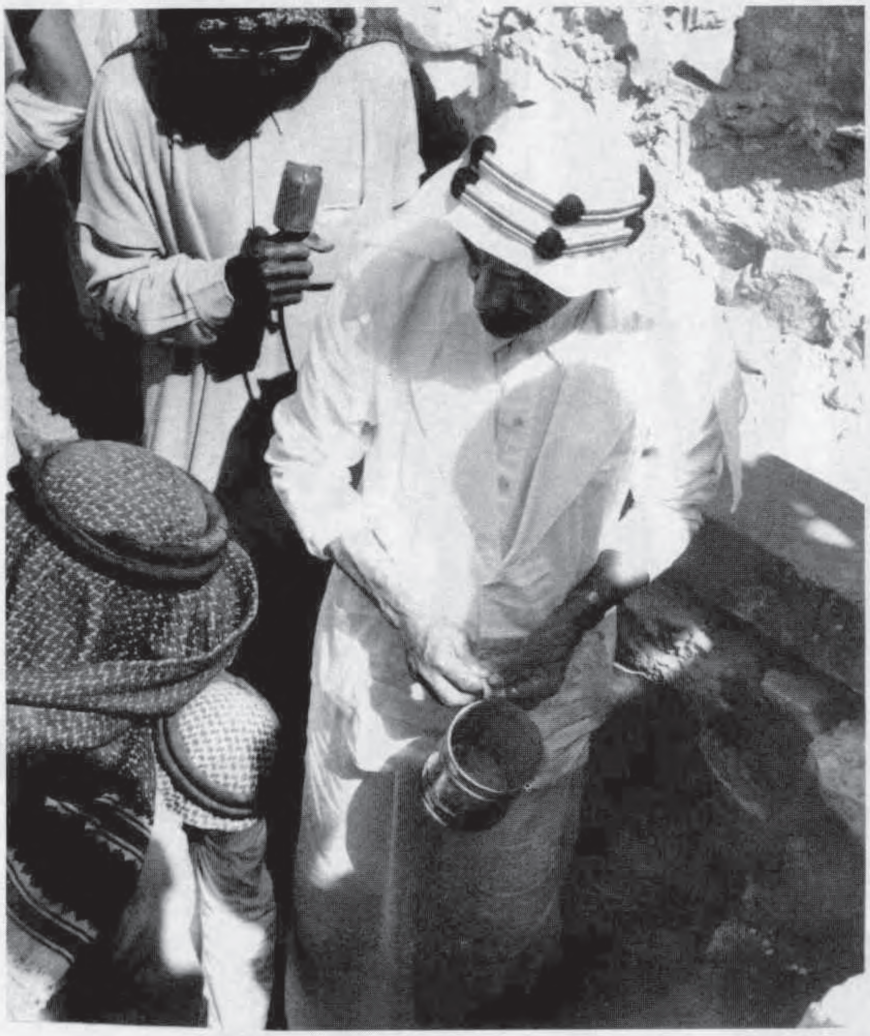
الفيصل في صباه (١٣ سنة)



الملك فيصل في مطار الرياض قادمًا من جدة، ويستقبله المواطنون وعلى رأسهم صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز



الملك فيصل في ملابس الإحرام مع عمه صاحب السمو الأمير عبدالله بن عبد الرحمن وإخوته خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز وصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبد العزيز ولي العهد ورئيس الحرس الوطني وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام



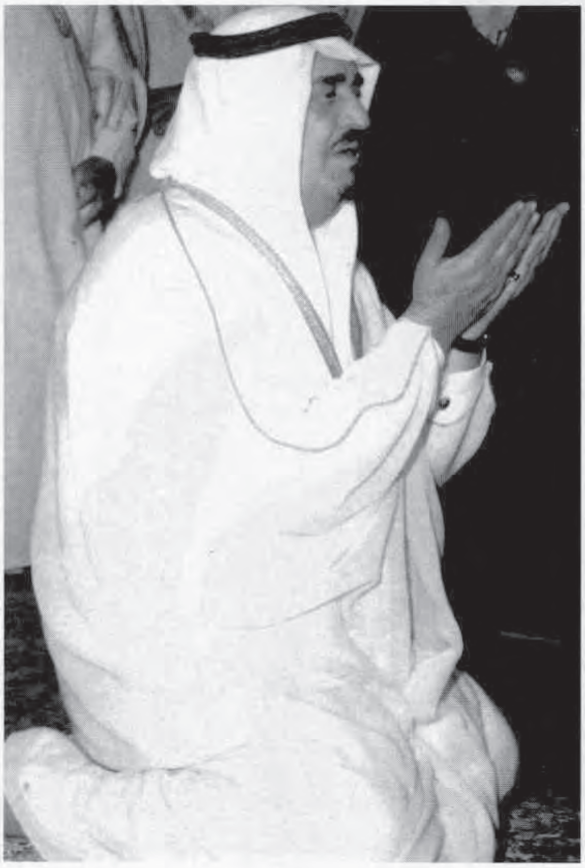
الملك فيصل
(ولي العهد آنذاك)
يبدأ أعمال ترميم
الكعبة المشرفة



الملك فيصل مع عمه
صاحب السمو الأمير
عبدالله بن عبد الرحمن ويظهر
معهما صاحب السمو الملكي
الأمير سلمان بن عبد العزيز
أمير منطقة الرياض



خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (عندما كان أميراً) وصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل، وصاحب السمو الملكي الأمير نواف بن عبد العزيز في إحدى المناسبات خارج البلاد



خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبد العزيز



صورة لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد (عندما كان أميراً) وهو على ظهر دبابة عسكرية



الملك خالد رحمه الله وعن يساره أحد ضيوف المملكة ثم صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز



الملك فيصل يشارك في إحدى الاحتفالات الشعبية بالرياض وبصحبته أخواه الملك خالد والملك فهد
(الأميران آنذاك) ويستقبلهما صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض



الملك فيصل يؤدي العرضة النجدية ومعه الملك فهد والملك خالد (الأميران آنذاك) وصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبد العزيز



روضة التنهاة

حمد بن عبدالله الحماد العنقري



تعد منطقة نجد من أحسن أقطار الأرض، وأعدلها مزاجا، وأرقها هواء، وأعذبها ماء، وأخصبها أرضا، وأنبتها أزهارا ونباتا. أوديتها كالرياض، وأغوارها كالحياض، ولم يزل الشعراء يتغنون بذكرها، ويترنمون بوصفها، ولقد اشتهرت نجد بكثرة رياضها وغياضها، ومن أشهر هذه الرياض روضة خريم، وروضة الخفس، وروضة السبلة، وروضة السهباء، وروضة نوره، وروضة التنهاة. ولقد ذكر عباس العقاد حديثًا للملك عبدالعزيز عن الربيع في نجد فقال: «كان جلالته يصف لنا ربيع نجد، وجمال الوهاد والروابي في أيامه: إن الأزهار والرياض كانت تفرش الأرض في تلك الأيام على مسافات طوال حتى ليحسب العابر بها أنه في دكان عطار تنفحه بمختلف العطور، ولا سيما بعد نزول القطر، ثم قال، وهو يلتفت إلينا: إنه صبا نجد وريّاه تغنى بهما الشعراء من قديم مشيرًا إلى قول ابن الدمينة:

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
لقد زادني مسراك وجدًا على وجدِ

وقول الأموي:

ألا يا حبذا نفحات نجد
وريًا روضه بعد القطار»(١).

وفي هذه المقالة سيكون كلامنا حول روضة التنهاة.

موقعها

والتنهاة: هي من النهاية؛ لأنها تنتهي إليها أودية كبيرة تنصب فيها من قمة العرمة (جبل العرمة هو من جبال اليمامة، يمتد من الشمال إلى الجنوب بما مسافته أكثر من ثلاثمئة كيلو متر). وذكرها ياقوت الحموي في معجمه فقال: تَنْهاة (بالفتح ثم السكون): موضع بنجد، قالت صفية بنت خالد المازني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، وهي يومئذ بالبشر من أرض الجزيرة تتشوق إلى أهلها بنجد، وكانت من أشعر النساء:

نظرت وأعلامٌ من البشر دونها
بنظرة أقنى الأنف حجن المخالبِ
سما طرفه وازداد للبرد حدّه
وأمسى يروم الأمر فوق المراقب
لأبصر وهْنًا نار تنْهاةَ أُوقدت
بروض القطا والهضب هضب التناضب
ليالينا إذ نحن بالحزن جيرة
بأفيح حُرِّ النقل سَهْلِ المشارب
ولم يحتمل إلا أباحت رماحُنا
حمى كل قوم أحرزوه وجانبِ

انتهى كلام ياقوت(٢).

ويقول الشيخ عبدالله بن خميس: «والتنهاة هذه: روضة من أجمل رياض نجد وأخصبها، وأطيبها نباتا، وأحسنها موقعا، تنتهي إليها أربعة أودية من أكبر أودية العرمة وأهمها، وهي من الجنوب شعيب الطيري بروافده الكثيرة، وهو من أكبر الأودية وأعظمها والتي تصب في التنهاة، يليه من الشمال شعيب العتك، يليه شعيب الشوكي، وآخرها شعيب الودي. وهذه الأودية تنصب من قمة العرمة مشرقة، وتفرغ في هذه الروضة في حضن الدهناء. وتمتد هذه الروضة من الشرق إلى الغرب حيث مفاجر الأودية التي تصب فيها.

وتمتد حولها من الجنوب إلى الشمال ذيول الدهناء تشكل حبالا متطامنة وصياهد وأجارع ودكادك، يتخللها من الشمال سواق تفضي إلى رياض صغيرة تسمى الخوابي: جمع خابية، وهي مستقر الماء، أو الروضة الصغيرة لا ترى إلا من قرب، فكأنها مختبئة بها بما بالروضة من شجر ونبت وجمال. تمدها هذه السواقي بما تفيضه عليها مياه الروضة، وتزيد هذه الخوابي وهذه السواقي وهذه الجبال الرملية التي تتخللها.. تزيدها متعة وجمالا»(٣).

ويقول الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد: «.. أما التنهاة فهي اسم لأكثبة منقطعة من الدهناء، فأضيفت هذه الروضة إلى هذه الأكثبة، فقيل لها: روضة التنهاة، وهي من منازل بني تميم»(٤).

وتقع روضة التنهاة في الجهة الشمالية الشرقية لمدينة الرياض، حيث تقع على مسافة ما يقرب من مئة وثمانين كيلو مترًا عن مدينة الرياض.





ويؤدي إليها مجموعة طرق منها: طريق الرياض/الثمامة ثم مع مفرق الطوقي متجها مع طريق الصمان. والطريق الثاني طريق الرياض/القصيم السريع ثم من عند مفرق تمير ومنها إلى الروضة مروراً بقرية مبايض، ثم قرية أم رجوم، وهنا ينتهي الخط المزفلت، والبقية طريق ترابي غير معبد، والطريق الآخر عن طريق الرياض/ رماح والرمحية ثم إلى قرية الحفنة، وعندها يلتقي هذا الخط بالخط الأول.

وتقع روضة التنهاة بقرب خط الطول ٤٦/٣٠ْ وخط العرض ٢٦/١٥ْ.

وتشتهر روضة التنهاة بجمالها وسعتها، وتنوع النباتات فيها حيث ينبت فيها الطلح والسلم والعوشز والشيح والقيصوم، كما ينبت فيها النفل والأقحوان والحوذان والخزامى والبابنج وكل نبت طيب بها إذا جادها الغيث وباكرها. ولقد شاهدت في هذه الروضة من تنوع النباتات واختلافها ما يشرح النفس ويبهجها، وذلك لخصب أرضها وطيبها، وإذا كانت الأمطار غزيرة في تلك السنة عمت الخضرة الروضة، وزادتها بهجة وروعة، ومنظرا جميلاً، ورائحة عبقة، وارتفع العشب إلى منتصف قامة الرجل.

الملك عبدالعزيز وروضة التنهاة

تعدّ روضة التنهاة من الرياض التي كان يخرج إليها الملك عبدالعزيز في أوساط الربيع، فعندما يحل وقت الربيع، وتنزل الأمطار والخيرات، ويتغير وجه الأرض القاحلة إلى أرض ذات بساط أخضر.. يخرج الملك عبدالعزيز إلى الرياض القريبة من مدينة الرياض كروضة الخفس، وروضة خريم، وروضة التنهاة إذا كان في مدينة الرياض، أما إذا كان في مكة أو الطائف فإنه يخرج إلى الأماكن القريبة منها كمنطقة الركبة، ومنطقة ثامودة، وجبل حضن وغيرها.

وتعدّ التنهاة من الرياض المفضلة عند الملك عبدالعزيز حيث كان يخرج إليها، ويقيم بها شهوراً أيام الربيع، وقد تستغرق مدة إقامته فيها بين الشهرين إلى الثلاثة، حيث ينتقل إليها الملك عبدالعزيز بحاشيته، ومعهم ضيوفه، وكبار آل سعود، وأنجاله، وكبار العلماء والمشايخ من آل الشيخ وغيرهم، ومستشاروه وكتابه وخدمه، وكبار أهل العارض وأعيان نجد وشيوخها، وكبار أهل الحجاز وأعيانها، وشيوخ القبائل فتتحول الروضة إلى مدينة مصغرة، حيث تقام الخيام والمضارب، وتتجمع حولها البادية والحضر. وينقسم المخيم قسمين: القسم الخاص، والقسم العام. ففي القسم الخاص تقام خيام الملك عبدالعزيز التي تقع فوق مرتفع أو رابية في وسط التنهاة، ليقيم فيها أوقات النوم، وفيها كذلك يقيم أبناؤه وكبار مستشاريه. والقسم العام: هو القسم الذي يستقبل فيه الملك زوّاره وضيوفه، وفيه يقيم كل من يرد الروضة زائراً ومسلمًا على الملك عبدالعزيز.

ويقام في المخيم مركز اتصال لاسلكي سيار لتلقي الإشارات





اللاسلكية وإرسالها، كما توجد سيارات لنقل البريد من وإلى المخيم في كل يوم.

وبرنامج الملك عبدالعزيز في هذه الروضة يبدأ من بعد صلاة الفجر التي يؤديها جماعة في القسم الخاص، ثم إذا أصبح أفطر، وبعد ذلك ينتقل إلى المخيم العام ليستقبل ضيوفه وزوّاره إلى صلاة الظهر، ومن ثم يقوم بجولاته وزياراته إلى الأماكن القريبة من التنهاة حيث يُقيِّل ويتغذى فيها، وبعد صلاة العصر ينتقل إلى المخيم العام، ويجلس فيه إلى حوالي الساعة الثامنة بعد الغروب، ويتم في هذه الجلسات قراءة مجموعة من كتب التفسير والحديث والتاريخ والأدب، مثل كتاب تفسير الطبري، وكتاب تفسير البغوي، وكتاب تفسير القرطبي، وكتاب صحيح البخاري، وكتاب مسند الإمام أحمد، وكتاب رياض الصالحين، وكتاب اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، وكتاب قراءة عيون الموحدين، وكتاب سيرة ابن هشام، وكتاب البداية والنهاية، وكتاب السياسة الشرعية لابن تيمية، وكتاب الطرق الحكمية لابن القيم، وكتاب روضة المحبين لابن القيم، وكتاب الأغاني، وكتاب الإمتاع والمؤانسة، وكتاب الحماسة، وكتاب الجواب الكافي لابن القيّم، وديوان المتنبي، وكتاب أهوال القبور لابن رجب وغيرها من الكتب، وكان الذي يقرأ في هذه المجالس هو الشيخ عبدالله بن أحمد العجيري راوية نجد، والشيخ عبدالرحمن القويز إمام الملك اللذين امتازا بحسن الصوت، لذلك كانا هما اللذين يقرأان في مجالس الملك عبدالعزيز. ويعلق الملك في بعض الأحيان على ما قرئ، أو يطلب من العلماء والمشايخ أو غيرهم التعليق. وبعد القراءة يستمع الملك بعدها إلى نشرة إخبارية معدة بآخر أخبار العالم، وبعد ذلك يتجاذب الحاضرون أطراف الحديث في شتى الموضوعات، وخلالها لا يخلو المكان من قادم ووافد من شتى البلاد داخلها وخارجها، وتلقى خلالها الأشعار والقصائد، ومن تلك القصائد قصيدة للشاعر فؤاد الخطيب ألقاها بين يدي الملك عبدالعزيز إبان وجوده في التنهاة فقال:

حُيّيتِ يا روضةَ التنهاةِ زاهيةً
بابن السعودِ المليكِ الأوحدِ البطلِ
لما أطلَّ لمحتُ الغيبَ يأذن لي
بنظرة من خلال الأعصر الأوَلِ
أبصرتُ ما حدّثَ التاريخ مجتمعًا
عن الصحابة والإسلام في رجُلِ

ولقد استمر الملك عبدالعزيزفي الخروج إلى هذه الروضة في أوقات الربيع، وتابعه من بعده أبناؤه، ولا سيما الملك فيصل والملك فهد.

أهم الأحداث التاريخية التي حصلت في التنهاة

لقد حصلت في روضة التنهاة بعض الحوادث التاريخية نذكر منها ما تيسر الحصول عليه فمن ذلك:





إقامة الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود في التنهاة، يقول ابن بشر في حوادث عام ١٢١١هـ: «ونزل التنهات الروضة المعروفة عند الدهنا، وأقام فيها أياما ثم رحل منها، ونزل الحفر، حفر العتك»(٥)؛ وذلك لمحاربة ثويني بن عبدالله السعدون شيخ المنتفك.

وفي عام ١٢٥١هـ، حشد الإمام فيصل بن تركي الحشود؛ وذلك لوصول خبر أن بعض العربان امتنع عن أداء الزكاة، يقول ابن بشر: «وفيها - أي في حوادث عام ١٢٥١هـ - سار فيصل بجنود المسلمين من العارض، والخرج، والفرع، والأفلاج، ووادي الدواسر، والقصيم، والجبل، وسدير وغيرهم، وجميع غزوان العربان. فنزل روضة التنهات المعروفة عند الدهنا، وأقام فيها أكثر من شهرين»(٦).

ومن الحوادث التي حصلت في التنهاة قيام ابن رشيد بالغارة على قبيلة سبيع، وكان يوما مشهوداً تذامر فيه السبعان حول مضاربهم وقطعانهم، وأخذ ابن رشيد ما أخذ منهم وانصرف(٧).

ومن الحوادث أنه في يوم الخميس ٢٦ صفر عام ١٣٥٩هـ وصل وفد عراقي برئاسة نوري السعيد وزير الخارجية العراقي إلى روضة التنهاة، وذلك لمقابلة الملك عبدالعزيز وإجراء المباحثات بين المملكة العربية السعودية والمملكة العراقية، وقد تم عقد اتفاقية سميت بالاتفاقية الخضراء، أو محضر روضة التنهاة - وسنتكلم عن هذه الزيارة فيما بعد - (٨).

ومن الحوادث أنه في يوم الأحد ١٦ من شهر ربيع الأول عام ١٣٥٩هـ استقبل الملك عبدالعزيز السفير المصري الجديد عوض بك البحراوي في المخيم الملكي بروضة التنهاة، وقدم السفير المصري خلالها أوراق اعتماده بصفته مندوباً فوق العادة، ووزيراً مفوضاً للحكومة المصرية لدى حكومة المملكة(٩).

ومن الحوادث أنه في عام ١٤١١هـ غادر الشيخ جابر الأحمد الصباح أمير دولة الكويت مطار روضة التنهاة متجها إلى دولة الكويت بعد تحريرها من الاحتلال العراقي، حيث كان في وداعه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز.

زيارة نوري السعيد للملك عبدالعزيز في روضة التنهاة

قام نوري السعيد بزيارة للمملكة في عام ١٣٥٩هـ؛ وذلك لإجراء المباحثات مع الملك، وصف الفريق سعيد بن محمد العمري ذلك اللقاء الذي كان حاضراً فيه، فيقول: «وحل الربيع فلبس البر حلته البديعة، واستعد الملك للخروج للمقناص - كعادته من كل عام - فانتخبت أربعين جنديا من حرسه بالمربع للخروج معه إلى مكان يقال له المزيرع، بينما أبقيت عشرين للحراسة في معسكر الشبيلي، وما إن وصلنا المزيرع حتى أخبرونا بأن ضيفًا كبيراً سوف يحل على الملك عبدالعزيز، وأن الملك يرغب في أن يُقدم له عرض عسكري جميل.

واعترضت لقلة ما معي من الجنود، فكتب الملك عبدالعزيز إلى

عبدالله بن سليمان يأمره بإرسال سعيد جودت وجماعته إلى المزيرع فورا، فإذا لم تكن سياراتهم قد تم إصلاحها بعد فليستأجر لهم سيارات أخرى من الحجاز، وكنا في يوم خميس فأمر الملك ألا يحل يوم الإثنين إلا وقد انضم سعيد جودت وجنوده إلينا في المزيرع لننصرف معهم في التجهيز للعرض العسكري المطلوب. وما كاد الملك يستقر في مجلسه الصباحي المعتاد يوم الإثنين حتى وصل سعيد جودت بقافلته التي انتظمت سياراتها وما عليها من جنود بين مجلس الملك ومكان ديوانه.

وبعد عدة أيام من التدريب على العرض العسكري انتقل الملك عبدالعزيز إلى مكان آخر يقال له روضة التنهات، حيث خيمنا فجاءنا رئيس وزراء العراق نوري السعيد، واستقبلناه بالطريقة العسكرية المعتادة، فأدينا له التحية، ورتبنا الجنود حسب إمكاناتنا، وأقمنا حوله الحراسة الواجبة إلى أن انتهت زيارته للملك، وغادرنا إلى العراق. وكان الملك قد انتهى من مقناصه، فرجعنا معه إلى الرياض»(١٠).

ويقول الشيخ عبدالله بن خميس عن هذه الزيارة: «.. وجاءت حينذاك طائرة، وهي أول طائرة تقتحم المكان وأجواء هذه المناطق تقل السيد نوري السعيد ليفاوض الملك عبدالعزيز في قضايا تتعلق بشؤون البلدين نتج عنها معاهدة حل قضايا عشائر الحدود وقعت في صفر ١٣٥٩هـ، فاستقبل منبسط روضة التنهاة الغربي هذه الطائرة، وخف بعض ساكني المخيم لاستقبال الحامل والمحمول. وآخر النهار امتطى الأمراء هذه الطائرة، فحلقت بهم في أجواء التنهاة وما حولها. وكان حديثهم: كيف تحركت؟ وكيف طارت؟ وكيف هبطت؟ وكيف شاهدوا أرض التنهاة وما حولها؟!»(١١).

روضة التنهاة في الشعر

لقد وردت التنهاة في أبيات الشعر، ومن ذلك قول الشاعر فؤاد شاكر:

أجل هذه نجـــد وهذا أقـــاحـــهـــا
تفـــتـــح عن نور وأشـــرق عن ند
فـــمن روضـــة الخـفـس التي فـــاح عطرها
إلى روضـــة التنهـات في الغـور والوهد(١٢)

وفي النهاية يجدر بنا الإشارة إلى أن الأستاذ أحمد علي الكاظمي مدرس أبناء الملك عبدالعزيز كتب مذكراته على شكل يوميات، وقد ذكر في هذه اليوميات خروجهم مع الملك عبدالعزيز إلى التنهاة في السنوات التي قضاها في التدريس في مدرسة الأمراء، وقد وصف التنهاة، وطريقة المخيم، وإقامة المدرسة فيها والأمطار، والجو، وغير ذلك. هذا وستقوم الدارة بنشر هذه اليوميات بعد استبعاد المعلومات ذات الطبيعة الشخصية.



صور التقطت حديثًا لروضة التنهاة

الهوامش

* التنهاة: تكتب بالتاء المربوطة والمفتوحة.
١ـ ذكرياتي مع عاهل الجزيرة العربية، عباس العقاد ص ٥٦ ـ٥٧.
٢ـ معجم البلدان لياقوت الحموي ٢/٦٠ (تنهاة).
٣ـ معجم اليمامة، عبدالله بن خميس ١/٢٠٥ - ٢٠٨.
تاريخ اليمامة، عبدالله بن خميس ١/٤٥٤ - ٤٥٩.
٤ـ صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار، محمد بن بليهد ١/٢٢٩..
٥ـ عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر ١/٢٢٦.
٦ـ عنوان المجد في تاريخ نجد، ابن بشر ٢/١٣٨.
٧ـ معجم اليمامة، ابن خميس ١/٢٠٧.
تاريخ اليمامة، ابن خميس ١/٤٥٧.
٨ـ جريدة أم القرى ع ٧٩٩، وقد ذكرت فيها نص الاتفاقية ونقلها من الجريدة أمين سعيد في كتابه تاريخ الدولة السعودية ٢/٢٧٤ - ٢٧٦.
٩ـ جريدة أم القرى ع ٨٠٠.
١٠ـ كنت مع عبدالعزيز، د. عبدالرحمن السبيت وآخرون ص ١٢٩ - ١٣١
١١ـ معجم اليمامة، ابن خميس ١/٢٠٧، ومقابلة خاصة مع ابن خميس في يوم الخميس ١٤١٩/٩/١٣هـ.
تاريخ اليمامة، ١/٤٥٧.
١٢ـ رحلة الربيع لفؤاد شاكر ص ١٤٨.
جريدة أم القرى ع ٨٤٩ ص٣.



نشوة العز بريشة صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل

هدية مجلة **الفيصل** (العدد ٢٦٨) شوال ١٤١٩ هـ

صفحة مفقودة